الإمام المهدي الموجود الموعود

العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي

دار الإسراء للطباعة والنشر



الإمام المهدي
الموجود الموعود

الإمام المهدي الموجود الموعود

العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي





• اسم الكتاب : .... الإمام المهدي/الموجود الموعود

• تأليف : .... العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الأملي

• تعريب : .... سلام التميمي / منصف حامدي

• تهذيب وتنقيح: .... سلام التميمي

• الطبعة : .... الأولى

• سنة الطبع : .... ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م بيروت

دار الإسراء للطباعة والنشر

لبنان -بيروت -حارة حريك - شارع دكاش

بناية الحسنين ،ط١، تلفون : ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٨

فهرس المحتويات

الباب الأوّل

معرفة الإمام



الباب الثاني

الانتظار





الباب الثالث:

من الظهور إلى المدينة الفاضلة

فهارس الكتاب

كلمة الناشر

الحمد لله الذي بدأ خلق العالم بنور النبوّة ورفدها بظهور الولاية، والثناء الجزيل على النبي الأكرم الذي ختم دينه بمن حمل اسمه وكنيته معاً، أعني: المهدي ﷺ. وسلام لا حدّ له وثناء لا عدّ له إلى من مثّل بصيص الأمل للعالمين والآدميّين، من اجتمعت فيه سائر الكمالات والصفات الجماليّة في آخر الزمان، ومن سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ليعيد الحياة الإنسانيّة الطيّبة إلى مدار الحقّ والعدل.

منذ أن حلّ ركب البشريّة على البريّة وهي تلهث وراء تذوّق لذّة الحياة الإنسانيّة الطيّبة دون جدوى؛ إذ لم تتمكّن من تجربة الحياة في ضمن مجتمع متكامل تتمحور قوانينه حول محوري العدل والحقّ.

لقد كان الأنبياء والأولياء دوماً صفّاً واحداً في مقابل الطواغيت الفراعنة وسلاطين الجور من القارونيّين والمتمرّدين السامريّين، كما كان الناس يتخيّرون بين الشهادة في سبيل الحقّ وبين الهلاك على الباطل والجور. لقد أرخت الحروب القابيليّة الهابيليّة سدولها على أقطار الأرض في مختلف مراحل التاريخ والجغرافيا. ومن البديهي حينئذٍ أن لا يتمكّن الإنسان من أن يتذوّق طعم الحياة الهادئة الطيّبة السعيدة التي تمتزج فيها الحياة بالبهجة والسرور إلى جانب انطوائها على العبودية لله الموصلة إلى البقاء والخلود.

ولاشكّ أنّ هناك تفاوتاً بين فلسفة الخلق والغاية القصوىٰ للإنسان من جهة وبين ما وقع للبشريّة من جهة ثانية. وعلىٰ الرغم من وجود أسباب السعادة وعوامل الرقيّ، إلاّ أنّ البشر استعاضوا بالثرىٰ عن الثريّا، وقدّموا مظاهر الطبيعة علىٰ لباب الفطرة، ورجّحوا لباس الأنا علىٰ رداء الخلافة، وابتاعوا البقاء بالفناء، فنالوا في النهاية صبغة الشقاوة عوضاً عن لون السعادة، وطووا طريق الباطل مستبدلين الثريّا بالثرىٰ، وأخذوا التراب بدل ربّ الأرباب، ما أدّىٰ إلىٰ شقاء الأشقياء والأشرار، كما سيتّضح ذلك عن قريبٍ في يوم التغابن ويوم الحسرة.

نعم، لن يحدث أيّ تغيير ضمن البرنامج العالمي والنظام الكوني والسنّة الإلهيّة التي وضعها ربّ العالمين في العالَم: سواء اتّبعها الجميع أم لم يتّبعها، إلىٰ أن تتحقّق الإرادة الإلهيّة: ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[1] و ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾[2].

ولو سار الأنبياء الإلهيّون ـ كيحيىٰ الشهيد وغيره ـ جماعات وزرافات نحو مذبح الشهادة ولو التحق الأولياء الربّانيّون ـ كالحسين الشهيد ونحوه ـ فرقاً ومجموعات بمصارع العشّاق ومقاتل الأوصياء، فلا يعني هذا وجود عزم وإرادة لإحداث خلل في الحقّ الذي لا يقبل الخلل، كما لا يُفيد ذلك إيجاد تغيير في نظام تدوين الحقّ؛ لأنّه وضع علىٰ أساس الحكمة والجمال والإتقان: ﴿أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3].

ولقد كانت المجاميع البشريّة التي اختارت الوقوف إلىٰ جانب البرنامج والنظام الكوني الإلهي الذي كلّف به البشر لغرض الوصول إلىٰ سعادتهم

---

١ . سورة الطلاق، الآية: ٣.

٢ . سورة يوسف، الآية: ٢١.

٣ . سورة النمل، الآية: ٨٨.



المنشودة جنباً إلى جنب الأنبياء والأولياء على طول الزمان؛ على أمل أن يحشروا معهم في الدارين الفانية والباقية. وفي هذا الإطار اختار جمع من بين هؤلاء كذلك مسير الولاية التي هي استمرار لمسار النبوّة، كما بنوا الاجتماع الإنساني على أساس الإمامة العامّة، فتوفّرت لهم سبل الحياة العقليّة والحياة البشريّة، كما نبذوا الحياة والموت الجاهليّين، وتابعوا الإمامة الخاصّة، فقولبوا حياتهم صباح مساء على وفق مراد إمامهم، فأمنوا شرّ المفاسد الفكريّة والخبائث العمليّة التي قد يتعرّض لها الآخرون. إنّ الإمام ـ أعني: الإنسان الكامل والخليفة الإلهي الذي أخلص تمام حقيقته للإرادة الإلهيّة ـ ليس إلاّ المظهر الأتمّ للحقّ تعالى الذي جمع تمام الكمالات السابقة في أبهى صورة، ولذا كانت طاعته الصراط إلى نيل ماء الحياة السعيدة.

يختصّ عصرنا الحاضر الذي يمثّل عصر الغيبة والانتظار بميزتين اثنتين:

الأُولى: سعي البشر في هذا العصر ـ مستلهمين الحضور المعنوي لظلّ صاحب الولاية ـ إلى استخراج التعاليم الصحيحة والحقّة من المصادر الدينيّة، أي: الكتاب والسنّة، واطّراح الحياة القائمة على أساس الخرافات والأوهام والأكاذيب، والنجاة بعناية صاحب العصر ﷺ وفيضه من قبضة أصحاب الأهواء وأهل الدنيا من المتكالبين عليها المفتخرين بها المجانبين لطريق الحق المدّعين كذباً ارتباطهم بإمام الزمان ﷺ، والسبق إلى الارتباط بالعلماء الربّانيّين من أهل الحقّ الذين يرون أنفسهم علماً وعملاً في رحاب ساحة الإمام ﷺ، منزّهين الإمام عن ادّعاء رؤيته في اليقظة أو في المنام. إنّ هؤلاء يعمدون إلى ملء هذا الفراغ عبر الالتزام بالسنّة الكريمة والسيرة العادلة والعقيدة السليمة والأخلاق الحقّة ووصايا الإمام القائم ﷺ.

الثانية: انتظار البشر واستعدادهم على جميع الأصعدة على أتمّ هيئة وأشدّ اجتهاد؛ فأُسس الانتظار وشروطه ووجود المنتظرين الحقيقيّين من جملة المسائل



الضروريّة الّتي ينبغي للمجتمع المنتظر أن يعيها ويحقّقها لتجعل منهم أفراداً واعين مستعدّين.

ورغم مساعي ومحاولات العلماء والمخلصين لتبيين وتحديد شخصيّة الإمام المهدي ﷺ ـ لا سيّما الجهود الّتي بذلتها الحركات الإسلاميّة ورجال الدين ـ إلاّ أنّ هذه المساعي لم تخل من شائبة فخّ الإفراط أو هوّة التفريط ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، فلم ينجُ من شرّ الإفراط والتفريط إلاّ من استمسك بعروة المعرفة الحقيقيّة بالإمام ونهل من هذا المعين الذي لا ينضبّ.

و الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ ـ أعني: الإمام المهدي ﷺ الموجود الموعود ـ يحتوي على مجموعة من البحوث والكلمات والخطابات الّتي أفادها أو ألقاها الأُستاذ آية الله الجوادي الآملي (دام ظلّه) حول بقيّة الله ابن الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام الحجّة بن الحسن العسكري عليهما السلام، ثمّ زيّنها بمقدّمة قيّمة من قبله (دام ظلّه).

يقع الكتاب في ثلاثة أبواب تتناول معرفة الإمام والانتظار ومن الظهور إلى المدينة المهدويّة الفاضلة. وقد أشرف على تنظيم وتحقيق الكتاب في مؤسّسة الإسراء الدوليّة لعلوم الوحي حجّة الإسلام السيّد محمّد حسن مخبر، كما اضطلع بترجمته ونقله إلى العربيّة سلام التميمي ومنصف حامدي، و أشرف على ترجمته و راجعه وهذّبه حجّة الإسلام الباحث سلام التميمي.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

دور الترابط بين الماضي والمستقبل في إطار النظام العالمي

١ ـ الأجيال البشريّة الحاضرة سلسلة مترابطة من البدء إلىٰ الختم، والتغافل عن الماضي وعدم الاهتمام بالمستقبل هما الأساس للذهول عن الحياة الحاضرة؛ إذ كيف لموجود لا دراية له بأحداث ماضيه ولا بما ينتظره من وقائع في المستقبل أن يفكّر في نفسه، فيرتكز علىٰ اليقين العلمي لتحقيق العزم العملي؛ حتّىٰ يستوعب سعادته المستقبليّة ويستكشف طريقها ويتمكّن من انتهاجها حقّاً؟! وقد يمكن أحياناً أن يغضّ أحدهم الطرف عن الماضي، ويحسب أنّ صلاحيّته قد انقضت، ويتعلّل بنظرته الاستشرافيّة البحتة، فلا يعيد قراءة مرحلة بدء انتقاله إلىٰ الوجود، إلاّ أنّ هذا التوهّم المجانب للصواب لا يفضي إلىٰ نتيجة مثمرة؛ لأنّ خلق الإنسان حينئذ يكون وكأنّه لم يبدأ بعد حتّىٰ يكون له مستقبل زاهر يمكن عرضه علىٰ بساط البحث والتقييم. مع أنّ خلق الإنسان عبارة عن حقيقة لها تاريخ قديم وعريق يشكّل أساساً ومبدأً لتكوّن نسيج من الصراع الداخلي بين

السلم والحرب والحِلم والبغض والطمع والقناعة والمحبّة والكراهية الشخصيّة انتهاءً بالتولّي والتبرّي لكلّ فرد من أفراد الإنسان. كما أنّ ثمرة عقائد هذا الفرد وأخلاقه وأعماله على المستويين الفقهي والقانوني إنّما ستظهر للوجود في إطار المستقبل البعيد.

إنّ قصّة آدم وحوّاء وحسد إبليس واستكباره وأهليّة آدم للخلافة الإلهيّة وتعليم الله له أسمائه الحسنى وإنباء الله للملائكة بذلك وأمر الله لآدم بعمارة الأرض وهداية البشر من بين الأحداث التي سيكون لها الأثر في المستقبل. كما أنّ سقوط إبليس في فخّ دائرة الأنا وحبّ الاستعلاء واكتساب المنافع الشخصيّة وإرادة إفساد الآخرين وإغوائهم والإصرار على استعداء بني آدم كلّها أحداث كانت وما زالت مؤثّرة في تشكّل المجتمع البشري. وعليه كان من الأهمّيّة بمكان الإحاطة بقضيّة منجي العالم ومحطّم عروش الطغاة ومصلح الاعوجاجات ورافع الآفات عن الأُمّة وظهور الإنسان الكامل المعصوم الساعي إلى إصلاح حال الأجيال الحاضرة.

والوجه فيه: أنّ الإحاطة بالماضي تعدّ أمراً أساسيّاً لإيجاد برنامج مناسب للإصلاح، كما أنّ الإحاطة بالأحداث المستقبليّة الحتميّة أمر ضروري لبلورة ما يلزم لذلك الإصلاح، فالمجتمع الذي يقصر النظر على زمانه الحاضر قاطعاً صلته المعرفيّة بماضيه وبمستقبله ينتهي به الحال إلى ملازمة عذاب القبر بين جداري الجهالة بمتطلّبات الماضي والمستقبل. وأمّا الأُمّة المطّلعة على ماضيها ومستقبلها فكما تستفيد من عِبر الماضي، فكذلك تستضيء طريقها بجرعات الأمل من خلال إحاطتها بالأحداث المستقبليّة السعيدة. ثمّ إنّ من الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار جملة من الأحداث المستقبليّة بالإضافة إلى مسألة المعاد، فينبغي معرفة أوضاع العالم وأحداثه في آخر الزمان، لاسيّما عصر الثقافة العالميّة



الشامل لغير واحد من مجالات الحياة.

دوران مستقبل العالم في فلكي النظم والعدل

٢ ـ هل يتّجه العالم نحو الهرج والمرج أم يتحرّك نحو النظم والنسق؟ لا يخفى: أنّ الهرج والمرج والفوضى عناوين غير قابلة للتنبّؤ والترقّب؛ باعتبارها أموراً فاقدة لأُطر محدّدة، وعليه لا يمكن جعلها موضوعاً للبحث. وأمّا النظم فيقوم إمّا على أساس محوري الحقّ والعدل، وإمّا على أساس الظلم والجور، كما في الاستبداد والاستغلال والاستعمار والاستعباد والاستحمار ونحو ذلك من أنظمة التسلّط التي لا يمكن لأيّ فرد واع بمبنى الخلقة أن يتقبّلها ويلتزم بها؛ بداهة أنّ العالم الذي بدأ على أساس الحقّ ينبغي أن يختتم على صراط الحقّ. ويُلاحَظ في المقابل أنّ النظام الذي يقوم على محوري الحقّ والعدل ـ الذي كان موضع أمل الكثير من أفراد البشر ومورد قبول عدد غير قليلٍ من أصحاب الرأي ـ له عدّة مصاديق مختلفة، منها ما هو ظلمٌ واستنقاصٌ لساحة العدل، باعتباره باطلاً اُلبس لباس الحقّ. ورغم أنّ هذه الألفاظ بلحاظ المفهوم واضحة ومطلوبة، إلاّ أنّها بلحاظ الحقيقة العينيّة مجهولة ومبغوضة. ويمكن التنظير لذلك بالنظام الماركسي الإلحادي الذي ساق المجتمع نحو الباطل والظلم، زاعماً سيره حول محور الحقّ، وموهماً الناس بأنّه يقوم على أساس العدل؛ باعتبار أنّ المستقبل حصاد لزرع الماضي. كما أنّ من يؤمن بأنّ بدء خلقة الإنسان أمر مادّي محض لن يقدر تبعاً لهذه الرؤية على تحديد حقيقة (هُوَ الأَوَّل) ولا حقيقة (هُوَ الآخِر).



مستقبل العالم وانتظام مدار العدل الإلهي بواسطة منجي البشريّة

٣ ـ يقوم بناء خلق العالم ـ الإنسان وترابط هذين العنصرين المحوريّين من وجهة نظر الموحّدين الإلهيّين علىٰ أساس الحقّ، فلا مكان للباطل في أيّ ضلع من هذه الأضلاع المباركة. وفي القرآن الكريم آياتٌ عديدةٌ تدلّ علىٰ هذا الأمر وتشير إلىٰ أنّ نظام الوجود يتمحور حول الحقّ، ولا مجال للغة الباطل فيه إلاّ السراب. وهناك من يفسّر محوريّة الحقّ هذه علىٰ أنّها هندسة خلق العالم وآدم، وهناك من يدافع عن محوريّة الحقّ باعتبار وقوعها ضمن دائرة مباني النظام الكوني، كما أنّ هناك من يطبّق محوريّة الحقّ في كافّة المجالات؛ لأنّها تضمن ثبوت أجر التقوىٰ وجزاء المعصية. وإذ كان الله تعالىٰ الناصر لهذه الطائفة، فقد أخبر في خاتمة صحفه بأنّه سيحي هذا العالم بالمنجي العادل علىٰ يد الوجود المبارك للإنسان الكامل المعصوم، خاتم الأوصياء والأولياء، المهدي الموجود الموعود عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

انتظار العدل العالمي والمنجي الموعود

٤ ـ من يعتقد بضرورة أن يرتكز العالمَ علىٰ أساس محور الحقّ والعدل في المستقبل إلاّ أنّه يختزل هذه المحوريّة في النظام الديمقراطي المحض المتمركز حول محور الإنسان ـ علىٰ افتراض أنّ جميع النتائج المتوصّل إليها وفق هذا التصوّر نتائج حقّة وعادلة ـ لن يتمكّن قطعاً من استحضار ظاهرة المهدويّة: سواء أكانت الشخصيّة منها أم النوعيّة؛ إذ إنّ منجي المجتمع عقل جمعي لا شخصي ليشار له بأنّه شخص معيّن وموعود عيني أو نوعي (اللّهمّ إلاّ إذا كانت المهدويّة نوعاً وطرازاً يمكن تفسيره علىٰ أساس شموله لحكومة جماعيّة)؛ إذ إنّ



حاكميّة الشعب على الشعب ليست من سنخ الحكومة المهدويّة. وعليه لا يكون مجرّد انتظار العدل العالمي مستلزماً لقبول فكرة المهدي الموعود ﷺ، ولو كان المهدي الموعود أحد أفرادها.

المستقبل القائم على أساس محور الحقّ والعدل في إطار الحكومة المهدويّة ﷺ

٥ ـ أمّا من يؤمن بأنّ المستقبل ينبغي أن يتمركز حول محور الحقّ ويرى محوريّة الحقّ في إطار نظام حكومة الفرد، كما يعتقد بأنّ القانون الإلهي أساس حكومة الفرد، وهو أمر منسجم مع قانون الخلق، لا أنّ حكومة الفرد ترتكز على الرأي الشخصي، يمكن له في الجملة أن يتقبّل الوجود المبارك للمهدي الموعود ﷺ، مع ضرورة التأمّل في ما إذا كان هذا الوجود شخصيّاً أم نوعيّاً. ويمكن تقييم الاختلاف في منهج الحكومتين الفرديّة و الجماعيّة عن طريق حوار الحضارات. وأمّا الاختلاف حول المهدويّة الشخصيّة والنوعيّة فيمكن طرحه للحوار ضمن دائرة الملتزمين بتعاليم المدرسة الإلهيّة والمؤمنين بنداءات علماء الدين الحقّة. وكيفما كان فإنّ هذه الآراء على اختلافها وتضاربها لا تخلو من ثمرةٍ.

دور العقل والنقل في إثبات المهدويّة الشخصيّة

٦ ـ ثمّ إنّه لايمكن إثبات المهدويّة الشخصيّة بالعقل الصرف؛ إذ إنّ الحكمة والكلام يبيّنان الخطوط الكلّيّة للقيادة وأوصافها وشرائطها وبرامج هذه القيادة، ولا يتعرّضان إلى إثبات الميزات الخاصّة لشخص محدّد، نظير علم الفقه الذي لا يتعرّض إلى تعيين مرجع للتقليد بالذات، بل إنّنا نجد في الفقه مجرّد التأكيد على

ضرورة أصل وجود المرجع من جهة وعلىٰ شرائط وأوصاف وخصائص المرجع من جهة ثانية. وأمّا تعيين مرجعيّة شخص بعينه فيقع علىٰ عاتق تحقيق أهل الخبرة أوّلاً وعلىٰ مراجعة جماعة الناس لمرجع بعينه ثانياً.

يحاول هذا الكتاب ـ بالاستعانة بالعقل المعتضد بالنقل ـ تبيين ظاهرة المهدويّة الشخصيّة للحجّة بن الحسن المهدي الموجود الموعود ﷺ، علىٰ أمل أن ينال مقام الصواب في العلم ودرجة الثواب في العمل، متوسّلاً بأمل المشتاقين: «**بمحبّتك يا أمل المشتاقين**».[1]

الجوادي الآملي

قم ـ جمادى الثانية ١٤٢٩ هـ

* * *

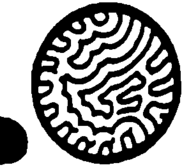
١ . إشارة إلىٰ فقرة الدعاء الوارد في اليوم التاسع من شهر رمضان، حسبما رواه في الإقبال: ١٣٦، والبلد الأمين: ٢١٩.



الباب الأوّل:

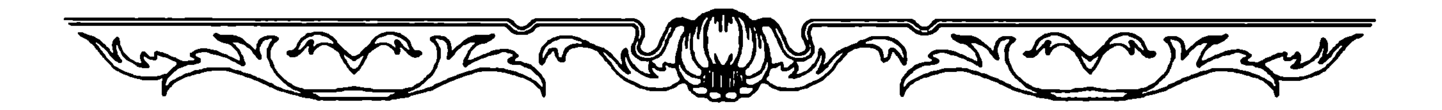
معرفة الإمام





الفصل الأوّل:

الإمامة العامّة



الإمامة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام مسألة كلاميّة لا فقهيّة؛ لأنّ كلّ مسألة يكون موضوعها صفةً أو فعلاً لله فهي مسألة كلاميّة، وكلّ مسألة يكون موضوعها فعلاً للمكلّف فهي مسألة فقهيّة. ومن الواضح أنّ نصب الإمام وتعيينه من منظار مدرسة أهل البيت عليهم السلام من أفعال الله، وعليه فالإمامة من جملة المسائل الكلاميّة لا الفقهيّة، ومن الأُصول لا الفروع. نعم، يجب على الناس أن يلتزموا بأمر الإمامة، وبهذا اللحاظ كانت هذه المسألة فقهيّة أيضاً، كما سيتبيّن لاحقاً إن شاء الله تعالى.

والغرض بيان أُمور:

منها: أنّ كلّ ما يرتبط بالذات الإلهيّة القدسيّة من صفاتٍ وأفعالٍ يعتبر من أُصول الدين أو المذهب.

ومنها: أنّ الفروع تُطلق علىٰ ما يختصّ بفعل الإنسان وتكليفه.

ولا يخفىٰ: أنّ تعيين حدود وسعة الأفعال الإلهيّة يقع ضمن إطار علم الكلام، فيما تكون علوم الفقه والأخلاق والحقوق إطاراً لتعيين حدود أفعال الإنسان وشرائطها وموانعها ولوازمها وطرق أدائها.

فقد ظهر: أنّ مسألة الإمامة من المسائل الكلاميّة ومن أُصول الدين. وفي المقابل يرىٰ آخرون بأنّ الإمامة من المسائل الفقهيّة ومن الفروع لا الأُصول، وعلىٰ هذا الأساس لم يقولوا بلزوم عصمة الإمام، بل حال الإمام حال غيره من الحكّام و القادة، كما يتمّ انتخابه من قبل الناس لا من قبل الله تعالىٰ. ولهذا السبب اعتبرت هذه المسألة من بين الفروع لا الأُصول ومن ضمن المسائل المطروحة في الفقه، والغرض من التعرّض لها ضمن المباحث الكلاميّة هو نفي كونها مسألة كلاميّة.

وأمّا مدرسة أهل البيت عليهم السلام فترىٰ أنّ إدارة أُمور المجتمع من بين المهامّ الثانويّة للإمام، خلافاً للعقيدة الباطلة القائلة بانحصار الإمامة في إطار الرئاسة وإدارة وتدبير أُمور المجتمع. والوجه فيه: أنّ الإمام شخصيّة ذات قيمة رفيعة يؤمّن وجوده الناسوتي أرفع احتياجات المجتمع البشري، بينما ينير ملائكة عالم المثال والملكوت الطريق لوجوده الملكوتي، فيما يدعو حملة العرش وسكّان الملأ الأعلىٰ وجوده الجبروتي إلىٰ كماله اللائق به وإلىٰ القيام بأفعاله السامية وأعماله الجليلة.

ثمّ إنّ اندراج مسألة الإمامة تحت مسائل علم الكلام يعني أنّ تعيين الإمام من مختصّات الله تعالىٰ ومن ضمن أفعاله؛ إذ مضافاً إلىٰ ضرورة أن لا يقع الخلل أو الغفلة أو السهو أو النسيان في الإيفاء بمهامّ الإمامة والإخبار بالأحكام الإلهيّة وتبيينها و توضيحها، فإنّه ينبغي كذلك أن لا يصدر منه الخطأ في أفعاله

الشخصيّة وأن لا يحصل فيها الخلاف و أن لا يشوبها معصية أو ذنب. بل لا يكفي أن لا يمدّ الإمام يده نحو المعصية و لا يعزم على ارتكاب الذنب، بل يلزم أن يكون تفكيره مصوناً ومحفوظاً عن الخطأ، وهو ما يُظهر المكانة السامية والمقام الرفيع للإمامة، ويمثّل جزءاً من الأسرار الخفيّة للإنسان الكامل، كما تمثّل كذلك بعض شرائط النبوّة والإمامة. ومثل هذا الفرد هو الذي يتمكّن من فهم جميع أسرار الكون بتعليم إلهي، كما يتمكّن من التوافر على إدراك صحيح للأُمور الباعثة على السعادة، كما يقدر بإذن الله أن يدرك باطن الأشياء وحقائق الأشخاص.

وهذه الأعمال والأوصاف من ضمن الملكات الراسخة للإنسان الكامل، ولا أحد غير الذات الإلهيّة المقدّسة قادر بإرادة الله على الإحاطة بهذه المعارف، وبهذا الدليل لا يُعقل أن يكون نصب الإمام إلاّ من قبل الله العالم بالغيب. وقد ذكر القرآن الكريم ضمن الإشارة إلى أنواع ابتلاءات إبراهيم عليه السلام أنّ الإمامة عهد الله تعالى بقوله: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين**﴾[1]، كما نسب تعيين وتنصيب الإمام إليه تعالى بقوله: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ للنَّاس إِمَاما**﴾[2].

والظلم يشمل كلّ نحوٍ من أنحاء المخالفة والمعصية، ولذا حجب الله تعالى كلّ ظالم وكلّ من يصدر منه أدنى مخالفةٍ عن عهد الولاية وعن المقام السامي للنبوّة والإمامة بقوله: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين**﴾. ومعه تكون العصمة (بمعنى: الصون من الوقوع في الخطإ أو الخطيئة) شرطاً أساسيّاً لمثل هذا المقام، كما يكون تحديد وتعيين المعصوم وتنصيبه من ضمن أفعال الله ومن مسائل أُصول الدين. ومنه اتّضح أنّ هذه المسألة من المسائل الكلاميّة لا الفقهيّة.

١و٢ . سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

وفي المقابل زعم آخرون عدم اشتراط العصمة في الإمامة [١]، وقالوا بعدم وجود معنىً للإمامة الإلهيّة. لقد نزّل هؤلاء عرش الإمامة الإلهيّة من الثريّا، واستعاضوا عنها بثرىٰ الخلافة البشريّة، وحصروا مهمّة الإمام في الأدارة المادّيّة للمجتمع، فعبّروا عن الإمامة والإمام بالخلافة والخليفة. ولذا اعتبروا الأئمّة كسائر القادة والحكّام الذين يتمّ انتخابهم من قبل الناس، كما آمنوا بإمكان انتخاب الإمام تحت سقف سقيفة بني ساعدة، ومعه فلا مجال ولا ضرورة لتنصيب وتعيين إلهي للإمام في الغدير وأمثاله.

الوجه الفقهي للإمامة

نعم، إلىٰ جانب اندراج الإمامة تحت مسائل الكلام، أشارت جملة من الروايات إلىٰ هذه المسألة في ضمن فروع الدين.[٢] ويعود السرّ في ذلك إلىٰ أنّ للإمامة والولاية وجهين: وجهاً كلاميّاً ووجهاً فقهيّاً باعتبار بُعدها الفقهي، ولذا ذُكرت الإمامة جنباً إلىٰ جنب الصلاة والصوم والحجّ والجهاد والزكاة ونحوها ممّا يُعدّ ركناً من أركان الدين وفروعه لا أُصوله.

وبعبارة أُخرىٰ: يعود ذلك القسم من الإمامة المرتبط ببحث النصب والمشروعيّة إلىٰ فعل الله تعالىٰ، ما يندرج معه تحت أُصول الدين وعلم الكلام. إلاّ أنّه إذ يجب علىٰ البشر أن يقبلوا بالإمام ويسلّموا له بالطاعة والموالاة، كما تجب سائر الفروع: كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ والجهاد، كانت الإمامة من هذه الجهة مسألة فقهيّة. وعليه يكون الالتزام بطاعة الإمام المعصوم كالالتزام بالصلاة من الواجبات الفرعيّة والفقهيّة.

---

١ . راجع كشف المراد: ٣٩٠، المقصد الخامس، المسألة الثانية.

٢ . الكافي ٢: ١٨، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام.

ويمثّل هذا المحور من البحث الحدّ الفاصل بين الفكر الشيعي وبين فكر سائر المذاهب والمدارس الأُخرىٰ؛ إذ وفق مدرسة التنصيب يتمركز تأسيس الحكومة حول محور الأهليّة واللياقة (العصمة) فلا يتربّع علىٰ كرسي الحكم إلاّ من هو أهل لذلك، ولا ينال هذا المنصب الإلهي إلاّ الشخص المنصوب من قبل الله تعالىٰ المأمور بالتصدّي بهذا المقام وهذه المسؤوليّة. وأمّا النخبة اللائقة وفقاً لأصحاب الآراء الباطلة الأُخرىٰ فلا يسعهم إلاّ أن يعتزلوا المجتمع ويعيشوا في منأىٰ عن المكانة اللائقة بهم وعن ممارسة دورهم، كما يُلاحظ ذلك في النظام الديمقراطي و الليبرالي.

وعليه فإنّ أتباع هذا النظام هم أهل رأي ونظرٍ، لا أهل بصر وبصيرة، وقد يكون أصحاب الرأي والنظر كثيرين، إلاّ أنّ أهل البصيرة قلّة دائماً. وفي شأن أهل الرأي والنظر الفاقدين للبصيرة يقول الله تعالىٰ لنبيّه وحبيبه ﷺ بأنّ بعضهم ينظرون إليك، لكنّهم لا يبصرون الحقيقة: إنّهم لا يتجاوزون بنظرهم مستوىٰ الأوصاف الظاهريّة، فلا يأخذون بعين الإعتبار حسبك ونسبك، كما لا يفقهون ولا يفهمون من كلامك سوىٰ ألفاظه الظاهريّة: ﴿وَتَرَاهُم يَنْظُرُونَ إِلَيكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾.[1]

ويجري الكلام نفسه في مسألة الإمامة والولاية؛ إذ برزت طائفةٌ من أهل النظر لا البصيرة، كما حدث بعد انتقال نبي الإسلام الأكرم ﷺ إلىٰ جوار ربّه، فعمد هؤلاء إلىٰ الاجتماع في سقيفة بني ساعدة لحلّ مشكلة النيابة والخلافة، معوّلين علىٰ زعمهم القاصر ورأيهم الآفل، فعيّن أهل النظر مكان رسول الله من لا يتوفّر علىٰ أدنىٰ مسانخةٍ مع المنوب عنه. نعم، لقد كان هؤلاء أهل نظر، لا أهل بصيرة حتّىٰ يتمكّنوا من معرفة المنوب عنه؛ وعلىٰ هذا الضوء أقدموا علىٰ

---

١ . سورة الأعراف، الآية: ١٩٨.

انتخاب نائبٍ وخليفةٍ لرسول الله، إلاّ أنّهم تمكّنوا من الإحاطة بالنائب دون الإحاطة بالمنوب عنه.

الإمامة والتنصيب من منظار الإمام الرضا عليه السلام

كان أتباع أهل البيت عليهم السلام من بين أهل مرو يعتقدون بأنّ الإمام ينبغي أن يتمّ تنصيبه من قبل الله تعالىٰ ليتسنّم مقام الولاية. وفي المقابل كان غيرهم يرىٰ بأنّ الإمام لا يجب نصبه من قبل الله تعالىٰ، بل إنّ الناس هم الذين ينتخبونه ليكون نائباً لهم في إدارة شؤونهم و تدبير أُمورهم.

وبعد وصول الإمام الرضا عليه السلام إلىٰ مرو واطّلاعه علىٰ هذه المسألة التي اختلف حولها أهل مرو، قال عليه السلام: «إِنَّ الإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً وَاَعْظَمُ شَأْناً وَأَعْلَىٰ مَكَاناً وَأَمْنَعُ جَانِباً وَأَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِم، أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِم، أَو يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِم...».[1] وكما أنّ معرفة الله تعالىٰ تتحقّق عبر اُلوهيّته، فإنّ الإمام أيضاً إنّما يُعرف من خلال إمامته. ثم ذكر الإمام الرضا عليه السلام خصائص الإمام فقال: «الإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ لاَ يُدَانِيهِ أَحَدٌ».[2]

وليعلم: أنّ الغرض من تنصيب الإمام لايقتصر علىٰ هداية الناس إلىٰ جهاتهم العمليّة: سواء الفرديّة منها أم الاجتماعيّة فحسب، بل يتعدّىٰ ذلك إلىٰ تبيين المعارف الإلهيّة وإلىٰ توضيح الأحكام الفقهيّة والحقوقيّة في الإسلام، إلىٰ جانب القضاء وإجراء الحدود والتعزيرات والدفاع عن كيان الدّين وحلّ ما استعصىٰ من المعضلات العلميّة أو العمليّة التي تواجه البشريّة.

---

١ . الكافي ١: ١٩٩، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

٢ . المصدر السابق ١: ٢٠١.

وكما أنّ الناس بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الإمام، فإنّ الملائكة أيضاً يفتقرون إلى الإمام؛ إذ إنّ الإمام هو المعلّم والمفسّر لأسماء الله، والملائكة يتلقّون ذلك من الإمام نفسه، ويرفعون ما استشكل عليهم علمياً أو عملياً إليه. لقد قال الحقّ تعالى لآدم عليه السلام بأنّك خليفتي، وإمام زمانك، ثمّ أخبر الملائكة: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾[1].

إنّ الإمام ـ أعني: الإنسان الكامل المعصوم ـ مظهر الإسم الأعظم، أي: أعظم الأسماء، فأيّ اقتضاء تقتضيه الأسماء الإلهيّة يتمّ الوفاء به ببركة الإسم الأعظم، وبه يُقام الدليل على علوّ مقام الإمام عليه السلام. وكما أنّ أبعد النجوم لا يمكن الإحاطة بها بأجهزة الرصد، فما بالك بالوصول إليها؟! فكذلك لا يمكن لعقلِ أيِّ فردٍ أن يدرك الإمام الأنسب لمنصب الإمامة.

وعليه لا يمكن للعقل البشري أن يحيط بأوجّ سماء الإمامة، ولا يمكن لفكره أن يصل إلى المنزلة السامية لهذا المقام الرفيع حتّى يكون أهلاً لتعيين وانتخاب الإمام: «**هُوَ بِحَيْثُ النَّجْمُ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِين وَوَصْفِ الوَاصِفِين، فَأَيْنَ الاخْتِيَار مِنْ هَذَا، وَأَيْنَ العُقُولُ عَنْ هَذَا، وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا؟!**»[2].

البرهان المهدوي عجل الله فرجه على عدم صحّة تعيين النّاس للإمام

روي عن سعد بن عبد الله القمّي أنّه سأل بقيّة الله عجل الله فرجه فقال: قلت: فأخبرني يا مولاي عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم. قال: «**مصلحٌ أم مفسدٌ؟**». قلت: مصلح. قال: «**فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاحٍ أو فسادٍ؟**». قلت: بلى. قال: «**فهي العلّة،**

---

١ . سورة البقرة، الآية: ٣٣.

٢ . الكافي ١: ٢٠١، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

وأوردها لك ببرهانٍ ينقاد به عقلك».[١]

الحياة العقليّة ثمرة معرفة الإمام عليه السلام

ورد من طرق الشيعة والسنّة عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً**».[٢] وعليه فكلّ من مات من دون أن يعرف إمام زمانه فيكون مطيعاً لوليّه، مات ميتةً جاهليّةً.

والميتة الجاهليّة تدلّ على حياة جاهليّة؛ بملاك أنّ الموت عصارة الحياة، فمن عاش حياةً حسنةً مات ميتةً حسنةً، ومن يحيى حياة سيّئةً يموت ميتةً سيّئةً. وليس الموت إلاّ عمليّة تذوّق عصارة الحياة، وكأنّ الحياة شراب يتناوله الإنسان أثناء احتضاره: فإن كان هذا الشراب عسلاً كان ثمرةً لأعماله الحسنة، وإن كان حنضلاً كان مآل أعماله السيّئة في حياته، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ**﴾.[٣] ليس الموت إلاّ التحوّل والتغيّر، وحينما ينتقل الإنسان إلى دار القرار، يكون قد تذوّق طعم التحوّل والتغيّر، ويكون قد هضمها حتّى يدخل بعد موته عالم الحياة الأبديّة والحياة الطيّبة الأزليّة.

أمّا بعد الموت فينتفي عن الإنسان كلّ تحوّل اختياري: نقلاً كان أو انتقالاً فعليّاً (أي: الانتقال من القوّة إلى الفعل)، فقبل تجرّعه لكأس الموت يكون باب التغيّر والصيرورة مفتوحاً على مصراعيه، ولكن لا يبقى بعد الموت أيّ موقعٍ للتوبة أو لتجديد النظر، كما لا تكون هناك فرصة لطلب مهلةٍ حتّى يصدر منه عملٌ صالحٌ وشبهه.

---

١ . كمال الدين ٢: ١٣٦، باب ذكر من شاهد القائم عجّل الله فرجه ورآه وكلّمه.

٢ . كمال الدين ٢: ٨١، ما روي عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام بالنصّ على ابنه القائم صاحب الزمان عجّل الله فرجه، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣١، أبواب ماجرى بعد قتل عثمان من الفتن...، الباب ٨، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣: ٢٤٢، الخطبة ٢٣٨.

٣ . سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

والذي لا ينبغي الذهول عنه: أنّنا نحن من يتجرّع كأس الموت، لا أنّ الموت هو الذي يتجرّعنا، نحن الذين نقتل الموت، لا أنّ الموت هو الذي يقتلنا؛ فإنّ الله تعالىٰ لم يقل بأنّ الموت يذوقنا، بل نحن من يذوق الموت. وإن شئت قلت: إنّ الموت لا يقضي علىٰ الإنسان، بل إنّ الإنسان هو الذي يقضي علىٰ الموت مرّةً واحدةً إلىٰ الأبد، نظير شارب الماء؛ إذ هو الذي يتذوّق الماء، لا أنّ الماء هو الذي يتذوّق شاربه.

ويُلاحظ: أنّ الموت من منظار معارف القرآن عبارة عن مشروبٍ في قدحٍ يتناوله الإنسان، فيستغرق في ذاته ويهضم ما شربه، ومن عاش سويّاً في هذه الدنيا، اكتسب من دنياه أنواعاً من الأشجار المثمرة التي تمّ استخلاص عصارتها، فيتمّ إذاقتها للإنسان حال موته. ومن كان في مجتمعه كالشجرة المثمرة ذا نفعٍ و حملٍ، تناول حال موته عصارةً لذيذة المذاق، فيكون الموت بالنسبة إليه أحلىٰ من العسل. وأمّا من كان كالحنضل في قومه فلم يباشر غير الإيذاء والظلم وسوء الأدب مع نفسه وعائلته والطبيعة والنظام الإسلامي، كانت عاقبته من جنس عمله، فلا يجني إلاّ المرارة، ولا يتذوّق حال موته إلاّ شراباً مرّاً، فيكون الموت بالنسبة إليه أعسر ما يكون وأمرّ شيء لديه. وعليه من يحيىٰ حياةً حسنةً مات ميتةً حسنة، ومن يحيىٰ حياةً مريرةً مات علىٰ المرارة.

إن كان المتاع شوكاً ألست أنت الّذي غرسته؟

وإن كان إبريسم ألست أنت الّذي غزلته؟[1]

ثمّ إنّ الإنسان كالنسّاج الّذي هو بصدد نسج ثوبٍ أو كالبستاني الّذي هو

---

١ . الشاهنامة (للفردوسي)، رقم ٢٠.

يقول: اگر بار خار است خود کشته‌ای وگر پرنیان است خود رشته‌ای

بصدد غرسٍ: فإن كانت الخيوط من حرير واستبرق كان النسيج حريريّاً يشعر المرء أنّ نعومته أحاطت بكلّ بدنه. أمّا لو دارت حياة الفرد حوم أفكار باطلة، وخيّمت عليه أخلاقٌ سيّئةٌ وسلوكٌ مشين، وكان يؤذي غيره بيده ولسانه، ولا يتورّع عن الهمز واللمز ووخز الناس بسهام الأذىٰ والتمرّد علىٰ النظام الإسلامي، لم يكن مصيره إلاّ افتراش المسامير والسهام، فلا يحسّ بالراحة أبداً، بل يعيش حياة ضنكاً.

وإذ كان الفراش مليئاً بالسهام والأشواك،كان كلّما وضع الإنسان جنبه عليه أو حيثما تحرّك انغرزت الأشواك والسهام في جسده، فلا ينفعه أن يتقلّب من جهة إلىٰ أُخرىٰ طالما كانت الأشواك له بالمرصاد.

متىٰ استراح ورقد علىٰ جنبه
من اتّخذ الشوك والقذىٰ وسادةً له؟[1]

إنّ من لم يعرف إمام زمانه ﷺ ولم يتمكّن من أن يعقد معه عقداً ولائيّاً، كان كمن لم يعمل بوصيّة أيٍّ من الأنبياء و الأولياء، فما بالك بالعمل بأوامر الذات الإلهيّة المقدّسة؟! وعليه يكون موته موتاً جاهليّاً. وإذ تقرّر أنّ الموت عصارةٌ لماءِ وعيشٌ لحياةٍ، فإنّ الإنسان حين يموت ميتةً جاهليّةً، يعلم بالضرورة أنّ حياته كانت جاهليّةً كذلك: «**كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون**».[2] وإذ كانت ميتته ميتةً جاهليّةً، كانت جميع الشؤون والسنن الحاكمة علىٰ حياته ـ تبعاً لذلك ـ كالسنن والشؤون الحاكمة علىٰ الحياة الجاهليّة.

---

١ . ديوان شمس التبريزي، رقم ١٨٩٨.

يقول: چه آساید، به هر پهلو كه گردد كسى كز خار سازد او نهالين

٢ . عوالي اللآلي ٤: ٧٢، الجملة الثانية: في الأحاديث المتعلّقة بالعلم وأهله وحامليه.

ومن الواضح أنّه لا يمكن أن تكون حياة أحد مّا حياةً عقليّةً ثمّ يكون مماته ميتةً جاهليّة؛ إذ إنّ الميتة الجاهليّة ثمرة الحياة الجاهليّة، كما أنّ الحياة العقليّة لا تثمر غير حياةٍ عقليّة. وعليه فمن لم يتمكّن من معرفة إمام زمانه، لن يقدر على أن يكون من المنتظرين لهذا الإمام ولن يكون من منتظري المصلح الواقعي، وهي لعمري من أهمّ علائم الحياة الجاهليّة.

نعم، يمكن أن تكون حياة من هو في ظاهره خادمٌ للقرآن أو مقيم متهجّدٌ في مسجد رسول الله ﷺ ـ واضعاً نفسه موضع النبي متصدّياً لإقامة الصلاة ـ حياةً جاهليّةً. ونظير ذلك ما ورد في خطبة فدك[1] عندما احتجّت الصدّيقة الكبرى سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام على تقمّص الخلافة والولاية من لم يكن جديراً بها، فجاءت إلى مسجد المدينة واستشهدت بهذه الآية: ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[2] ولذا من لم يعرف إمام زمانه ولم يكن من منتظريه كانت حياته حياةً جاهليّةً وكانت ميتته كذلك ميتةً جاهليّة.

وأمّا من عرف إمام زمانه فعرف أنّه بإذن الله مطّلع على أعماله كما اعترف بأنّ إمامه مظهرٌ لقوله تعالى: ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[3]،[4] كان بالضرورة من منتظريه، مولياً أهمّيّة خاصّة للعمل حسب إرادة ذلك الإمام وطبق أحكام الشريعة، وبذلك يكون قد تولّى إمامه، فتكون حياته كميتته عقليّةً.

---

١ . راجع بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٠ ـ ٢٣٥، دلائل الإمامة: ٣١ ـ ٣٨، وشرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١٦: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

٢ . سورة المائدة، الآية: ٥٠.

٣ . سورة الرّعد، الآية: ٣٣.

٤ . راجع التوحيد: ١٨٩، الباب ٢٩.

معيار الحياة الجاهليّة

الحياة الجاهليّة مفهوم عامّ له مصاديق ومراتب متعدّدة ومتفاوتة، تمثّل الحقبة التاريخيّة لحياة العرب قبل الإسلام نحواً من مراتبه التي تمتدّ من أدناها وأضعفها إلىٰ أعمقها وأعرقها، ولعلّ أدنىٰ وأخسّ مراتبها ما يطلق عليها بحقبة الجاهليّة. كانت هذه الحقبة أسوء ما مرّ علىٰ تاريخ العرب؛ إذ لم يشهد لهم فيها أثر ثقافي وحضاري يستحقّ الذكر و التقدير.

لقد وصف أمير البيان علي بن أبي طالب عليه السلام هذه الحقبة السوداء بأفضل وأبلغ بيانٍ قائلاً: «**وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَار، مُنِيخُونَ بَينَ حِجَارَةٍ خُشنٍ وحَيّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُم، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُم. الأَصْنَامُ فِيكُم مَنصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُم مَعصُوبَةٌ**».[1]

أفاد أمير المؤمنين عليه السلام ـ ببيانه الأمير علىٰ كلّ بيانٍ ـ : أنّ العرب كانوا آنذاك من الجهة الحضاريّة علىٰ أفضع دين وملّة، وبلحاظ المعيشة كانوا علىٰ أسوء حالٍ، يسكنون أتعس المساكن، و يعيشون بين الحجارة وبين الأفاعي التي لا يؤمن شرّها وهجومها علىٰ الإنسان، ويشربون المياه المتّسخة، ويأكلون المأكولات الخشنة التي تجرح البلعوم، فلا تكاد تنزل إلىٰ المعدة من شدّة خشونتها. كانوا يسفكون دماء بعضهم الآخر، ويقطعون صلات أرحامهم، وكانت الأصنام تملأ أرجاء ساحاتهم، كما كانوا لا يتورّعون عن ارتكاب أنواع الآثام و أصناف الذنوب.

لقد كان العرب يئدون بناتهم، كما شهد بذلك التاريخ والآيات القرآنية: ﴿**وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى... يتوَارَى مِنَ القَوْمِ...**﴾[2] ونحوها ممّا يرتبط بهذه

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة ٢٦.

٢ . سورة النحل، الآيتان: ٥٨ ـ ٥٩.

الحقبة. وإن جاءت البعثة النبويّة لتلغي الحقبة الجاهليّة وتمحقها، إلاّ أنّ ما يسبق ظهور صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه قد وصف بالجاهليّة أيضاً، كما ورد في غير واحدةٍ من الروايات، ما يؤشّر إلىٰ درجة عميقة للجاهليّة؛ لأنّ هذه المرتبة من الجاهليّة لا تشير إلىٰ فقدان مظاهر التحضّر والمدنيّة وفقدان وسائل الرفاهية كما هو الحال في الحقبة السابقة علىٰ البعثة النبويّة؛ إذ لم يكن الأثرياء والمترفون والمسرفون في سوق عكاظ قلّةً، بل كانوا يتوفّرون علىٰ مختلف وسائل الرفاهية، إلاّ أنّهم كانوا ـ من منظار القرآن ـ يعيشون حياةً جاهليّةً.

فليس معيار الحياة الجاهليّة أو الحياة العقليّة وفق المنظور القرآني درجة التقدّم الصناعي أو تهيئة مختلف وسائل الرفاهية وإمكانات الحياة. لقد أشار القرآن الكريم إلىٰ أقوام توافروا علىٰ ثورة صناعيّة هائلة وتهيّئت لهم أنواع وسائل العيش، إلاّ أنّهم وُسموا بصفة الجاهليّة، فاستوجبوا العقاب الإلهي والحرمان من الرحمة الإلهيّة، وكان مصيرهم الهلاك و البوار. ومن بين هؤلاء الأقوام يمكن أن نشير علىٰ سبيل الذّكر لا الحصر إلىٰ قوم عادٍ وثمود وأصحاب الحجر. فمع أنّ قوم عادٍ كانوا يتّصفون بقدرةٍ فائقةٍ لا نظير لها في عمارة المدن، إلاّ أنّ حياتهم كانت جاهليّة.[1] ويجري الكلام مثله في أباطرة الفرس والروم الذين

---

١ . لقد كانت قدرات قوم عادٍ بدرجة أشار إليها القرآن بالقول: ﴿إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (سورة الفجر، الآيتان: ٧ ـ ٨). كما أنّ قوم ثمود كانت لهم قدرات هائلة، فكانوا قادرين علىٰ تسطيح الجبال و اتّخاذ منازل و قصور محكمة جميلة آمنة: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (سورة الفجر، الآية: ٩). كما أنّ أصحاب الحِجر بنوا بيوتاً داخل الجبال، وهي صنعة اختصّوا بها من بين سائر الأقوام: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ءامِنِينَ﴾ (سورة الحِجر، الآية: ٨٢). ورغم كلّ ذلك اعتبر القرآن أنّ حياتهم جاهليّة، ولذا ذاقوا طعم العذاب جزاء بما اقترفوه في حياتهم الجاهليّة: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٩٦).

كانوا يستمتعون بشتّىٰ أنواع الرفاهية، إلاّ أنّ حياتهم لم تسلم من وصفها بالحياة الجاهليّة.

فظهر: أنّ معيار الحياة الجاهليّة والموت الجاهلي إنّما يجري بلحاظ عدم معرفة الإنسان لإلهه ولرسله، مع أنّ تلك المعرفة ممّا تتوقّف عليها الحياة الأبديّة.

هذا وقد وقع التعبير بقوله: «**مات ميتةً جاهليةً**»[1] في موارد متعدّدة من قبيل: الوصيّة: «**من مات بغير وصيّة مات ميتةً جاهليّةً**».[2] إلاّ أنّ الاختلاف بين هذين التعبيرين يعود إلىٰ أنّ الميتة الجاهليّة المشار إليها في حديث الوصيّة تتمحور حول انتفاء الكمال، بينما تنصبّ الميتة الجاهليّة في حديث معرفة إمام الزمان عليه السلام علىٰ انتفاء الحقيقة. ونظير ذلك التعبير بـ «لا صلاة» في الحديث النبوي الشريف: «**لا صلاة لجار المسجد إلاّ في مسجده**»[3] والحديث النبوي: «**لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب**»[4] فتشير كلا الروايتين إلىٰ تماميّة الصلاة، لكن مع وجود فارق مؤدّاه أنّ الأوّل ناظر إلىٰ نفي الكمال لصورة الصلاة، والحديث الثاني ناظر إلىٰ نفي حقيقة الصلاة.

وتوضيح ذلك: أنّ قوله: «**لا صلاة**» في الحديث الثاني مفاده أنّ المصلّي إن لم يأت بالفاتحة عامداً، لم يأت بالصلاة من رأسٍ، كما أنّ الصلاة بدون وضوء لا تسمّىٰ بصلاة: «**لا صلاة إلاّ بطهور**».[5] أمّا قوله: «**لا صلاة**» في الحديث الدالّ

---

١ . الكافي ٢: ١٩ ـ ٢١، باب دعائم الإسلام.

٢ . المقنعة: ٦٦٦، باب الوصيّة ووجوبها، ومناقب آل طالب ٣: ٥٨، باب النصوص علىٰ إمامته عليه السلام، ووسائل الشيعة ١٩: ٢٥٩، كتاب الوصايا، الباب ١.

٣ . تهذيب الأحكام ١: ٩٢، باب صفة الوضوء والغرض منه والسنّة والفضيلة فيه.

٤ . نهج الحقّ وكشف الصدق: ٤٢٤، المسألة ٨، الفصل ٢، عوالي اللآلي ١: ١٩٦، الفصل ٩، مستدرك الوسائل ٤: ١٥٨، أبواب القراءة في الصلاة، الباب ١.

٥ . من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣، باب وقت وجوب الطهور، وتهذيب الأحكام ١: ٥٠، باب آداب الأحداث الموجبة للطهارة... .

علىٰ ضرورة حضور جار المسجد للصلاة في المسجد فيفيد نفـي الكـمال، أي: إنّ جار المسجد الذي لا يصلّي في المسجد لا تكون صلاته كاملـة، فـلا يبلـغ عملـه الكمال اللائق به.

واستناداً إلىٰ القرائن العقليّة والنقليّة تكون الميتة الجاهليّة الـواردة في حـديث الوصيّة ناظرةً إلىٰ نفي الكمال، وبهذا المعنىٰ فمن مات من دون أن يوصي، لم يكن قد استفاد من الحياة العقليّـة، وإن كـان يتـوفّر عـلىٰ نـصيبٍ مـن هـذه الحيـاة و علائمها و نتائجها. وفي المقابل يكون نفي الحياة العقليّة في حـديث معرفـة إمـام الزمان ناظراً إلىٰ نفي الحقيقة لا نفي الكمال، أي: إنّ مثله في الأساس يحيىٰ حيـاةً جاهليّةً، وليس له أدنىٰ مستوىٰ من الحياة العقليّة. وعلىٰ هذا الـضوء لـن تكـون ميتته إلاّ ميتةً جاهليّةً.

الحياة الجاهليّة والميتة الجاهليّة من منظار الوحي

لاشكّ أنّ كلام الله تعالىٰ والوحي الإلهي ممّـا يوجـب الحيـاة العقليّـة الطيّبـة للمجتمعات البشريّة: ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا استَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُم﴾[1]. أي: إنّ الوحي والنبوّة من عوامل إحياء المجتمع الإنساني. وانطلاقاً من الأصل الحاكم في مسألة القرآن والعترة ـ الذي يبتني عـلىٰ انـسجام ووحـدة القرآن مع العترة الطيّبة للنبي الأعظم ﷺ ـ فـإنّ حكـم أحـدهما يجري عـلىٰ الآخر، وكما أنّ كلام الله يحيي الفرد والمجتمع، فإنّ إجابة نداء العترة تحـي الفـرد والمجتمع أيضاً.

والميتة الجاهليّة علامة علىٰ أنّ حياة الفرد كانت حياةً جاهليّـة، كـما أنّ الحيـاة الجاهليّة في منظور الوحي مقرونةٌ مع الموت؛ إذ يرىٰ القرآن الكريم أنّ مـن كـان

١ . سورة الأنفال، الآية: ٢٤.



تفكيره جاهليّاً لم يكن في الحقيقة من الأحياء: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1]. لقد جعل الله سبحانه وتعالىٰ الحيّ في مقابل الكافر، لا المؤمن في مقابل الكافر، فالإنسان: إمّا أن يكون حيّاً وإمّا أن يكون كافراً.

وقد ورد في موارد متعدّدة من القرآن الكريم الإشارة إلىٰ أربعة أُمور بشكل موجز، ويظهر أنّ أمرين من بينها لم يذكرا علىٰ نحو التساوي، وإن كانا في حقيقة الأمر متساويين وفي مرتبةٍ واحدةٍ، بينما يسعىٰ الأمران الآخران إلىٰ إيضاح الأمرين الأوّليّين المذكورين. وعلىٰ سبيل المثال لقد ذكر في الآية أعلاه الحي والكافر علىٰ نحو التقابل، وأُفيد بأنّ الإنسان إمّا أن يكون حيّاً وإمّا أن يكون كافراً، مع أنّ الإنسان بحسب التقسيم المشهور إمّا حيٌّ وإمّا ميّتٌ. والحاصل: أنّ الحيّ إمّا أن يكون مسلماً وإمّا كافراً. إنّ غرض القرآن الكريم من هذا التقسيم بيان أنّ الإنسان إمّا مؤمنٌ وإمّا ميّتٌ.

ولذا يعدّ الكافر في لسان الوحي فرداً ميّتاً، وإذ كان عنوان الكافر في قبال عنوان الحي، كما أنّ عنوان الحيّ في قبال عنوان الميّت، يتّضح لنا أنّ الكافر من منظور القرآن فردٌ ميّتٌ، كما أنّ الحياة الحقيقيّة تنحصر في أهل الإيمان. وهذا التقابل وإن كان بحسب الظاهر أمراً مستبعداً، إلاّ أنّه لاموقع للاستبعاد بالمرّة؛ إذ الأمران منسجمان تماماً.

فمن مات ميتةً جاهليّةً كان قد عاش حياةً جاهليّةً، كما أنّ من عاش حياةً جاهليّةً لا ينال ذرّةً من الحياة الحقيقيّة. ومن لم يعرف إمام زمانه عليه السلام ولم يعش في ظلّ الولاية، عاش حياةً جاهليّةً لا حظّ له من الحياة الإنسانيّة، وإن كانت له حياة حيوانيّة. ولو أنّ فرداً لم يخضع أمام حقّانيّة القرآن وحقائقه عن علم وعمد

---

١. سورة يس، الآية: ٧٠.

ولم يلتزم بها، فلم يتعامل مع القرآن على أنّه كلام الله، لصدق تعبير القرآن الكريم في حقّه بأنّه ميّت لا حياة له. كما أنّ من لا يرتبط مع إمام زمانه عليه السلام برابطة ولائيّة ولا ينال معرفة إمام زمانه عليه السلام، فهو في الحقيقة ميّت لا حظّ له من الحياة القرآنيّة المتناغمة مع الحياة الولائيّة.

حياة الإنسان من منظار القرآن الكريم

وإنّما يمكن للإنسان أن يتّصف بصفة الحياة الطيّبة حينما يتمكّن من الإحاطة بحقيقة الحياة ضمن حياته الإنسانيّة، بعد أن يتمكّن من معرفة نفسه معرفة صحيحة.

لقد عرّف عددٌ كبيرٌ من المفكّرين الإنسان بأنّه حيوانٌ ناطقٌ. وأمّا حدّ الإنسان في ثقافة القرآن فهو أمرٌ آخر مغائرٌ لما ذُكر. لقد عُرّف الإنسان بأنّه إمّا أن يكون موجوداً حيّاً له قدرة النطق، وإمّا أن يكون موجوداً ذا روح يمكنه أن يدرك الكلّيات، إلاّ أنّ القرآن يرىٰ أنّ الإنسان حيّ متألّه، لا أنّه حيوانٌ ناطقٌ.

فالإنسان من منظار الوحي هو ذلك الموجود الحيّ الذي يختصّ بنفسٍ متألّهة تختزل حياته في تألّهه. والتألّه لايعني إلاّ أنّ الإنسان يفكّر ويعمل في ضوء مبدأ التوحيد في العقائد والأخلاق والفقه والحقوق وسائر شؤونه، وعليه لا يكون الشخص غير المتألّه حيّاً، كما لا يتوفّر علىٰ حقيقة الحياة الإنسانيّة.

وفي ضوء قوله تعالىٰ: ﴿**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِين**﴾[1] لا يمكن للقرآن أن يؤثّر إلاّ علىٰ الناس الأحياء، وأمّا الكفّار ـ الذين هم أموات ـ فلا ينالهم إلاّ غضبٌ من الله، ولا حظّ لهم من التألّه، فلا حظّ لهم كذلك من القرآن، ومعه لا يكون لهم حظّ من الحياة الإنسانيّة الطيّبة.

---

١ . سورة يس، الآية: ٧٠.

مراتب الحياة العقليّة وعلائمها

للحياة العقليّة علامة ومراتب: أمّا علامة الحياة العقليّة فهي اتّقاء الوقوع في الذنب. ويُلاحظ في القرآن عموماً وفي لسان روايات المعصومين عليهم السلام خصوصاً التعبير عن الذنب بالجيفة أو ببقايا الميتة. وهذا التعبير وإن ورد بألفاظ وهيئات مختلفة، إلاّ أنّها جميعاً تشترك في حقيقة ومعنىً واحد، وهي أنّ الذّنب عبارة عن جيفة كريهة الرائحة.

يدرك الإنسان أحياناً بالعلم الحصولي جملة من المفاهيم العقليّة، ولـمّا تشتدّ نفسه يدرك الحقيقة العقليّة لذلك المفهوم اعتماداً على العلم الحضوري. كما يمكن ملاحظة هذا المعنىٰ كذلك في مسار الحياة العقليّة والتطوّرات النفسانيّة للإنسان. فمن كانت له حياة عقليّة أقوىٰ، كان أقدر علىٰ رؤية مدىٰ تعفّن الذنوب بشكل أوضح، فتتّضح له عفونة صورة المعصية.

فاعلم أنّ المعرفة أن ترىٰ النار عياناً

لا أن تستدلّ عليها برؤية الدخان[1]

ومن كان له مرتبة دنيا من الحياة العقليّة، فلن يتمكّن من الإحاطة بالصورة الحقيقيّة السوداء للمعصية بشكلٍ كاملٍ، وإن كان يمكنه الوقوف علىٰ رائحتها العفنة المؤذية المميتة.

إنّ نيل الحدّ الأدنىٰ من مراحل الحياة العقليّة إنّما يتحقّق حينما يصل الإنسان إلىٰ حالة تجعله في كلّ مرّة يهمّ بالإقدام علىٰ معصيةٍ أو عملٍ غير لائقٍ يستنشق رائحة المعصية العفنة الكريهة، فيفرّ من السقوط في هذه الهاوية.

---

١ . المثنوي المعنوي، الكتاب السادس، البيت ٢٥٠٥.

يقول: خود هنر آن دان كه ديد آتش عيان　　نى گپ دَلَّ علـى النّـارِ الدخـان

توقّف معرفة الإمامة على النبوّة وفهم النبوّة على إدراك التوحيد

من أراد أن يعرف إمام زمانه فعليه أوّلاً أن يعرف ربّه[١]؛ بداهة أنّ النبي رسول الله وواسطته مع البشر. فإذا لم نتمكّن من معرفة الذات المقدّسة للحقّ بلحاظ أنّه تعالى المُرسل والمُستخلَف عنه من قبل ذلك الخليفة، فإنّنا لن نتمكّن من معرفة نبيّه. وإذا لم نعرف النبيّ، فإنّنا كذلك لن نتمكّن من تعيين وتحديد خليفته، بل سنقع في الخطأ والاشتباه، ومعه يمكن أن نلتزم بإمكان معرفة الإمام وفق المبنى الذي تأسّس في سقيفة بني ساعدة!

إنّ من يعلم أنّ للنبي خليفةً، إلاّ أنّه توهّم أنّ من انتُخب في السقيفة يمكن أن يكون خليفة له، فإنّه لم يعرف النبي كما ينبغي له أن يعرفه؛ إذ ليس النبي من وجهة نظره سوى قائدٍ ووالٍ على مجتمع إسلامي وزعيمٍ لمملكةٍ لا غير.

فمثل هذا الشخص لم يعرف النبي على أساس قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢] حتّى يعرف أنّ كلامه لا يُعقل أن يكون اجتهاداً شخصيّاً أو مبنيّاً على الظنّ والوهم، بل هو كلام نبي معصوم، مايلزم أن يكون خليفته الصالح منصوباً على أساس وقاعدة ﴿بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[٣] ويتمّ إبلاغه بالعلم الحضوري والشهودي من قبل الله تعالى.[٤] وعليه فمثله لا يعقل أن تكون له صلاحيّة الخلافة للنبي.

---

١ . «اللّهمّ عرّفني نفسك؛ فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك. اللّهمّ عرّفني رسولك؛ فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك. اللّهمّ عرّفني حجتك؛ فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني» (الكافي ١: ٣٣٧، باب في الغيبة، إلخ).

٢ . سورة النجم، الآيات: ٣ ـ ٤.

٣ . سورة هود، الآية: ١٧.

٤ . راجع الكافي ١: ١٩٠، باب في أنّ الأئمّة شهداء الله عزّ وجلّ على خلقه.



كما أنّه ما لم يكن لدينا برهان لـمّي [١] أو كنّا جاهلين بهذا البرهـان، فإنّنـا لـن نتمكّن من معرفـة الله تعـالى، فتنتفـي مـسألة إدراك ضرورة الحاجـة إلى الأنبيـاء والرّسل. أمّا لو عرفنا الله تعالى وعلمنا أنّه تعالى خلقنا وأنّنا سنرجع إليه كما خلق العالم وخلق آدم، أدركنا أنّ كافة البشر سيرجعون إليه ويحشرون إليـه ويمـرّون أمامه في يوم الحساب. وإذ كانت سائر الأُمور العلميّة والعمليّة مرتبطةً به تعالى، فلا مفرّ للجميع من الرجوع إليه. وعليه ينبغي التوصّل إلى ضرورة وجود ممثّـل له وإلى ضرورة معرفة هذا الممثّل والمرسل من الله إلى الناس. ومـن هـذه المعرفـة يرشح قانون مفاده أنّ هذا الرسول هو أهلٌ للطاعة والهادي إلى طريـق الـسعادة والفلاح. وعليه لا يعقل أن يكون أيّ قانون لوحده كافياً لتأمين الـسعادة حتّـى نكتفي به لوحده ونطمئنّ به بمجرّده.

وإلى جانب معرفة الله سبحانه فما لم نـصل إلى إدراك النبـي إدراكـاً صـحيحاً نابعاً من معرفةٍ حقيقيّةٍ، لن نتمكّن من معرفة وليّ الأمر وخليفة النبي؛ إذ إنّنا مـا لم نعرف المنوب عنه لن نتمكّن من معرفة الإمام الذي هو نائبه.

وعلى إثر طيّ هذه المراحل المعرفيّة يقف المرء على أنّ الله تعالى مبدأ كلّ أنحاء الكمال العلمي والعملي وكلّ كرامة اعتقاديّة واخلاقيّة وعمليّة في مختلف نواحي الوجود: من النبوّة والإمامة إلى مراحل العبوديّة، ومن عرش عالم اللاهـوت إلى فرش عالم الناسوت.

ألم يقرع سمعك قوله: إنّا أعطيناك الكوثر؟

فلِمَ غدوت صادياً ظمآناً؟

---

١ . أي: البرهان الّذي ينطلق من العلّة ليصل إلى إثبات المعلول. ولا يقتصر هـذا البرهـان عـلى علّـة اجتماع طرفي النتيجة في الذّهن، بل يتعدّى إلى بيان اجتماع طرفي النتيجة في الوجود كذلك.

من أبصرته طرباً مبتهجاً بالكوثر
فقد تخلّق بأخلاق محمّدٍ: فعليك بمعاشرته![1]

معرفة الإمام أفضل طريق للموت على الإسلام

لقد كان الموت على الإسلام إحدى الوصايا المشتركة للأنبياء والأولياء، كما ورد ذلك في القرآن الكريم على لسان النبي يعقوب عليه السلام حين أوصى أبناءه: **﴿يَـبَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأنْـتُم مُـسلِمُون﴾**.[2] أي: ينبغي أن لا تختاروا أيّ نحوٍ آخر من الموت غير طريق الموت والثبات على الإسلام. كما أنّ يوسف عليه السلام حينما كان له ملك مصر وكانت له السلطة في الحكم دعا ربّه قائلاً: اللّهمّ رزقتني ورزقت غيري المِلك والمُلك، فوفّقني للعمل بوصيّة يعقوب عليه السلام حتّى أموت مسلماً: **﴿رَبِّ قَد ءَاتَيتَنِي مِنَ المُلكِ وَعَلَّمتَنِي مِن تَأوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسلِماً وَالحِقنِي بِالصَّالِحِين﴾**[3].

وإذ ساوى القرآن الكريم بين حياة الكفر وبين الموت من جهة، وبين حياة الإيمان وبين الحياة الحقيقيّة، كانت الحياة الواقعيّة والموت الواقعي من منظار الإسلام بمعنى تحصيل الحياة الحقيقيّة الطيّبة التي لا تتوفّر إلاّ في إطار معرفة وليّ الله وإمام الزمان والاقتداء به في السلوك والعمل.

---

١ . المثنوي المعنوي، الكتاب الخامس، البيتان ١٢٣٢ و١٢٣٥.

يقول: نه تو اعطيناک کوثر خوانده‌ای پس چرا خشکی و تشنه مانده‌ای؟
هر که را دیدی ز کوثر سرخ رو او محمّد خوست با او گیر خو

٢ . سورة البقرة، الآية: ١٣٢

٣ . سورة يوسف، الآية: ١٠١.

المفهوم الواقعي لمعرفة الإمام

لا يخفىٰ: أنّ معرفة الاسم المبارك للإمام واسم والديه وتاريخ مولده وبدء وانتهاء إمامته ونحو ذلك معرفة بحسب الإمام عليه السلام ونسبه، وهي مرتبة من مراتب المعرفة، إلاّ أنّها مرتبة أدنىٰ من مراتب معرفة المقام السامي للإمام وللإمامة. وهذه المعرفة وإن كانت في الجملة لازمة بل ضروريّة، إلاّ أنّها ليست بتلك الأهمّيّة القصوىٰ والدرجة السامية الفائقة علىٰ كلّ معرفةٍ.

بل المهمّ حقيقة معرفة الإمام عليه السلام؛ لأنّ الإمامة إنّما تتحقّق عبر المعرفة، كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام. فأفضل الناس وأعقلهم من سلك طريق التوحيد والنبوّة واعتنق الفكر العلوي ودار حول فلك الولاية، أي: عرف الله والنبي وخلفاءه، وعلىٰ هذا الأساس تحرّك وفق مسار الولاية وفي مدار القرآن والعترة.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأُولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان**».[1] أي:إنّ معرفة الله تتحقّق بمعرفة اُلوهيّته، ومعرفة الرسول بمعرفة رسالته، فمن عرف الألُوهيّة كان عارفاً بالله تعالىٰ. والسرّ فيه: أنّ من عرف أنّ الألُوهيّة عبارةٌ عن الإطلاق الذاتي الوجودي اللامتناهي والقدرة اللامحدودة والعلم السرمدي، أدرك أنّ الذات الإلهيّة المقدّسة موجود له صفات الكمال، كما أنّ صفاته عين ذاته وعين بعضها البعض، وإن كانت متغايرة بلحاظ المفهوم.

ثمّ إنّ الله تعالىٰ مع الإنسان في سائر شؤونه وحالاته، بل هو أقرب إليه من أيّ شيء حتّىٰ من نفسِه، وهو أرحم الراحمين. ومن أحاط بهذه المعاني، رأىٰ أنّ

---

١ . التوحيد: ٢٨٨، باب أنّه عزّ وجلّ لا يُعرف إلاّ به.

الكون مظهر الله، كما يرىٰ نفسه دوماً في محضر الحقّ تعالىٰ، كما أنّ من تمكّن من معرفة معيار النبوّة والرسالة، وفّق لمعرفة النبي معرفة كاملة تامّة.

لقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام للموحّد العارف بالنبي التائق إلىٰ معرفة خلفائه وأوليائه المعصومين عليهم السلام ونوّاب الإمام (الذين يُطلق عليهم في الفقه السياسي قادة الفكر والدين) بالقول: «**أُولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان**»[1]، أي: اعرفوا أُولي الأمر بالعمل بالمعروف وإقامة العدل والعمل علىٰ أساس الإحسان. وبناء علىٰ ذلك لن ينال الفرد من معرفة الإمام معرفته باسمه ونسبه فقط، بل سيدرك معرفته الحقّة بالإمامة وخصائصها، كما أفاد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بإشارته إلىٰ الطريق الحقيقي العملي لهذه المعرفة.

ومع أنّ في المقام عدّة طرق موصلة إلىٰ هذا المعرفة، إلاّ أنّ أكثر طرق معرفة الذات الإلهية المقدّسة أصالةً وإصابةً هو طريق سلوك الصدّيقين. والصّدّيقون هم أُولئك الذين يعرفون الله بالله، كمن يحصل له العلم بالشمس عياناً ومشاهدة، لا إثر إخبار المخبرين.

وما أن بلغ الكلام إلىٰ وصف هذه الحال
حتّىٰ تكسّر القلم وتمزّق الورق[2]
إن كانت الشمس دليلاً لك علىٰ
الشمس فلا تشح بوجهك عنها
فإنّها وإن كانت تظهر الظلّ
إلاّ أنّها تشعّ علىٰ العالم بالنور والضياء

---

١ . التوحيد: ٢٨٨، باب أنّه عزّ وجلّ لا يُعرف إلاّ به.

٢ . المثنوي المعنوي، الكتاب الخامس، البيت ٤١٩٥.

يقول: چون سخن در وصف اين حالت رسيد هم قلم بشكست و هم كاغذ دريد

والظلّ يغريك على النوم كالحكاية
فلو طلعت الشمس انشقّ القمر[١]

وعليه فأفضل طريق لمعرفة الإمام هو طريق الصدّيقين من أهل الولاية الذين يحومون حول مدار الإرشادات العلويّة وعلى أساس معرفة الإمام الحقّة، فيتوصّلون إلى حقيقة الإمامة ومعنى الولاية. وإثر طيّ هذا المسير تتبلور المعرفة العميقة في الإنسان الطالب للحقّ والكمالات العلميّة والعمليّة المعروفة والعدل والإحسان في الإنسان الكامل، فلو تأمّل في سيرة وسريرة هذا الإنسان، فلن يمكن له ملاحظة غير الجمال والجلال الإلهي الذين يظهران في صورة علمٍ كاملٍ لا يعتريه السهو، وعملٍ صالحٍ لا يشوبه الغلط، ويتجلّى في مظهرٍ جامعٍ لديه.

المعرفة المثمرة والمعرفة غير المثمرة

الإمام المعصوم المصداق الأتمّ للإنسان الكامل على الإطلاق المتّصف بجميع الأوصاف المثلى على أكمل وجهٍ، وتوافر الإمام المعصوم على المكارم والمحامد والفضائل الإنسانيّة يوجب اهتداء كافّة الأفراد من أصحاب الأديان والملل والعقائد إلى شخصيّته عبر الحدّ الأدنى من الإحاطة به معرفيّاً، وإن كان كاشفاً عن سعة وعمق فضائله العلميّة، حصل لهم الانجذاب نحو مغناطيس كمالات الإمام الوجوديّة، فينتهون إلى محبّته وولائه، وإن كانت أيّة مرتبة من المحبّة والولاء رهينة مرتبة معرفة المحبّ لحبيبه.

---

١. المثنوي المعنوي، الكتاب الأوّل، الأبيات ١١٦ ـ ١١٨.
يقول: آفتاب آمد دليل آفتاب   گر دليلت بايد از وى رو متاب
از وى ار سايه نشانى مى‌دهد   شمس هر دم نورِ جانى مى‌دهد
سايه خواب آرد تو را همچون سَمَر   چون برآيد شمسْ انشقَّ القمر

ومن بين المصاديق البارزة لهذه المحبّة وذلك الولاء يمكن الإشارة إلى ارتباط الوجود المبارك لأمير المؤمنين علي عليه السلام أو سيّد الشهداء وإمام الأحرار الحسين بن علي عليه السلام بقلوب مختلف الأفراد على تعدّد مشاربهم. إنّ من كان لديه ارتباط بالثقافة أو علقة قلبيّة بالفضائل الأخلاقيّة أو معرفة بالدراسات التاريخيّة يعترف بأحداث كربلاء الحسين عليه السلام وآثارها العظيمة، ومن هذا المنطلق يقع في حبّ هذا الإمام العظيم. إنّ الروح الإنسانيّة العطشى حين تواجه شخصيّة نادرة كشخصيّة الحسين بن علي عليه السلام بعد الوقوف على أنوار فضائلها الإنسانيّة لتقفُ بنحو من الخشوع والخضوع والتواضع أمام هذه العظمة. ويستوي في ذلك المسلم والكافر والشيعي والسنّي. وحينئذٍ فهل ترتّب جميع هذه الآثار المباركة الناشئة عن معرفة الحسين بن علي عليه السلام وسائر الأئمّة ـ بما أنّهم معصومون ـ الموجبة لإحياء الإنسان حياة طوبى عقليّة وتحريره من مغبّة الوقوع في الميتة الجاهليّة على هذا النحو من المحبّة والمعرفة أم لا؟

يُستفاد من جملة من الروايات نحو قولهم عليهم السلام: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً**»[1] وقولهم عليهم السلام: «**اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأُولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان**»[2] أنّ معرفة الإمام تبعث على الحياة العقليّة وتوجب البعد عن الميتة الجاهليّة، كما تشير تلك الروايات إلى أنّ من خصائص هذا الإمام العمل بالمعروف وإقامة العدل والإحسان. وبعبارة أُخرى: يلزم معرفة حقيقة إمامة الإمام المعصوم، لا مجرّد التعرّف عليه والانجذاب نحو فضائله الإنسانيّة خاصّةً.

---

١ . كمال الدين ٢: ٨١، الباب ٣٨، الكافي ٢: ١٩ و٢١، باب دعائم الإسلام، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣: ٢٤٢، الخطبة ٢٣٨.

٢ . التوحيد: ٢٥٨، باب أنّه عزّ وجلّ لا يُعرف إلاّ به.

و من أدرك أنّ الإمام وليّ الله وخليفته وأنّه إنسان كامل معصوم مفترض الطاعة، عرف أنّ الإمام حيّ حاضر شاهد على أعمالنا وأنّه صاحب مقام الشّفاعة في يوم القيامة كما أنّ هناك جملة من الآثار المطلوبة المترتّبة على معرفة الإمام توجب الكمال في الحياة العقليّة و الاتّقاء من الميتة الجاهليّة.

وانطلاقاً من أنّ معرفة أيّ موجود إنّما تتحقّق في ظلّ آثاره الوجوديّة ـ كما هو الشأن في النموّ والتوالد ونحوهما من آثار الحياة النباتيّة ولذا كان كلّ ما ترشّح منه هذه الآثار نباتاً ـ فإنّ الإنسان حينما يتّصف بالإنسانيّة تترشّح منها الحياة الطيّبة، كما اُشير إليه آنفاً في الآية الشريفة: ﴿**لِيُنْذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[1] ومعه لا يكون للكافر أيّ حظّ في تلك الحياة. ثمّ إنّ الكفر لمّا كان في مقابل الإيمان، كان ظهور نور الإيمان في ظاهر الإنسان و باطنه من آثار الحياة الإنسانيّة الطيّبة. فالمجتمع الذي لا يتوفّر على نور الإيمان لا حظّ له من الحياة الإنسانيّة الحقيقيّة، ولا يعقل أن يندرج تحت المجتمعات الإنسانيّة، ولو أحاط ببعض خصال الوجود الأخلاقي الأمثل للإمام عليه السلام.

ومن جهة اُخرى فإنّ سطوع النور والتوفّر على الحياة الإنسانيّة منوطٌ بمعرفة الإمام المعصوم في كلّ عصر: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً**».[2] وعليه فعلى كلّ مسلم السعي للوصول إلى معرفةٍ عميقةٍ ومثمرةٍ بالإمام المعصوم لكلّ عصرٍ حتّى يحيى حياة إنسانيّة، والمجتمع الّذي يصل أفراده إلى الحياة الإنسانيّة الطيّبة يكون في تمام شؤونه مجتمعاً إنسانيّاًمتفكّراً واعياً.

---

١ . سورة يس، الآية: ٧٠.

٢ . كمال الدين ٢: ٨١، الباب ٣٨، الكافي ٢: ١٩ و٢١، باب دعائم الإسلام، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣: ٢٤٢، الخطبة ٢٣٨.

ولغرض الوصول إلىٰ أقصىٰ درجات هذه المعرفة السامية والإدراك العميق لكلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، يلزم معرفة المنكر ومعرفة المعروف. ويُلاحظ: أنّ كلّ ما اعترف به العقل والقرآن والسنّة فهو معروفٌ، وكلّ ما لم يعترف به فهو منكرٌ، أي: كلّ ما لم يُعرف بالعقل البرهاني وبالنقل المعتبر: كالحسد والكِبر والأنانيّة والخيلاء والتفاخر والحرص والإسراف وأمثال ذلك فهو منكرٌ؛ لأنّها ممّا لا يرضى بها القرآن والسنّة والعقل البرهاني الصريح. وفي المقابل تكون الصفات النفسانيّة الحسنة والفضائل العلميّة والعمليّة المسلّمة لدىٰ العقل والنقل من جملة الكمالات وعوامل المعروف.

وفي إطار المثلّث المبارك الذي رسمه أمير المؤمنين عليه السلام ليس الإمام من يأمر وينهىٰ، بل هو فوق الأمر والنهي، فالإمام من كانت له سيرة معروفة وعمل بالعدل والإحسان. كما أنّ من عرف الإمام من خلال هذه السيرة العلميّة والعمليّة، انساق إلىٰ الاقتداء والائتمام به. وهذه المعرفة الولائيّة بالإمام المعصوم توجب الاعتقاد بأنّ الإمام وليّ الله والشهادة بأنّ سيرته المباركة ليست إلاّ الأمر بالمعروف والعدل والإحسان.

ويقرب من هذا المعنىٰ ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام[1] أنّه سُئل: ما هي علائم الإمام التي بها يكون وليّاً لله، فقال عليه السلام: **«تعرفه بالحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه، ولا يحتاج إلى أحدٍ»**.[2] وإن شئت قلت: إنّ المعرفة الكاملة بالإمام تتحقّق بإحلال حلال الله وتحريم حرامه، فيكون مورد احتياج الناس إليه علميّاً وعمليّاً دون أن يحتاج إلىٰ الآخرين.

---

١ . راوي الحديث ـ الحارث بن المغيرة ـ من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصّادق والإمام الكاظم عليهم السلام. راجع رجال العلاّمة: ٥٥، ورجال النجاشي: ١٣٩.

٢ . الغيبة، النعماني: ٢٤٢، الباب ١٣.

تحقّق الحياة الطيّبة بمعرفة الإمام

ظهر لنا فيما سبق ضمن الحديث عن قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1] نحو التقابل بين الحياة والكفر في هذه الآية، واتّضح أنّ الكافر لا حظّ له في الحياة الإنسانيّة والإلهيّة وأنّ الحياة الحقيقيّة ممّا يختصّ بها أهل الإيمان، كما أنّ الجهل بإمام الزمان عجّل الله فرجه ممّا يوجب الميتة الجاهليّة. وأمّا من عرف إمام زمانه حضى بالحياة العقليّة والإيمانيّة، مع أنّ حياة المؤمنين إنّما هي باتّباع الدين الإلهي، ألا وهو الإسلام: ﴿وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلامَ دِيناً﴾[2] كما أنّ حياة المؤمنين تقع مورداً لرضى الله تعالى.

ولا يخفى: أنّ الحياة العقليّة المحمودة عند الله متوقّفة على معرفة الإمام في كلّ عصر، ولذا ينبغي السعي وراء كشف الخصائص العمليّة للمعرفة ومدى ارتباطها بالإمام؛ لأنّ هذا المعنى يقودنا من العلم إلى العيان ومن الخبر إلى اليقين. وعند ذلك يحصل الاتّصال بالوجود المبارك للإمام، فيوصل صاحبه إلى حقّ اليقين حتّى يكون حقّاً حيّاً. وهذا الأمر المهمّ وإن أمكن تحصيله، إلاّ أنّه صعبٌ مستصعبٌ يحتاج إلى طيّ مسيرٍ شاقٍّ ووعرٍ.

الإمامة حاجة بشريّة ونعمة إلهيّة

ملاك الحاجة إلى النبي والإمام

لا شكّ في احتياج كلّ جماعة إلى قائدٍ كفؤٍ قادرٍ على إدارة أُمورهم وإيصالهم إلى برّ الأمان: «**لا بدّ للنّاس من أمير برٍّ أو فاجرٍ**»[3]. أمّا مسألة الإمامة والولاية

١ . سورة يس، الآية: ٧٠.
٢ . سورة المائدة، الآية: ٣.
٣ . نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.



فهي أعلىٰ شأناً ومرتبة من إدارة وتسيير أُمور الناس الدنيويّة، كما أنّ حاجة الناس إلىٰ الإمام لا تنحصر في هذه الأمور المذكورة فحسب.

وقد استدلّ بعضهم علىٰ ضرورة النبوّة والإمامة بالقول: إنّ الإنسان لمّا كان موجوداً اجتماعيّاً مدنيّاً، كان النظم ضروريّاً له في السير نحو الحضارة والمدنيّة، وهو ممّا لا يمكن تحقّقه إلاّ في إطار وجود القانون. ولا يمكن ضمان وضع القوانين والسهر علىٰ تطبيقها إلاّ بوجود مستمرٍّ للأنبياء وللأئمّة لبقاء النظم وتقدّم المدنيّة.[1]

لقد انتقد الخواجة نصير الدين الطوسي رحمه الله هذا البرهان قائلاً: إنّ هذا البيان غير تامّ لاثبات ضرورة النبوّة والإمامة؛ لأنّ هناك مجتمعات لا تتّبع أيّ دين ولا تأتمّ بأيّ نبي ولا إمامٍ، إلاّ أنّها تعيش حياةً أفضل من حياتنا، وللمدنيّة قانونها ونظامها اللذان يؤمّنان لها دنياها. وعليه فليست ضرورة النبوّة والإمامة نابعة من هذه الجهة، بحيث تستقيم دنيانا بهم، بل من جهة كوننا موجودات أبديّة عليها أن تطوي مسيراً طويلاً. وهذه الأبديّة والمسير اللامتناهي الذي يطلق عليه المعاد يتطلّب طيّه وصولاً إلىٰ السعادة الأبديّة بعثة الأنبياء عليهم السلام ونصب الأئمّة عليهم السلام. ولو كنّا بعد الموت نفنىٰ ونعدم كالنباتات، فإنّ ضرورة النبوة والإمامة تؤمّن الحاجة إلىٰ القانون وحلّ معضلات النظام الإجتماعي فحسب. أمّا بعد الموت فالقبر والبرزخ والقيامة وتطاير الكتب والحساب والميزان والصراط والجنّة أو نار جهنّم ممّا لا يمكن الفرار عنها، ما يلزم أن يكون لنا أدنىٰ اطّلاعٍ علىٰ أعماق الحقائق وكمالات الوجود لنكون في مواجهة الحياة الأبديّة والسير إليها.

إنّ كلّ خاطرة تمرّ في أذهاننا وكلّ عمل نقدم عليه له ارتباط بأبديّتنا، فلابدّ

---

١. راجع گوهر مراد: ٣٦٠ ـ ٣٦١، والميزان في تفسير القرآن ٢: ١١٥ ذيل تفسير الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

من اكتساب العقيدة الحقّة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة لتحفظنا وتيسّر لنا العبور من الموت إلى البرزخ ومنه إلى الجنّة. إنّ تأمين هذه الحاجة ينحصر في وجود كلام يتناول بالبحث الماضي والمستقبل معاً، وهو ما جاء به الرسل من قِبل الذات الإلهيّة المقدّسة وما أخذه الأئمّة من هؤلاء الرسل.[١]

تذكير

وليتفطّن: أنّ هذه النكتة التي أفادها المحقّق الطوسي رحمه الله قد استخرجها و استنبطها من متن كلام الشيخ الرئيس؛ إذ إنّ ابن سينا طرح بحث النبوّة في ثنايا أبحاث العبادة والزهد والعرفان في ضمن كلامه عن الفرق الدقيق بين العابد والزاهد و العارف. وما ورد في كلام المحقّق الطوسي إنّما هو بيان لكلمات ابن سينا ذات المعاني العميقة، لا أنّها نقدٌ له.

هذا وقد بيّن سائر تلامذة مدرسة القرآن والعترة ضرورة بعثة الرسل ونصب أئمّة الحقّ ضمن صورٍ بيانيّةٍ مختلفةٍ، كما تطرّقوا إلى تقييم الملاكات المختلفة لها. ولعلّ أبرز من أشار إلى ذلك هشام بن الحكم حسبما رواه الكليني رحمه الله في مناظرته مع عمرو بن عبيد المعتزلي كما يلي: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟**». فقال هشام: يا ابن رسول الله، إنّي أجلّك واستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**إذا أمرتكم فافعلوا**». قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه، دخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقةٍ كبيرةٍ فيها عمرو بن عبيد (الذي ينكر الولاية والإمامة)... فقلت له: ألك عين؟ فقال:

١. راجع شرح الإشارات والتنبيهات ٣: ١٠٣٣ ـ ١٠٣٥، النمط التاسع، إشارة في إثبات النبوّة والشريعة.

يا بنيّ، أيّ شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يا بنيّ، سل وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها. قال لي: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرىٰ بها الألوان والأشخاص. قلت: فلك أنف؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أتذوّق به الطعم. قلت: فلك أذن؟ قال نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت: ألك قلب؟ قال نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أُميّز بها كلّ ما ورد علىٰ هذه الجوارح والحواس. قلت: أوليس في هذه الجوارح غنىٰ عن القلب؟ فقال: لا. قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بنيّ، إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلىٰ القلب، فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ. قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح. قال: نعم. قلت: لا بدّ من القلب، وإلاّ لم تستيقن الجوارح. قال: نعم. فقلت له: يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالىٰ لم يترك جوارحك حتّىٰ جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويتيقّن به ما شُكّ فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟

وحينما سمع الإمام الصّادق عليه السلام هذا الاستدلال ضحك وقال: «من علّمك هذا؟». قلت: شيء أخذته منك وألّفته. فقال: **«هذا والله مكتوبٌ في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام»**.[1]

ويتجلّىٰ مركز ثقل هذا البرهان في إثبات أبديّة البشريّة وضرورة احتياجهم إلىٰ المعلّم المصحّح لعقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم التّي هي روح الحقيقة الأبديّة، ما يكشف عن ضرورة وجود الأنبياء والأئمّة عليهم السلام.

---

١. الكافي ١: ١٦٩ ـ ١٧١، كتاب الحجّة، باب الاضطرار إلىٰ الحجّة.

الإمامة منّة ولطف إلهي دائم

ذكر القرآن الكريم جملة من النعم الإلهيّة، وأشار الله تعالىٰ إلىٰ أنّ تلك النعم لا تحصىٰ ولا تعدّ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[1] كما سمّي النعم العظمىٰ بأنّها منٌّ و أنّ بعثة الأنبياء ونصب الأئمّة من أكبر المنن: ﴿لَقَد مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولا﴾[2] و ﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُم الوَارِثِين﴾.[3]

لقد تحدّثت الآية الأولىٰ عن النبوّة بالفعل الماضي: ﴿منّ الله...﴾ لأنّ النبوّة قد انتهت وإن كان أصل الدين مستمرّاً وباقياً ما بقي الدهر. وأمّا الآية الثانية فقد عبّرت عن المنّ بالإمامة بالفعل المضارع الكاشف عن التدريج والاستمرار، وكأنّها تريد القول بأنّ الله تعالىٰ ينصب الأئمّة علىٰ نحو الدوام والاستمرار، وأنّه سوف يوصل المستضعفين إلىٰ مقام الإمامة. كما أنّ الفعل المضارع يفيد أنّ الأرض لا تخلو من إمامٍ؛ إذ ما دام هناك جوامع بشريّة علىٰ الأرض كانت بحاجةٍ إلىٰ وجود إمامٍ معصومٍ قائمٍ بالحقّ.

ولـمّا كانت الإمامة منّة إلهية، كانت نعمة مستمرّة يستفيد منها الناس دوماً، ما يلزم أن يكون في كلّ عصرٍ إمامٌ هو في عالم الملكوت عالمٌ كبيرٌ، وإن كان مستضعفاً في الأرض، وأمّا من كان في باطنه ضعيفاً فقيراً، فلا يعقل أن ينال هذا المقام الرفيع ولو كان معزّزاً مكرّماً في الأرض.

ومن لم يعرف أعظم النعم الإلهيّة ولم يدرك أنّها من لطف الله، كان محروماً من إدراك النكات الدقيقة واللطائف الرقيقة ، ومعه لن يكون قد حرم نفسه من

---

١ . سورة النّحل، الآية: ١٨.

٢ . سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

٣ . سورة القصص، الآية: ٥.



التنعّم بثمرات هذه النعم فحسب، بل سيقف أيضاً في مقابل من عرف نعمة الله وأدّىٰ شكرها، فيعارض قول الشيعة الإماميّة قائلاً بأنّ هؤلاء يعتقدون بأنّ الإمامة لطف إلهي، مع أنّ اللطف الإلهي بالضرورة صادر عن الذات الربوبيّة المقدّسة وعن مقتضىٰ ما (يجب عن الله). وعليه فلابدّ من إمام: إمّا مستورٍ وإمّا مشهودٍ. وإذا اعترفنا بأنّ الإمامة لطفٌ، لم يكن ما ستعتقد به لطفاً؛ إذ إنّ الإمام الذي لا يرىٰ الناس ولا يرونه ولا يمكن أن تربطه بالناس صلة ولا يقدر أحد علىٰ الاتّصال به ليس من اللطف في شيءٍ. وما تزعمون أنّه لطفٌ إنّما ينحصر في الإمام الحيّ الحاضر الناظر الذي يراه الناس، فيمكن لهم أن يعرضوا عليه احتياجاتهم. كما أنّه ينبغي أن يأخذ علىٰ عاتقه مسؤوليّة إدارة أُمور الناس وإجابة مسائلهم العلميّة والعمليّة ورفع ما يعترضهم من معضلاتٍ. وعليه فلو كانت قاعدة اللطف صحيحةً تامّةً ولو التزمنا بمفاد كبرىٰ القضيّة، لم يمكن الالتزام بصغراها،كما هو ظاهرٌ.

ومع أنّ هذا النحو من البحث يرتكز علىٰ الجهل بحقيقة الإمامة في المذهب الجعفري، إلاّ أنّ جواب المحقّق الطوسي رحمه الله في شرح التجريد علىٰ إيجازه يعدّ ردّاً شافياً جامعاً علىٰ هذا التشكيك. يقول المحقّق: إنّ وجود الإمام لطفٌ وتصرّفه حال غيبته (في أمور المسلمين بالأمر أو النهي أو الصدّ) لطفٌ آخر. أي: إنّ غيبة الإمام وعدم تصرّفه ـ حسب رأينا ـ لطفٌ. وبعبارة أُخرىٰ: وجود الإمام ـ وإن كان مستوراً ـ لطف إلهي ومنّة إلهيّة عظيمة.[1]

إنّ من كانت لديه بصيرة نافذة فأدرك أنّ النبوّة والإمامة منّةٌ من الله تعالىٰ ولطفٌ عظيمٌ منه، يتمكّن من معرفة الإمامة، فيكون عارفاً بالإمام وتابعاً له، كما

---

١ . راجع كشف المراد: ٣٨٨ ـ ٣٩٠، المقصد الخامس، المسألة الأُولىٰ.

يستنير في حياته المعنويّة بأنوار الولاية التي هي ماء الحياة الحقيقي الذي تشربه روحه، فلا تظمأ بعده أبداً.

إنّ ماء الحياة ليس من سنخ المطر أو الثلج الذين ينزلان من السماء، كما أنّه ليس من قبيل مياه العيون النابعة من باطن الأرض، بل هو ماءٌ نابعٌ من باطن النفس وفائضٌ علىٰ القلب. ولهذا السبب يبقىٰ العلماء العاملون دوماً أحياء: «**هلك خزّان الأموال وهم أحياءٌ، والعلماء باقون ما بقي الدهر**».[1]

ومن كنز الذهب والفضّة وإن كان في الظاهر حيّاً، إلاّ أنّه في الباطن ميّتٌ؛ لاقتصار حياته علىٰ المستويين النباتي والحيواني، فلا حظّ له في الحياة الإنسانيّة الطيّبة. أمّا العلماء الحقيقيّون والأتقياء الطاهرون فهم أحياءٌ حتّىٰ بعد موتهم؛ لأنّ لهم حظّاً كبيراً من الحياة الإنسانيّة، فتفيض من أرواحهم عينٌ تجري بماء الحياة.

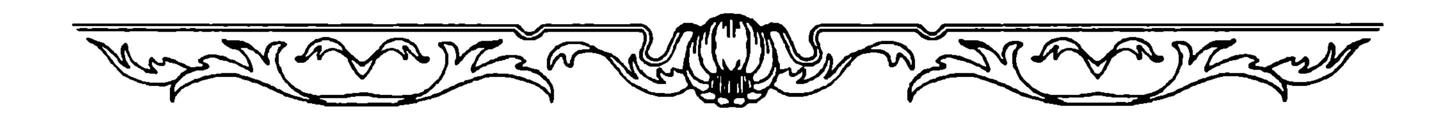
* * *

---

١ . نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.

الفصل الثاني:

الإمامة الخاصّة



استمرار الولاية من لدن إبراهيم عليه السلام إلى إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف

نيل إبراهيم وذريّته الصالحة الإمامة

ينقسم أبناء إبراهيم عليه السلام إلى محسنٍ وظالمٍ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾.[1]

أمّا المحسن فهو من أحسن لنفسه ولغيره، فمن يحسن لغيره ولا يحسن لنفسه لا يكون محسناً. وبعد التأمّل فيما مرّ ذكره وما ورد في الآية الكريمة التي خاطب

---

١ . سورة الصّافّات، الآية: ١١٣ . ويُلاحظ: أنّ ضمير التثنية (هما) في الآية يعود إلى إبراهيم وإسحاق عليهما السلام. ولمّا كان إسحاق نفسه ابن إبراهيم عليه السلام، كانت ذرّيّة إسحاق ذرّيّة إبراهيم عليهما السلام.



فيها الله تعالى خليله: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين﴾[1] يُستفاد أنّ عهد الإمامة إنّما يناله المحسنون. وفي ضوء تقسيم ذريّة إبراهيم عليه السلام إلى محسنٍ وظالمٍ وبيان أنّ عهد الإمامة لا يناله الظالمون منهم، فإنّ افتراض عدم نيل المحسنين منهم للعهد الإلهي يجعل هذا التقسيم أمراً عبثيّاً و تقييداً بلا موجبٍ. وبما أنّ كلام الذات الإلهيّة المقدّسة منزّهٌ عن اللغو والعبث، يكون هذا الافتراض باطلاً من أساسه.

وعلى أساس البرهان المذكور يصل عهد الإمامة إلى كافّة أبناء إبراهيم عليه السلام المحسنين، أي: إنّ الأنبياء والأولياء الذين ينحدرون من ذرّيّة إبراهيم عليه السلام أئمّة محسنون صالحون. ومع أنّ القرآن الكريم لم يصرّح بإمامة عددٍ كبيرٍ من الأنبياء الإبراهيميّين: كموسى وعيسى والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّه على أساس البرهان المذكور يحصل القطع بأنّ جميع أبناء وذريّة إبراهيم عليه السلام المحسنين الصالحين ـ ابتداءً بإسماعيل وإسحاق ومروراً بموسى وعيسى وخاتم الأنبياء ومنه صلى الله عليه وآله إلى الوجود المبارك وذخيرة العالم الحجّة بن الحسن المهدي عجل الله فرجه ـ نالوا مقام الإمامة.

مع أنّ تجلّي الأنوار الساطعة للولاية والإمامة (في التكوين والتشريع) في الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أقوى سطوعاً من ضياء الشمس. وعلى هذا الأساس لا مجال لإنكار استمرار عهد الإمامة ومقام النبوّة عنده صلى الله عليه وآله إلاّ أنّ توهّم انقطاع البشر عن الولاية التشريعيّة بعد انتقال خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله إلى جوار ربّه أدّى إلى توهّم أنّ السلسلة النوريّة للإمامة والولاية وإن كانت مستمرّةً من لدن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام إلى الوجود المبارك لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّها قد انقطعت بعد انتقال الوجود الشريف لخاتم الأنبياء إلى جوار ربّه، فانقطع البشر عن الاستفادة منها بعد رحيله!

---

١ . سورة البقرة، الآية: ١٢٤.



والحقّ: أنّ ما ذُكر توهّمٌ محضٌ وعقيدةٌ خاطئةٌ؛ إذ إنّ أوصياء الأنبياء ـ لا سيّما الأئمّة المعصومين عليهم السلام من ذريّة نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله ـ وإن لم يكونوا أنبياء، إلاّ أنّ لديهم حضوراً نبويّاً، فلا يوحىٰ إليهم وحياً تشريعيّاً ليأتوا بحكمٍ جديدٍ، إلاّ أنّهم يستفيدون من مقام الولاية للقيام بعمل الأنبياء؛ لأنّ الولاية الباطنيّة للأنبياء حاضرة وظاهرة في الإمام المعصوم. وهذه الولاية ليست ولاية معنويّة تتمركز حول القرب عبر أداء الفرائض والنوافل فحسب، بل تتعدّىٰ إلىٰ الولاية التشريعيّة وإلىٰ قيادة الأُمّة علىٰ طول الزمان: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1]؛ إذ تنحصر الولاية في الله والرسول ومن آمن وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة حال ركوعه.

لقد أكّد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله بوجوده الشريف في غدير خمّ علىٰ الإشارة إلىٰ هٰذه الولاية قائلاً: «**ألست أولى بكم من أنفسكم**»؟ وبعد أن كان جوابهم بالإيجاب قال: «**فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه**».[2]

وعلىٰ هذا الضوء تشمل ولاية الإمام المعصوم ـ بالإضافة إلىٰ ما مرّ ـ محلّ النزاعات بين الناس وبيان الوحي الإلهي، وبالجملة كلّ ما يحتاج إليه المجتمع الحيّ. هذا وقد وصل منصب الولاية والإمامة بعد انتقال نبي الإسلام صلى الله عليه وآله إلىٰ ربّه إلىٰ الوجود المبارك لعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد تنصيبه من قبل الله بواسطة النبي الذي استعان بالبرهان في إثبات ولايته وخلافته. وبقدر المجال المتاح لديه دعا إلىٰ حكم الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن؛ ليحلّل ما أحلّ الله ويحرّم ما حرّم الله.

---

١ . سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٢ . الإرشاد ١ : ٨ و١٧٦، التوحيد: ٢١٢، الباب ٢٩، كشف الغمّة ١ : ٢٣٧، وبحار الأنوار ٢١: ٣٨٧، كتاب تاريخ نبيّنا صلى الله عليه وآله، أبواب أحواله من البعثة إلىٰ نزول المدينة، الباب ٣٦.

ولو أنّ الأُمّة رضيت بولايته وساعدته الظروف، لاستلم الإمام عليه السلام أيضاً الخلافة الظاهريّة وأدار أُمور المجتمع الإسلامي وعمل على حماية كيان الدين والأُمّة، ما يكون حضور الأمّة ومبايعتها له حينئذٍ حجّة أُخرىٰ له: «**لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر**».[1]

وكما يجب إطاعة حكم الله وحكم رسوله، فكذلك يجب إطاعة حكم الإمام بلا ميز: ﴿**وَما كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَن يَكُونَ لَهُم الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً**﴾.[2]

وحينما يجلس المعصوم الّذي نال هذا المقام السامي علىٰ دفّة خلافة آخر الأنبياء تكون الولاية التشريعيّة وقيادة النبي الخاتم علىٰ أساس قوله تعالىٰ: ﴿**النَّبِيُّ أَولَى بِالمُؤمِنِين مِن أَنفُسِهِم**﴾.[3] وهذه السلسلة التي بدأت بعد رحيل نبي الإسلام محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله شرعت مع الوجود المقدّس لأمير المؤمنين علي عليه السلام وسوف تستمرّ إلىٰ ظهور الوجود المبارك لخاتم الأوصياء الحجّة بن الحسن المهدي عجّل الله فرجه الشريف.

وقد أشار إلىٰ مثال من هذه السلسلة النوريّة مولانا صادق آل محمّد عليه السلام بالبيان التالي: «**إنّ الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله كتاباً قبل وفاته فقال: يا محمّد، هذه وصيّتك إلى النجبة من أهلك. قال: وما النجبة، يا جبرائيل؟ فقال: علي بن أبي طالب وولده. وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وأمره أن يفكّ خاتماً منه ويعمل بما فيه. ففكّ**

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢ . سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

٣ . سورة الأحزاب، الآية: ٦.

أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً، وعمل بما فيه. ثمّ دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام، ففكّ خاتماً، وعمل بما فيه. ثمّ دفعه إلى الحسين عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: أن أخرج بقومٍ إلى الشهادة؛ فلا شهادةَ لهم إلاّ معك، واشر نفسك لله عزّ وجلّ ففعل. ثمّ دفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: أن أطرق وأصمت وألزم منزلك، وأعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين، ففعل. ثمّ دفعه إلى ابنه محمّد بن علي عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: حدّث الناس وأفتهم ولا تخافنّ إلاّ الله عزّ وجلّ؛ فإنّه لا سبيل لأحد عليك ففعل. ثمّ دفعه إلى ابنه جعفر، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: حدّث الناس، وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك، وصدّق آباءك الصّالحين، ولا تخافنّ إلاّ الله عزّ وجلّ وأنت في حرز وأمان ففعل. ثمّ دفعه إلى ابنه موسى عليه السلام، وكذلك يدفعه موسى إلى الذي بعده، ثمّ كذلك إلى قيام المهدي عجّل الله فرجه».[1]

بشارة الأئمّة بصاحب العصر عجّل الله فرجه

من بين الوظائف المختلفة للأنبياء عليهم السلام التصديق بالأنبياء السابقين لهم والبشارة بالأنبياء اللاحقين: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[2] و ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي﴾[3].

ولجميع الأنبياء حقيقةٌ واحدةٌ، كما أنّهم يتكلّمون عن ذاتٍ واحدةٍ، ويسعون إلى سوق الناس نحو هذا المبدأ الواحد. ولهذا السبب كلّما بُعث نبي، أيّد النبي السابق عليه، وبشّر بالنبي اللاحق له.

---

١ . الكافي ١: ٢٧٩ ـ ٢٨١، باب أنّ الأئمّة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلاّ بعهدٍ من الله عزّ وجلّ... .

٢ . سورة البقرة، الآية: ٩٧.

٣ . سورة الصفّ، الآية: ٦.

كما أنّ الأئمّة عليهم السلام بدورهم يسعون إلى تهيئة الأمر لظهور الإمام اللاحق لهم إلى جانب تصديقهم بالأئمّة السابقين عليهم. إلاّ أنّ بشارة كافّة الأئمّة بظهور الإمام القائم كانت ممّا اختصّ به الوجود المبارك لصاحب العصر عليه السلام الذي هو خاتم الأوصياء. ويدلّ هذا التصديق والتبشير على الانسجام والتناغم بين أفراد سلسلة الولاية، نظير الانسجام والتناغم بين أفراد سلسلة النبوّة والرسالة.

ظهور الكلمة الطيّبة

في فجر النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ شهد عالم الإمكان طلوع شمس الوجود المبارك لخاتم الأوصياء بقيّة الله الأعظم عليه السلام، ففاح هذا العالم بنسيم عطره الفوّاح وتهيّأ لتحقّق الوعد الإلهي بنصرة المستضعفين وإمامتهم للبشريّة: **﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِين﴾**.[1]

إنّ هذا الوجود الشريف مصدر فخرٍ وعزٍّ للجميع؛ لأنّه يمثّل آخر ثمرة معصومة من شجرة آل النبي الطيّبة، ولذا باهى جدّه الأكرم خاتم الأنبياء محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله بوجوده عجّل الله فرجه. فحينما بيّن النبي الأكرم مفاخر أهل بيته عليهم السلام لسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، قال لها: «**إنّا أُعطينا أهل البيت سبعاً لم يعطها أحدٌ قبلنا: ... منّا سبطا هذه الأُمّة، وهما ابناك**»[2]. ثم أتى على ذكر المهدي المنتظر الموعود وموجود عصرنا فقال: «**ومنّا... مهدي هذه الأُمّة**».[3] فباهى صلى الله عليه وآله بوجود المهدي عجّل الله فرجه، وعدّه من مفاخر أهل البيت عليهم السلام.

---

١ . سورة القصص، الآية: ٥.

٢و٣ . الغيبة (الشيخ الطوسي): ١٩١، وبحار الأنوار ٣٦: ٣٧٠، أبواب النصوص على أمير المؤمنين والنصوص على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، الباب ٤١.

الشجرة المهدويّة المباركة عجّل الله فرجه

لا يوجد خلاف بين الفرق الإسلاميّة حول ضرورة وجود المهدي عجّل الله فرجه. نعم، وقع الخلاف بينهم حول شجرة نسبه، فقالت الشيعة الإماميّة: إنّ هناك طائفةً كبيرةً من الروايات الدالّة على صواب عقيدتهم في أنّ المهدي عجّل الله فرجه من الشجرة الطيّبة لآل محمّد صلّى الله عليه وآله، وهو تاسع ذرّيّة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

كما يتبنّى هذه العقيدة عددٌ من كبار المسلمين والعلماء. يقول العلاّمة الشعراني في كتابه الشريف «اليواقيت» نقلاً عن فتوحات العارف المشهور محي الدين بن عربي تحت عنوان (أشراط الساعة):

> أفاد محي الدين في الباب ٣٦٦ من «الفتوحات» ما يلي: اعلم: أنّ خروج المهدي أمر حتمي... وهو من عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن أبناء فاطمة، وجدّه الحسين بن علي، وأبوه الحسن العسكري بن الإمام علي النقي (بالنون) بن محمّد التقي (بالتاء) بن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم (بن الإمام جعفر الصّادق) بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب.[1]

إنّ هذه العناية بالضبط الدقيق لأسماء أهل البيت عليهم السلام وتقييد النون في النقي والتاء في التقي للتفرقة بينهما تدلّ على أهمّيّة الموضوع وهمّة كبار العلماء والمتخصّصين في العلوم الإلهيّة بصيانة أفكار المجتمع الإسلامي، مع أنّه يُلاحظ أنّ الطبعة الجديدة للفتوحات تخلو من هذا التعبير بتمامه، بل استعاضوا عن

---

١ . الفتوحات المكّيّة ٣: ٣٢٧، الباب ٣٦٦. وراجع أيضاً اليواقيت والجواهر: ٤٢٢.

ذلك بعبارة مبهمة مضلّلة: جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب.[1] مع أنّ الشعراني كتب هذه العبارة سنة ٩٥٨ هـ قائلاً: إنّ العمر الشريف للمهدي ﷺ في هذا التاريخ ٧٠٦ سنة.[2] وانطلاقاً من الاختلاف الحاصل بين نقل الشعراني وبين ما هو ملحوظٌ في الطبعات الجديدة للفتوحات يتّضح لنا أنّ يد التحريف امتدّت إلى بعض الكتب التي تتحدّث عن القرآن والعترة، وإن كان متن القرآن محفوظاً مصوناً عن أيّ تحريفٍ و تغييرٍ.

ليلة النصف من شعبان ليلة قدر أهل البيت عليهم السلام

أفاضت ولادة ولي الله ﷺ عظائم البركات على الناس؛ لأنّه عليه السلام خير أهل الأرض[3]، كما أنّ الأثر الوجودي لخير البشر يعمّ تمام أرجاء الأرض وجميع سكّانها. لقد خرج صاحب العصر عليه السلام وآخر حجج الله الذي هو خير أهل الأرض إلى الوجود فجر ليلة النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ، وورد أنّ الليلة المباركة التي شهدت مولد الحجّة ليلة القدر أيضاً، كما ورد استحباب القيام بأعمال ليالي القدر فيها.[4]

والسرّ فيه: أنّ ليلة النصف من شعبان إحدى الليالي المباركة، التي تشبه في فضلها فضائل ليالي القدر، وكما ورد في أفضليّة ليالي القدر أنّها ليلة آلى الله على نفسه ألاّ يردّ سائلاً له فيها ما لم يسأل معصيةً[5]، فقد قال نبي الإسلام

---

١ . الفتوحات المكّيّة ٣: ٣٢٧، الباب ٣٦٦.

٢ . اليواقيت والجواهر: ٤٢٢.

٣ . الكافي ١: ٤٦٧، باب مولد علي بن الحسين عليه السلام، ومن لا يحضره الفقيه ٤: ١٧٧، باب الوصيّة من لدن آدم عليه السلام.

٤ . إقبال الأعمال: ٢١٤، الباب التاسع.

٥ . الأمالي (الشيخ الطوسي): ٢٩٧، المجلس ١١، ووسائل الشيعة ٨: ١٠٦، أبواب بقيّة الصلوات المندوبة، الباب ٨.

الأكرم ﷺ حول فضيلة ليلة النصف من شعبان: «**إنّ الله عزّ وجلّ ليغفر في هذه الليلة من خلقه أكثر من عدد شعر معزى بني كلب**».[1] وهذا التعبير كناية عن كثرة المغفرة في هذه الليلة المباركة.

كما ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام بيانٌ نوراني حول ليلة النصف من شعبان يدلّ على أنّ هذه الليلة في حدّ ذاتها لها إحدى درجات تقدير الأمور. كما قال عليه السلام حول أعمال هذه الليالي المباركة: «**إنّها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبيّنا** ﷺ»[2] فكما كان للنبي ﷺ ليلة قدر، فقد كان لأهل البيت عليهم السلام ليلة قدر، هي ليلة النصف من شعبان.

وجواباً عن سؤالٍ حول فضيلة ليلة النصف من شعبان، أفاد الإمام الباقر عليه السلام: أنّ أفضل الليالي بعد ليلة القدر هي ليلة النصف من شعبان؛ حيث منح الله تعالى فضله لعباده، وأنزل عليهم رحمته ومنّه وكرمه. فعلى العباد أن يجتهدوا في هذه الليلة لتحقيق القرب الإلهي؛ لأنّ الله تعالى أقسم أن لا يردّ طالب حاجة في هذه الليلة ما لم يرتكب معصية. قال عليه السلام: «**هي أفضل ليلةٍ بعد ليلة القدر: فيها يمنح الله تعالى العباد فضله، ويغفر لهم بمنّه. فاجتهدوا في القربة إلى الله (تعالى) فيها؛ فإنّها ليلةٌ آلى الله تعالى على نفسه ألاّ يردّ سائلاً له فيها ما لم يسأل معصيةً ... فاجتهدوا في الدعاء والثناء على الله**».[3]

كما قال رسول الله ﷺ لعائشة حول ليلة النصف من شعبان بأنّ فيها تكتب الآجال، وتقسم الأرزاق، ويغفر ذنوب العباد أكثر من عدد شعر معزى بني

---

١ . فضائل الأشهر الثلاثة: ٦١، وبحار الأنوار ٩٤: ص٨٦، الباب ٥٧.

٢ . الأمالي (الشيخ الطوسي): ٢٩٧، المجلس ١١، مصباح المتهجّد: ٧٦٢، صلاة أُخرى في هذه الليلة، وبحار الأنوار ٩٤: ٨٥، الباب ٥٧.

٣ . الأمالي (الشيخ الطوسي): ٢٩٧، المجلس ١١.



كلب، وتنزل فيها الملائكة إلى السماء الدنيا وإلى أرض مكّة. قال ﷺ: **«أما تعلمين أيّ ليلة هذه؟ إنّ هذه الليلة ليلة النصف من شعبان: فيها يُكتب آجالٌ، وفيها تقسم أرزاقٌ. وإنّ الله (عزّ وجلّ) ليغفر في هذه الليلة من خلقه أكثر من عدد شعر معزى بني كلب، وينزل الله (عزّ وجلّ) ملائكةً إلى السماء الدنيا وإلى الأرض بمكّة»**.[1]

سرّ التماثل بين ليلة ميلاد صاحب العصر ﷺ وليلة القدر

الإنسان الكامل المعصوم ـ الذي أظهر مصاديقه العترة الطاهرة ـ عدل القرآن الكريم، ولا يمكن أن يفترقا، حسبما ورد في حديث الثقلين المتواتر. القرآن الكريم تجلٍّ للكتاب التدويني الإلهي، والإنسان الكامل المعصوم تجلٍّ للكتاب التكويني الإلهي. وكما أنّ القرآن الكريم نزل في ظرف زماني معيّن هو ليلة القدر، فكذلك تجلّي الإمام المعصوم وتنزّله من مخزن الغيب الإلهي في ظرف زمان خاصّ هو ظرف شخصي لليلة القدر؛ فإنّه وإن كان للزمان والمكان حظّ من القداسة، إلاّ أنّ روح الشرف الزماني إنّما هو ارتباط بذلك الزمان، كما أنّ أصل الفخر المكاني إنّما هو ارتباط بذلك المكان.

وفي ضوء هذا البيان الجامع فإنّ مولد ولي الله المعصوم ـ الذي هو كونٌ جامعٌ وعدلٌ للقرآن الكريم ـ يستلزم أن تكون حقيقته أو نبوّته أو إمامته نظيراً لليلة القدر. وعلى هذا الأساس فما ورد حول الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد خاتم الأولياء ﷺ يبتني على تطابق حقيقة هذه الذوات المباركة مع ليلة القدر أو الإشارة إلى ولادتهم بعنوان أنّها ليلة قدر، وهو من سنخ التمثيل لا التعيين، كما ورد في دعاء ليلة مبعث الرسول الأكرم ﷺ من جريان التجلّي

---

١ . فضائل الأشهر الثلاثة: ٦٢، وبحار الأنوار ٩٤: ٨٩، الباب ٥٧.

الأعظم: «**اللّهمّ إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المعظّم والمرسل المكرّم**».[١]

وتكشف الروايات الواردة المعصومين عليهم السلام عن وجود ارتباط وثيق بين القرآن والعترة، كما ورد بوضوح في حديث الثقلين، ما يدلّ على عدم افتراق هاتين الحقيقتين وأحكامهما. كما أنّ هذا الترابط يجري في مقام المعرفة. لقد استعان الأئمّة المعصومون عليهم السلام بالقرآن الكريم للتعريف بأنفسهم، كما أشاروا إلى حقائقهم لغرض التعريف بالقرآن الكريم؛ نظراً إلى عدم إمكان التعرّف على أحدهما مع قطع النظر عن الآخر.

ولمّا كان خاتم الأوصياء الحجّة بن الحسن المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف عصارة فضائل أهل بيت الوحي عليهم السلام، بل محور فضائل الكمّل من الأولياء، فإنّ الظرف الزمانيّ لتجلّيه يكون مخزناً للغيب الإلهي في نشأة الملك، ويختصّ يوم مولده عن سائر الأيّام المباركة ومواليد حجج الله عليهم السلام، ليصل هذا الظرف إلى مرتبة ليلة القدر، بل يعدّ ليلة مولده من الليالي التي يحتمل أن تكون ليلة القدر.

وكأنّ عصرنا الحاضر ـ الذي يكون زمن ولايته زمن ولاية آخر معصوم ـ يمثّل تشكّل مقدّرات العالم بتمامه بدءً من ليلة النّصف من شعبان إلى أن يتّخذ صورة ثبوتيّة له في ليالي القدر في شهر رمضان المبارك.

عيد ميلاد إمام العصر عليه السلام

يرى القرآن الكريم أنّ إحياء وتعظيم آيات الله من علامات تقوى القلوب ومن أوصاف المتّقين: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[٢]

---

١ . البلد الأمين: ١٨٣، ذكر عمل السنة، شهر رجب.

٢ . سورة الحجّ، الآية: ٣٢.

والوجود المبارك للإمام المعصوم أفضل الآيات والعلامات لتلك الذوات القدسيّة الإلهيّة، كما أنّ الاحتفال بالمواليد وإقامة مراسم التعزية في أيّام شهادتهم من مصاديق تعظيم شعائر الله سبحانه. ومن أفضل الأعمال التي ينبغي القيام بها إظهار السرور والاحتفال بمواليد أئمّة الهداية، لا سيّما ولادة إمام العصر عليه السلام، الذي يعدّ من كراماته بقاء بلاده وبقاعه بقدر الإمكان محفوظةً من الأخطار إلى زمان ظهوره.

نعم، هناك أعمال يقوم بها بعض الأفراد في مثل هذه الأعياد الشريفة من قبيل تقديم الحلويّات أو إشعال فوانيس تكون مدعاة للبهجة والسرور، إلاّ أنّ هذه الأعمال لا ربط لها بالمولد الشريف لعصارة الوجود؛ إذ إنّنا نجد هذه الممارسات نفسها رائجة في الصين الشيوعيّة واليابان وسائر الدول الإلحاديّة في الأعياد الوهميّة عندهم، ممّا لا حظّ لها من الحقيقة. مع أنّه يلزم تزيين هذه الاحتفالات العظيمة والأيّام المباركة ببرامج وأعمال تتناسب مع مولود هذا العيد. وإذ كان من إفرازات ظهور بقيّة الله الأعظم عليه السلام بلوغ عقول الناس أعلى المراتب وتفتّق كنوز الفهم البشري في ذلك الزمان السعيد، لذا يفضّل إيلاء العناية بما يساهم في تنمية الفضائل وتكامل أفهام الناس وحلومهم، وهي جملة الأُمور والشروط التي يسعى منتظروا الحجّة أن يحقّقوها في أنفسهم. فمن سعى إلى تحصيل الفهم والتعقّل، كان أهلاً لتعظيم وإحياء مولد الحجّة بن الحسن عجّل الله فرجه والتحلّي بصفات أهل الانتظار.

طرق معرفة إمام العصر عجّل الله فرجه

وتبقى غيبة إمام العصر من أهمّ المسائل الأصيلة في تاريخ الفكر الإسلامي، ولذا كان المعصومون عليهم السلام ابتداءً بالنبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وانتهاءً بالإمام

العسكري عليه السلام يشيرون مراراً وتكراراً إلى وجوده المبارك، كما أنّ المجاميع الروائيّة الشيعيّة وغيرها التي تتناول هذا الموضوع وأبعاده وآثاره ونتائجه لم تبلغ حدّ الاستفاضة فحسب، بل تجاوزت حدّ التواتر المعهود.

يقول محمّد بن عثمان العمري[1]: سمعت أبي يقول: سُئل أبو محمّد الحسن بن علي وأنا عنده عن الخبر الّذي روي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليةً**». فقال عليه السلام: «**نعم، إنّ هذا حقّ، كما أنّ النهار حقّ**». فقيل له: فمن الحجّة ومن الإمام بعدك؟ فأشار الإمام العسكري عليه السلام إلى الاسم المبارك لصاحب العصر عليه السلام ثمّ قال: «**أما إنّ له غيبةً يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون...**».[2]

وعلى هذا الضوء تكون غيبة صاحب العصر عليه السلام امتحاناً صعباً لكثيرٍ من الناس، فمنهم من يمتلئ ذهنه بالشكوك والشبهات، ومنهم من يقول: كيف يعقل أن يبقى إنسان حيّاً أكثر من ألف سنةٍ؟ فيما يقول آخرون: كيف نعلم أنّه سوف يظهر؟ بينما يطرح غيرهم شبهات أُخرى تتأرجح بين البسيط منها وبين العويص الذي يشغل الأذهان.

ومن جهة أُخرى لا يُعلم متى تبزغ شمس ظهور الوجود المبارك لبقيّة الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف، مع أنّه ينبغي أن يكون المسلم على أهبّة انتظار ظهوره الشريف، كما يمكن ـ لا قدّر الله ـ أن يطوّل الله غيبة الحجّة، فيكثر الشكّ والتردّد وبثّ الشبهات! فما العمل حتّى لا نبتلى فرديّاً ولا اجتماعيّاً بهذه الابتلاءات الاجتماعيّة؟ وكيف لا نُبتلى بجملة من المسائل والمباحث الدينيّة وبالخصوص

---

١ . أحد وكلاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٢ . كمال الدين ٢: ٨١، الباب ٣٨، كفاية الأثر: ٢٩، وكشف الغمّة ٢: ٥٢٨، الباب الثاني من الركن الرابع، الفصل الثالث.



الأبحاث المرتبطة بالحكومة الإسلاميّة نظير ولاية الفقيه، مع أنّها خاضعة لمختلف القراءات؟ وما الذي يلزم القيام به حتّى لا نقع في ورطة الشبهات حول المعرفة الحقيقيّة للإمام وللإمامة؛ لنتمكّن من إيجاد الحلول للمشكلات في هذا الزمان؟

إنّ معرفة ولي الله وإمام العصر عليه السلام هي الطريق الوحيد للنجاة، وهي صراط الحقّ الّذي لايتحقّق إلاّ بالتوسّل بالذات الإلهيّة المقدّسة وبالمجاهدة العلميّة والعمليّة.

لقد كانت قلوب العشّاق من ذوي البصيرة منذ القدم مشغولة بتحقيق الوعد بالنجاة من الجهالة والتخلّص من ظلمات الضلالة. ولهذا السبب طرح خواصّ تلامذة أهل البيت عليهم السلام جملة من التساؤلات لغرض كشف طريق الاهتداء إلى معرفة آخر حجج الله. ويمكن الإشارة إلى مثالٍ منه في رواية زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنّ للغلام غيبةً قبل أن يقوم**». قال: قلت: ولم؟ قال: «**يخاف**» ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ ثمّ قال: «**يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الذي يُشكّ في ولادته: منهم من يقول: مات أبوه بلا خلفٍ، ومنهم من يقول: حمل**[1]**، ومنهم من يقول: إنّه ولد قبل موت أبيه بسنتين. وهو المنتظر. غير أنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون**». قال زرارة (الذي يظهر أنّه عاش في زمن كثرت فيه الشبهات الداعية للشكّ والارتياب): قلت: جعلت فداك، إن أدركت ذلك الزمان أيّ شيء أعمل؟ قال: «**يا زرارة، إن أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: اللّهمّ عرّفني نفسك؛ فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك. اللّهمّ عرّفني رسولك؛ فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم**

---

١ . أي: مات أبوه وهو حملٌ.

أعرف حجّتك. اللّهمّ عرّفني حجّتك؛ فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني».[1]

وليس الدعاء مجرّد ترديد جملةٍ من الكلمات والألفاظ لطلب شيء مّا، بل الملحوظ في أدعية المعصومين عليهم السلام مجموعة هائلة من المعارف العميقة والدروس القيّمة الّتي يؤدّي فهمها والتأمّل في تعاليمها إلىٰ نتائج علميّة وعمليّة قيّمة، نظير ما استفاده زرارة من هذا الدرس القيّم، فانحلّ إشكاله في هذا الموضوع.

وهناك طرق عدّة لمعرفة المقام السامي والشخصيّة الفريدة لإمام العصر عليه السلام، ولعلّه يمكن أن يُقال: إنّ أفضل طريق لذلك هو مراجعة الأدعية والزيارات المنقولة عن إمام العصر عليه السلام أو عن سائر الأئمّة عليهم السلام فيما يرتبط بالحجّة وأوصافه وكمالاته عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

كما أنّ في التأمّل في عبارات نهج البلاغة وفي أقوال سيّد الشهداء عليه السلام من البدء إلىٰ منتهىٰ حادثة كربلاء وهكذا المعارف السامية في الصحيفة السجّاديّة إشارةً إلىٰ تعاليم أمير المؤمنين والإمام الحسين والإمام السجّاد عليهم السلام، ما يمكن أن يُستنبط منها ضرورة إيجاد المجامع الدينيّة والعلميّة وإقامة المناظرات في أُطر علميّة سليمة. كما يمكن الإحاطة ببرنامج عمل إمام العصر عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف من خلال الأدعية المأثورة المرتبطة به؛ إذ الإمام عندما يدعو ـ فمضافاً إلىٰ مقتضيات الدعاء و شرائط كماله ـ يبيّن في دعائه خصائص الإمامة وواجبات الإمام قبال الأُمّة وكيفيّة ارتباط الإمام بالأُمّة والتأثير المُلكي والملكوتي للإمام.

وعلىٰ هذا الأساس يلزم علىٰ من يريد أن يطّلع علىٰ خصائص الوجود المبارك

---

١ . الكافي ١ : ٣٣٧، باب في الغيبة، وكمال الدين ٢ : ١٢، الباب ٣٣.

لصاحب العصر ﷺ أن ينكبّ بدقّة على الزيارات والأدعية المرتبطة به حتّى يتمكّن من الدخول إلى حريم معرفة هذا الإمام الهمام.

ومن جهة أُخرى فإنّ لمعرفة إمام الزمان ﷺ مراتب عدّة لا تتساوى في تأثيرها على نفض غبار الجاهليّة والقضاء على داء التحجّر؛ إذ تختلف آثار كلّ مرتبة من مراتب المعرفة عن غيرها في تبيين الانتظار الحقيقي الصحيح. ولذا لا يمكن مثلاً أن تتساوى معرفة أوصاف إمام العصر وتاريخ ولادته ومدّة غيبته الصغرى والكبرى وأمثال ذلك مع معرفة المعنى الحقيقي للإمامة والدراية الحقيقيّة للولاية وانطباقها على شخص الحجّة ﷺ دون غيره. وهذا نظير براهين النظم والحدوث والإمكان الماهوي والإمكان الفقري وأمثالها ممّا يوصل إلى معرفة الله تعالى، إلاّ أنّه يبقى أفضل الطرق الموصلة إلى معرفة الله تعالى هو معرفة الله عبر الأُلوهيّة؛ إذ تفضي إلى إعداد العارف الحقيقي بالله. ونظير ذلك أيضاً معرفة الرسول فإنّها وإن كانت أمراً ممكناً عبر طريق المعجزة، إلاّ أنّ هذا السبيل لايوصل إلى معرفةٍ ساميةٍ بالرسول، بخلاف معرفته عبر الرسالة؛ إذ تغنيه عن المعجزة؛ نظراً إلى أنّ فهم وإدراك معنى الأُلوهيّة والرسالة يفضي بالضرورة إلى معرفة الله والرسول.

وقد أورد الكليني رحمه الله والصّدوق رحمه الله أنّ أُولي الأمر إنّما يعرفون بما يلي: **«اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأُولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»**[1]. إلاّ أنّ هذا النقل غير كافٍ؛ إذ لا يمكن لأيّ فرد أن يكون وليّاً للأمر بمجرّد الأمر بالمعروف والعدل والإحسان، لأنّ عدد الآمرين بالمعروف غير قليل. ولهذا السبب ورد في روايةٍ أُخرى: «... **بالمعروف والعدل**

---

١ . الكافي ١ : ٨٥، كتاب التوحيد، باب أنّه لا يُعرف إلاّ به.

والإحسان»[1] لا **«بالأمر بالمعروف»**؛ لأنّ الإمام يُعرف بالمعروف وبالعدل والإحسان، لا بالأمر بالمعروف فقط. وحين يتولّى وليّ الله ولاية الأمر لا يكتفي بالأمر بالمعروف وبالعدل والإحسان، وإنّما تكون سنّته هي المعروف وسيرته هي العدل والإحسان.

فمن له دراية بالمعروف يمكنه أن يعرف حقيقة ذلك في وليّ الأمر، كما هو الشأن فيمن له درايةٌ بالعدل والإحسان؛ فإنّه يشاهد العدل والإحسان في سنّة و الإمام وسيرته، فيقف على أنّه صاحب مقام الولاية خاصّةً.

أسمى طرق معرفة إمام العصر عليه السلام

ولنيل معرفة الله تعالى يتّبع الإنسان تارةً سبيل الآيات الآفاقيّة وأُخرى سبيل الآيات الأنفسيّة. وفي مرتبة أُخرى يمكن معرفته تعالى على أساس **«اعرفوا الله بالله»**[2]، **«بك عرفتك، وأنت دللتني عليك»**[3] و **«يا من دلّ على ذاته بذاته»**[4] أي: يمكن معرفة الله تعالى بواسطة وجوده المبارك، ويدركه بالشهود المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**أَوَ لَم يَكْفِ بِرَبِّكَ انهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد**﴾[5]. ومن يشهد الله عبر هذا الطريق له أن يقول بلسان حاله لمن يتّبع طريق الآيات الآفاقيّة أو الأنفسيّة للوصول إلى معرفته تعالى: إنّ الله تعالى قبل كلّ شيء مشهودٌ. قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَنَ لَهُم أَنهُ الحَقّ**﴾.[6] وعند ذلك

---

١ . التوحيد (الشيخ الصدوق): ٢٨٦، باب أنّه عزّ وجلّ لا يُعرف إلاّ به.

٢ . الكافي ١: ٨٥، باب أنّه لا يُعرف إلاّ به، والتوحيد (الشيخ الصّدوق): ٢٨٦، باب أنّه عزّ وجلّ لا يُعرف إلاّ به.

٣ . إقبال الأعمال: ٣٣٥، والبلد الأمين: ٢٠٥، دعاء أبي حمزة الثمالي في السحر.

٤ . بحار الأنوار ٨٤: ٣٣٩، أبواب النوافل اليوميّة وفضلها وأحكامها وتعقيباتها، الباب ١٣.

٥و٦ . سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

يـذّكرهم بكفايـة الله تعـالى في معرفتـه مـن دون الحاجـة إلى الآيـات الآفاقيّـة والأنفسيّة: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾[١] ليقع حينها بيان غنى الوجود المبارك لله تعـالى لتحقّق معرفته بقوله: ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢].

إنّ كلّ ما يودّ الإنسان مشاهدته ينبغي أن يرى الله قبله، كما ينبغي له أن يحيط علماً ومعرفة بالله تعالى قبل كلّ دليلٍ وقبل فهم كلّ برهانٍ، بل قبل إدراك نفسه؛ لأنّه المستدِلّ، فعليه أن يعرف الله قبل كل ذلك. إنّ لفظ (شهيد) الوارد في الآيـة المذكورة على وزن فعيل، وهو بمعنى مفعول لا فاعل؛[٣] إذ لو كان بمعنـى فاعـل ـ أي: شاهد ـ كان مفاده أنّ الله تعالى شاهدٌ على كلّ ما يفعله الخلق[٤]، فلا تكـون هناك أدنى حاجة إلى الآيـات الآفاقيّـة والأنفـسيّة، ولا يكـون هـذا الاسـتدلال بالقياس إلى مدّعى الآية برهاناً تامّاً؛ لأنّ مدّعى الآيـة هـو أنّ العـارف بالـذات القدسيّة للحقّ تعالى مستغن عن الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة. وعـلى هـذا الـضوء لابدّ أن يكون لفظ (شهيد) في الآية بمعنى (مشهود) حتّى يتمّ البرهـان كالتـالي: لمعرفة ذات الحقّ تعالى لا حاجة إلى الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة؛ لأنّ الحقّ في أعلى مراتب الظهور والشهود، واقتضاء الشدّة في هذا الوصف لبيـان أنّ الحـقّ تعـالى مشهود قبل شهود أيّ شيء آخر.

ولـمّا كان الله تعالى في الأشياء من غير ممازجةٍ[٥] وكان له حضور لا متناه وكان ﴿يَحُولُ بَيْنَ المَرءِ وَقَلْبِهِ﴾[٦]، فلا ينبغي أن نتعامل معه كموجودٍ غريب عنّا آب عن

١و٢ . سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

٣ . راجع تفسير البحر المحيط ٧: ٤٨٢، ومجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠.

٤ . راجع التفسير المنير ٢٥: ١٥.

٥ . راجع التوحيد (الشيخ الصّدوق): ٣٠٦، باب حديث ذعلب.

٦ . سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

المشاهدة: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١].

إنّ هذا النحو من المعرفة أسمىٰ وأنفع طريق للمعرفة، وهو متاح لجميع البشر،كما أنّ هذا الطريق طريق القلب، فلا يحتاج إلىٰ توسّط اصطلاحات فلسفيّة أو كلاميّة أو دروس حوزويّة أو جامعيّة، بل يرتكز علىٰ الهداية الكامنة في نفوس الجميع الحاضرة عندهم بنحو الدوام.

ثمّ إنّه لايخفىٰ: أنّ النبي الأكرم ﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام هم المظهر الأتمّ لأسماء وصفات الذات الإلهيّة المقدّسة وهم أسمىٰ آياته الكبرىٰ، وكما أنّ لله تعالىٰ بالأصالة أعلىٰ مراتب الظهور والشهود، فإنّ لأتمّ مظاهر الذات المقدّسة بالتبع مرتبة أدنىٰ من شهود الحقّ وأعلىٰ ممّا سواه.

وفي ضوء ما سبق يعدّ أفضل طريق لمعرفة رسول الله وأئمّة الهدىٰ طريق القلب والإدراك الشهودي للأُلوهيّة والنبوّة والإمامة.

القرآن والعترة ظهوران لحقيقةٍ واحدةٍ

القرآن والعترة الطاهرة حقيقةٌ واحدةٌ لها في مقام الظهور وجودان، فيكون كلّ واحد منهما في الظاهر غير الآخر، وأمّا في الباطن فالقرآن هو الوجود التدويني للعترة، والعترة هي الوجود التكويني للقرآن. ولذا يكون القرآن في مقام الإثبات مؤيّداً للعترة، كما يكون أهل البيت عليهم السلام بياناً وتوضيحاً لكليهما. لقد أوضح النبي الأكرم ﷺ ذلك الانسجام بل الاتّحاد والمعيّة بين القرآن والعترة في حديثٍ متواترٍ مشهورٍ بين كافّة فرق المسلمين حين قال: «**إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا**

---

١ . سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

عليّ الحوض».[١]

وطبقاً لقاعدة (حكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد) يكون للعترة سائر كمالات القرآن، كما يكون الأئمّة عليهم السلام مبرّئين من كافّة النقائص التي برأت منها ساحة القرآن الكريم.

ووفقاً لهذا الأصل الحاكم لا يمكن التفريق بين المسير العلمي والعملي للقرآن وللعترة، وكما أنّ قول وفعل وتقرير الأئمّة المعصومين عليهم السلام تفسيرٌ لكلام الله من جهة، فكذلك تشكّل آيات القرآن الكريم المبنىٰ العلمي والعملي للعترة من جهةٍ ثانيةٍ، فلا يمكن أبداً توهّم صدور أمر عن العترة يكون القرآن قد نهىٰ عنه، كما لا يمكنهم أن ينهوا عن فعل أباحه القرآن الكريم.

ومعه فلا يمكن أن يتحقّق مسير الهداية وفق شعار: (حسبنا كتاب الله)[٢] كما لا يجوز التمسّك بالعترة والتفريط بكتاب الله. والوجه فيه: أنّ تأكيد حديث الثّقلين علىٰ انسجام واتّحاد هذين الأمرين يقتضي ضرورة الحضور في محضر هذين العمودين الإلهيّين؛ لأنّ القرآن ـ كما سبق ـ كلام الله التدويني، والعترة كلام الله التكويني.

مظاهر الانسجام والاتّحاد بين القرآن والعترة

وكما أنّ بين ليلة النصف من شعبان وليالي القدر وجوهاً من الاشتراك،

---

١ . الأمالي (الشيخ الطوسي): ٤٤٨، كمال الدين ١: ٣٤٥. كما ورد هذا الحديث مع اختلاف يسير في الجوامع الروائيّة عند العامّة (نحو صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن الدارمي و...). ولمن يريد الاطّلاع علىٰ ذلك، يمكنه أن يراجع كتاب الغدير للمرحوم آية الله الأميني: الغدير ١: ٣٠ و١٧٦، ٣: ٢٩٧، ٧: ١٧٦، ١٠: ٢٧٨. وراجع أيضاً كنز العمّال ١٣: ١٠٤.

٢ . راجع صحيح البخاري ٦: ١٢، صحيح مسلم ٥: ٧٦، فتح الباري ٨: ١٦٨، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٦: ٥١، الخطبة ٦٦.

فكذلك هناك مظاهر للتناسب والاتّحاد بين القرآن والعترة، وكما أنّ من المناسب القيام بإحياء ليلة مولد خاتم الأولياء والالتزام بأعمال ليالي القدر (ليلة تنزيل القرآن)فيها، فإنّه يناسب أيضاً الحديث عن الولاية والإمامة في ليالي القدر. والقيام بأعمال ليلة تنزيل القرآن في ليلة النصف من شعبان كما يهدي القلوب إليه، فكذلك زيارة الحسين عليه السلام والتوسّل بأهل بيت العصمة عليهم السلام حال رفع المصاحف في ليلة القدر يهدي القلوب نحو الأئمّة عليهم السلام.

و هناك مظاهر أُخرىٰ للتناغم والتلائم بين العترة الطّاهرة والقرآن الكريم: فالكتاب التدويني الإلهي فريدٌ في بابه من جميع الجهات، فلا يمكن لأيّ كتاب أن يدانيه ويضاهيه؛ فإنّه من جهة كتاب لا نظير له من الناحية البلاغيّة والأدبيّة، ومن جهة أُخرىٰ لا مثيل له من حيث المحتوىٰ والإخبار بالمغيّبات وإقامة البراهين. ولذا لا يأتيه الباطل من بين يديه، كما لا يشوبه ضعفٌ أو نقصٌ: **﴿لاَ يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلاَ مِن خَلفِهِ﴾**.[1]

وليُعلم: أنّ من علائم امتياز القرآن الكريم عن سائر الكتب هو طلبه التحدّي؛ فقد تحدّىٰ القرآن في غير واحدة من الآيات الشريفة فئة ادّعت أنّ القرآن كتابٌ غير صادر عن الله، فيمكن الإتيان بمثله، فطلب منهم أن يأتوا بعشر سورٍ مثل سوره حتّىٰ يثبتوا للناس أنّه من عند غير الله، ثمّ تحدّاهم بأن يأتوا بسورةٍ واحدةٍ، ثمّ قال لهم بأنّه لو اجتمعت الإنس والجنّ فلن يأتوا بمثله. قال تعالىٰ: **﴿قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ وَالجِنُّ عَلَى أن يأتُوا بِمِثلِ هَذَا القُرءَانِ لاَ يَأتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيرا﴾**.[2] وقال تعالىٰ: **﴿وَإِن كُنتُم فِي رَيبٍ مِمَّا نَزَّلنَا عَلَى عَبدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثلِهِ وَادعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللهِ إِن كُنتُم**

---

١ . سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

٢ . سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

صَـدِقِينَ﴾.[١] وقال تعالىٰ: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِن دُونِ اللهِ إِن كُنتُم صَـٰدِقِينَ﴾**[٢].

إنّ معرفة أمر مّا لا تتيسّر إلاّ حين يكون المعرِّف بلحاظ المعرفة أوضح من المعرَّف ومساوياً له في العموم والخصوص، وإلاّ فلا يمكن معرفة شيء بواسطة مفهوم أخصّ أو أعمّ منه. وكما أنّ الكتاب التدويني لله منزّه عن أن يكون له مثيل أو نظير يقاس به أو يقارن به أو يُعرف به، فكذلك الكتاب التكويني لله ـ أعني: العترة الطاهرة ـ لا مثيل ولا نظير لها في مرتبة المظهريّة التامّة للأسماء والصفات الإلهيّة وفي شدّة ظهورها، وعليه لا يمكن مقارنتهم بشيء آخر حتّىٰ يتيسّر لنا معرفتهم من خلاله. وإليه الإشارة بقول النبي الأكرم ﷺ: «**نحن أهل بيت لا يُقاس بنا أحدٌ من عباد الله**».[٣] ونحوه قول علي عليه السلام: «**لا يُقاس بآل محمدٍ ﷺ من هذه الأُمّة أحدٌ**».[٤]

فقد ظهر: أنّه بلحاظ معرفة القرآن الكريم والعترة الطاهرة لا يمكن من باب التمثيل أن نقول بأنّ القرآن نظير الكتاب الكذائي، إلاّ أنّه أعلىٰ منه وأرقىٰ، أو أن نقول بأنّ إمام العصر عجل الله فرجه كفلانٍ العبد الصالح، إلاّ أنّه أفضل منه، بل يجب أن نقول بأنّ القرآن هو الإمام نفسه، إلاّ أنّه إمامٌ صامتٌ، كما أنّ الإمام هو القرآن نفسه، إلاّ أنّه قرآنٌ ناطقٌ. أضف إلىٰ ذلك أنّ تعريف كليهما إنّما يصحّ ويصير معروفاً إذا اقترن بالآخر، فيصير معروفاً عند من لا يعرف أحدهما ليعرفه بالآخر.

---

١ . سورة البقرة، الآية: ٢٣.

٢ . سورة هود، الآية: ١٣.

٣ . بحار الأنوار ٦٥: ٤٥، أبواب الإيمان والإسلام...، الباب ١٥، وكشف الغمّة ١: ٤٣.

٤ . نهج البلاغة، الخطبة ٢.

إنّ القرآن والعترة منبع الحياة للمجتمعات البشريّة، وكما يعرّف القرآن كلام الله ودعوة رسول الإسلام الأكرم ﷺ قائلاً: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا استَجِيبُوا للهِ وَللرَّسُولِ إِذا دَعاكُم لِمَا يُحيِيكُم﴾**[1] ومعه كان الوحي والنبوّة عامل إحياء المجتمعات الإنسانيّة، فكذلك العترة؛ انطلاقاً من أصل التناسب والاتّحاد بين القرآن والعترة، فيمكن التوصّل إلى أنّ استجابة دعوة العترة عامل إحياء للناس أيضاً، كما يشهد له حديث الثّقلين الشريف من أنّ هناك انسجاماً واتّحاداً بين القرآن والعترة، فلا يفترقان عن بعضهما في أيّة مرتبة من مراتب القرآن الكماليّة. ومعه يمكن تعدية أيّ أثرٍ وحكمٍ للقرآن إلى ولاية العترة الطاهرة وإثباته لهم، وما ذلك إلاّ تطبيق للمعيّة والاتّحاد بين القرآن والعترة.

الإمام المعصوم عليه السلام الحافظ للعقائد والأخلاق والأعمال

الإمام هو الحافظ لعقائد الأُمّة وأخلاقها وأعمالها. لا يخفى: أنّ أيّة عقيدة صحيحة لأيّ معتقد إنّما تكون تابعة لاعتقاد الإمام، كما أنّ أيّ خُلق حسن من أي متخلّق وأيّ عمل صالح صادر من أيّ عامل ينبغي أن يكون تابعاً لأخلاق وعمل الإمام المعصوم. فمن صلّى صلاته أوّل الوقت فقد اقتدى بإمام زمانه، أي: كما أنّ إمام العصر عليه السلام يصلّي أوّل الوقت، فكذلك من يقتدي بهذا الإمام يصلّي صلاته أوّل الوقت، وهكذا الحال فيما إذا اقتدى صاحب عقيدة أو أخلاق حسنة في عقيدته وأخلاقه بإمام عصره.

---

١ . سورة الأنفال، الآية ٢٤. إنّ دعوة الله والرسول أمر واحد، وإن وقع الكلام عن الله أوّلاً في مقام البيان ثمّ تلاه كلام النبي. ومنه يتّضح: أنّ الفعل الذي ينسب إلى الله وإلى الرسول فعل واحد؛ لأنّه لم يقل: (دَعَوَاكم) حتّى يكون هناك فعلان صادران عن فاعلين بل قال: (دَعَاكُم)؛ لأنّ كلام النبي ما هو إلاّ وحي يوحى.



أفاد مولانا الإمام الرضا عليه السلام: أنّ إيمان المؤمن لا يكمل إلاّ حين يحيي سنّة الله وسنّة رسوله وسنّة وليّه في نفسه: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون فيه ثلاث خصالٍ: سنّة من ربّه وسنّة من نبيّه وسنّة من وليّه. فأمّا السنّة من ربّه فكتمان سرّه. قال الله (عزّ وجلّ): ﴿عَـٰلِمُ الغَيبِ فَلاَ يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَدا * إِلاَّ مَن ارتَضَى مِن رَسُولٍ...﴾.[١] وأمّا السنّة من نبيّه فمداراة الناس؛ فإنّ الله (عزّ وجلّ) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بمداراة الناس، فقال: ﴿خُذِ العَفوَ وَامُر بِالعُرف﴾.[٢] وأمّا السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضرّاء**».[٣]

لا تكتمل ولاية الإمام إلاّ حين يحيي الإنسان في نفسه سنّة الله وسنّة رسوله، كما لا تكتمل رسالة النبي إلاّ حين يحيي في نفسه سنّة ربّه؛ وذلك أنّ الأنبياء وأوصيائهم أولياء الله وظلّه في عالم الخلق. إنّ أولياء الله وأنبياءه هم الأئمّة حقّاً، كما أنّ الإمام الأوّل بالمعنى الجامع والحقيقي للكلمة الذات الإلهيّة المقدّسة، وإن لم يطلق هذا اللفظ على الحقّ تعالى.

إنّ أفعال الله والنبي والإمام هي المثل الأعلى الذي يلزم على أهل الإيمان التأسّي والاقتداء بها، بل لا يكمل إيمان المؤمن إلاّ إذا تمثّل أفعال الله والرسول والإمام في نفسه، بنحوٍ يتناسب مع سعته الوجوديّة ونشأته الإمكانيّة، فتتجلّى في نفسه هذه السنن. إنّ هذا المؤمن يجب عليه إحياء السنّة الإلهيّة في نفسه، وإن كانت عبارة عن كمالات حقّه لا متناهية ثابتة لله سبحانه؛ لوضوح أنّ المؤمن يمكنه أن يحييها بشكل محدودٍ متناسبٍ مع حدوده الإمكانيّة. ولا يخفى: أنّ ما ورد في الرواية من كتمان السرّ إنّما ورد على سبيل التمثيل لا التعيين؛ إذ ليس

---

١ . سورة الجنّ، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

٢ . سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

٣ . الكافي ٢: ٢٤١، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

الغرض أن يقتصر المؤمن على إحياء سنّة إلهيّة واحدة، وإنّما ذكرت هذه السنّة الإلهيّة من باب المثال على التخلّق بأخلاق الله.

كما يلزم على المؤمن أن يحيط بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وأن يكون مظهراً لها في حدود وجوده. وإذ كان الأنبياء والأئمّة المعصومون عليهم السلام منبع أنوار وهداية للمظاهر الجامعة لصفات الحقّ، كان خليقاً بالمؤمن أن يقتدي بهم ويتّصف بصفاتهم.

الإمام المعصوم عليه السلام شاهدٌ على الأعمال

الإمام هو المظهر الجامع للاسم الإلهي (الحيّ)، ولمّا كانت الحياة مبدأ العلم والقدرة وكان علم الله علماً شهوديّاً، كان الإمام شاهداً على أعمال الأُمّة ومطّلعاً على سائر أفعالهم وأعمالهم. وإحاطه الإمام بتمام شؤون الناس كإحاطة الروح بجميع شؤون البدن؛ إذ الإمام روح ذوي الأرواح، كما أنّ إحاطته بأعمال البشر لا تنحصر في أيّام معيّنة من السنة دون غيرها.

ثمّ إنّ الأعمال تُعرض على الإمام عموماً في يومي الاثنين والخميس؛ إذ يُكشف الغطاء عن أعمال الأُمّة في حضرة الإمام، كما أُشير إلى هذا المعنى في روايات عرض الأعمال. كما تُعرض الأعمال عليه بشكل دائم مستمرّ، كما ورد التعبير عنه في غير واحدةٍ من الروايات الواردة في هذا المقام بلفظ كلّ ليلة[1] وكلّ صباح[2] ونحوهما ممّا هو ناظرٌ إلى استمرار وقوف الإمام عليه السلام على أعمال الأُمّة. وكما أنّ أرواحنا محيطة علماً بما يرتبط بأبداننا وتدرك وتعلم ما يحصل لها، فكذلك الإمام يحيط علماً بما يحصل لأرواحنا، وكأنّه داخل في أرواحنا. ويمكن استفادة هذه النكتة ـ أعني: أنّ الإمام روح ذوي الأرواح ـ من قوله تعالى:

---

١ و٢ . راجع الكافي ١: ٢١٩، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.[١] إنّ الإنسان الكامل كالرسول الأعظم ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وبأرواحهم؛ لمكان تفوّقه الوجودي على أرواحهم، فتكون أرواح الأُمّة بمنزلة البدن للروح النبويّة. وإذ كانت حقيقة الإمامة خلافة الله والرسول كما أفاده مولانا الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء. إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرّسول ومقام أمير المؤمنين** عليه السلام»[٢] كان كلّ كمال مشترك بين مقام النبوّة والولاية ثابتاً للإمام بالضرورة. وعليه فإنّ مقام الأولويّة الوارد في الآية الكريمة الثابت للنبي بالأصالة لمكان تفوّقه الوجودي ثابتٌ بالتبع للإمام المعصوم بما هو خليفة رسول الله ﷺ.

ولاء أهل البيت ركن من أركان الدّين

إنّ الإنسان ـ الذي هو مظهر الأسماء والصفات الإلهيّة ـ مظهرٌ للاسم المبارك ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[٣] والمعصومون أكمل البشر في كلّ عصر. وعلى هذا الأساس يكون بدء عالم الوجود وختمه تحت اختيارهم بإذن الله. وإليه الإشارة بما ورد عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام من أنّه سأل الرّسول الأكرم ﷺ غير مرّة: هل إنّ نهاية العالم تكون باختيارنا أم باختيار غيرنا؟ ومن يحكم بالعدل والقسط؟ قال عليه السلام: «**العدل منّا أم من غيرنا؟**». فأجاب الرّسول الأكرم ﷺ بأنّ بدء العالم وختمه بيد المعصوم: «**بنا فتح الله وبنا يختم**»[٤]؛ وذلك أنّ الإنسان الكامل له نصيب باذن الله في بدء التكوين والتشريع وفي ختمهما.

---

١ . سورة الأحزاب، الآية: ٦.

٢ . الكافي ١: ٢٠٠، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

٣ . سورة الحديد، الآية: ٣.

٤ . الأمالي (الشيخ الطوسي): ٦٦، المجلس ٣.

ومنه يظهر: أنّ لمحبّة ومودّة هذه الذوات المباركة الدور الأساسي في تربية النفوس والتخلّق بالخُلق الإلهي والاتّصاف بصفاتهم الكريمة التي فرضها الله على عباده. وليست هذه المحبّة والمودّة من الفروع، بل هي من أُصول الدّين وأُسسه؛ إذ إنّ معارف الدين وحقائقه على نحوين: أحدها أُصول و أُمور أساسيّة وثانيها عبارة عن فروعٍ لها أحكامٌ فقهيّة.

لقد أولى رجال الله من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم المخلصين العناية اللائقة بالمسائل الأساسيّة للدين. كان جابر بن عبد الله الأنصاري أحد كبار صحابة رسول الله ﷺ ممّن أطال الله عمرهم، وقد فقد بصره في آخر حياته، فأدرك عدداً من الأئمّة المعصومين عليهم السلام ضمن فترة زمنيّة امتدّت من حياة النبي الأكرم ﷺ حتّى زمن الإمام الباقر عليه السلام. لقد كان هذا الصحابي الجليل يطوف على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً ويقول: أدّبوا أولادكم على حبّ علي[1].

ويُلاحظ: أنّ نهج إشاعة محبّة أهل البيت عليهم السلام والتأكيد عليها لم يكن من المسائل الفرعيّة للدين؛ وذلك أنّ صحابياً جليل القدر رغم فقدانه لبصره واتّكائه على عصاه وكبر سنّه كان يطوف على الأنصار بيتاً بيتاً ليحضّهم على محبّة أهل البيت عليهم السلام، بينما لم يشهد التاريخ حدوث ذلك في مورد من موارد فروع الدين، ما يدلّ على أنّ محبّة أهل البيت عليهم السلام من جملة الأُصول في الإسلام ومن أركان الدين لا من فروعه و أحكامه.

صعوبة معرفة إمام العصر عليه السلام وسبل تيسيرها

ثمّ إنّ هناك صعوبات تحول دون الإحاطة التامّة بأحاديث وعلوم أصحاب الوحي، منها فهم قضيّة المهدي الموعود الموجود، وإدراك حضوره المستمرّ في

١ . الأمالي (الشيخ الصّدوق): ٧١، المجلس ١٨.

عين استتاره، وظهوره الدائم في متن الاختفاء. ولذا يتطلّب هذا البحث فحصاً بالغاً وتحقيقاً عميقاً مع التحلّي بطهارة القلب والوجدان.

إلاّ أنّه لا يمكن بحال لهذه الصعوبات التي تحول دون الإحاطة ببعض العلوم الدينيّة أن تبرّر التقاعس عن البحث والتنقيب لغرض إدراك معرفة الإمام؛ إذ إنّ من الطبيعي أن يكون لكلّ غال ونفيس ثمن باهض يقتضي التوكّل على الله تعالى واستمداد العون منه، كما أفاده مولانا الإمام محمّد التقي عليه السلام: **«الثّقة بالله تعالى ثمنٌ لكلّ غالٍ، وسلّمٌ إلى كلّ عالٍ»**.[١] كما أنّه من المسلّم أنّ الشرط اللازم للفوز بالفيض الإلهي ونيل أعلى درجات السعادة وصيرورة المرء طائراً ملكوتيّاً إنّما يتحقّق عند نبذ النفس المكر والخديعة مع عباد الله وصولاً إلى مقام العرفان.

يقول سليمان: استمع إلى حديث الطير
أنت كالشراك الّذي فرّ منه القطا، فلتكن عشّاً!
قد يظهر الحبيب طلعته، فلتمتلئ عيناك منه كالمرآة
وسرّح ضفائر شعره وكن مشطاً له!
كنت عنصراً، فصرت حيواناً
فغدوت روحاً، فلتكن عاشقاً![٢]

---

١ . أعلام الدّين: ٣٠٩، من كلام أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام، وبحار الأنوار ٧٥: ٣٦٣، أبواب المواعظ والحكم، الباب ٢٧.

٢ . ديوان شمس التبريزي، رقم ٢١٣٠.

يقول: گويد سليمان مر تو را، بشنو لسان الطير را
دامى و مرغ از تو رمد، رو لانه شو رو لانه شو
گر چهره بنمايد صنم، پر شو ازو چون آينه
ور زلف بگشايد صنم، رو شانه شو، رو شانه شو
يک مدتى اركان بُدى، يک مدتى حيوان بُدى
يک مدتى چون جان شدى، جانانه شو جانانه شو

إمام العصر ﷺ مظهر ﴿نور السَّمَاوَاتِ وَالأَرض﴾

وردت أحاديث حول ضرورة وجود حجّة لله على الأرض في كلّ زمان نحو قوله عليه السلام: «**لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت**»[1] أو «**لو خلت الأرض ساعةً واحدة من حجّة الله، لساخت بأهلها**»[2] أو «**لا تخلو الأرض منهم، ولو خلت، إذن لساخت بأهلها**».[3] ويُستفاد منها وممّا ورد في الزيارة الجامعة من قوله عليه السلام: «**وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض**»[4] أنّ الذات الإلهيّة المقدّسة حفظت السماوات والأرض بجعلها الولاية عموداً لنظام الوجود.

إنّ الروايات الّتي صرّحت: «**لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت**»[5] مفادها كمفاد الآية الكريمة القائلة: ﴿**لَو كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا**﴾[6]؛ إذ تلتقي معها على مستوى الاستدلال الكلامي. وهذه الروايات لا تكتفي بمجرّد دعوى نزول جملة من البركات المعنويّة المترتّبة على وجودهم وحضورهم، بل تتعدّى ذلك لتطرح برهاناً على أنّ الله تعالى جعل الأئمّة عليهم السلام وسيلة لحفظ نظام عالم الوجود. فكما أنّ البدن ينال دوام الحياة بواسطة الروح ويستمدّ منها في سائر

---

١ . الكافي ١ : ١٧٩، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّةٍ.

٢ . الغيبة (النعماني): ١٤١، باب ١٠، وبحار الأنوار ٥١ : ١١٣، أبواب النصوص من الله تعالى ومن آبائه عليه عليه السلام...، الباب ٢.

٣ . كفاية الأثر: ١٦٢، وبحار الأنوار ٣٦ : ٣٣٨، أبواب النصوص على أمير المؤمنين والنصوص على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، الباب ٤١.

٤ . البلد الأمين: ٣٠٢ ذكر عمل السنة، ذو الحجّة، ومن لا يحضره الفقيه ٢ : ٦١٥، زيارة جامعة لجميع الأئمّة عليهم السلام.

٥ . الكافي ١ : ١٧٩، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة.

٦ . سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

شؤونه، فكذلك نظام الكون لا يشتمل علىٰ أجرام وكواكب ميّتة لا روح لها، بل هي في المجموع عبارة عن حقيقة حيّة تستمدّ حياتها من ولاية الإنسان الكامل المعصوم. ولعلّنا أشرنا إلىٰ هذا النحو من المعارف والحقائق في شرحنا لزيارة الجامعة الموسوم بـ «أدب فناء المقرّبين».

ولا يعني استمداد البشر المعونة من الشمس والقمر في الحياة اليوميّة وفي سائر الأُمور أنّ كلاًّ من الشمس والقمر يهب النور والطاقة والحرارة ونحوها من البركات بشكل مستقلٍّ دون الحاجة إلىٰ عنايات الفيض الإلهي وبركاته، مع أنّ الفكر التوحيدي للمؤمنين الموحّدين لا يتبنّىٰ هذا النحو من الاعتقاد، بل يؤمن بأنّ الشمس والقمر كسائر الموجودات الأُخرىٰ مخلوقة لله تعالىٰ وتجلٍّ من فيضه اللامتناهي، والبشر إنّما يستفيد منهما ويعتمد عليهما بعنوان كونهما من وسائل الفيض فحسب.

و أمّا الوجود المبارك لحجّة الله إمام العصر ﷺ فهو أرقىٰ وأسمىٰ من الشمس والقمر، مع أنّ ما يميّز حضوره الشريف هو أنّه الوسيلة التامّة والمظهر الكامل لقوله تعالىٰ: ﴿**نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ**﴾[1]. إنّ النّور الذي يشرق من ضياء الشمس وينير وجه القمر سيعتريه الفناء في المستقبل ﴿**إِذَا الشَّمسُ كُوِّرَت**﴾[2] كما أنّ مصدر النور في هذه المنظومة الكونيّة سيصيبه الانطماس والاندثار وتناثر النجوم، وهو في النهاية آيل إلىٰ الزوال والفناء. وأمّا خليفة الله سبحانه فهو مظهر لقوله تعالىٰ: ﴿**نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ**﴾ فلا يعتريه الانطفاء ولا الفناء. وهذا هو الإمام من منظار الحقّ تعالىٰ.

---

١ . سورة النّور، الآية: ٣٥.

٢ . سورة التكوير، الآية: ١.

المهدي عليه السلام أولى الناس بإبراهيم عليه السلام

صرّح القرآن الكريم بأنّ خاتم الأنبياء محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله أولى الناس بإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[1]؛ إذ إنّ كلّ ما تطلّع إليه إبراهيم عليه السلام رآه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[2] وكلّ ما اطّلع عليه إبراهيم عاينه النبي: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[3] وكلّ ما تولاّه إبراهيم عليه السلام تولاّه نبيّنا صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّـٰلِحِينَ﴾.[4] كما أنّ كلّ ما تبرّأ منه إبراهيم عليه السلام تبرّأ منه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾.[5] وعندها اقترب النبي صلى الله عليه وآله من مقام الحقّ أقرب ما يكون: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.[6] كما أنّه قد ضحّى بما لم يضحّ به إبراهيم عليه السلام؛ فالذي قدّمه فداءً كان من النبي وكان النبي منه، أعني: الحسين بن علي عليهما السلام، الذي قدّمه للموت والشهادة بكلّ عزٍّ وكرامةٍ؛ إطاعةً للحقّ تعالى، فحُزّ رأسه الشريف، وفصل عن بدنه حتّى تحقّق في النهاية الأمن للكعبة قبلة المسلمين والحفظ من الأشرار المعتدين.

والسرّ في ذلك هو ما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من قوله: «**حسينٌ منّي، وأنا من حسينٍ**»[7]. ومن جهة أخرى أفاد مولانا الإمام الحسين عليه السلام:

---

١ . سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

٢ . سورة النجم، الآية: ١١.

٣ . سورة النجم، الآية: ١٧.

٤ . سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

٥ . سورة التوبة، الآية: ٣.

٦ . سورة النجم، الآيتان: ٨ ـ ٩.

٧ . الإرشاد ٢: ١٢٧، باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام... .

«إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رآى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ولم يغيّر عليه بقولٍ ولا فعلٍ، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[1]. ولهذا السبب أقدم الإمام الحسين عليه السلام ـ الذي هو من رسول الله ﷺ ورسول الله منه ـ على التضحية بنفسه وبأهل بيته وبأصحابه؛ لكي يحفظ الدين من أيّ لون من ألوان الانحراف والتحريف وليحمي عهد الله وعباده من ظلم الظالمين وجورهم.

ويتّضح ممّا مرّ ذكره من كلام صاحب العصر عجل الله فرجه أنّ بدء إقامة العدل الشامل محلّ الظلم والجور سيبدأ بعد إقامة الصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام؛ لأنّه أولى الناس بجميع الأنبياء، لا سيّما إبراهيم الخليل عليه السلام. قال رسول الله ﷺ: **«إنّ القائم عليه السلام إذا خرج، دخل المسجد الحرام، فيستقبل الكعبة، ويجعل ظهره إلى المقام، ثمّ يصلّي ركعتين. ثمّ يقوم فيقول: يا أيّها الناس، أنا أولى الناس بآدم. يا أيّها الناس، أنا أولى الناس بإبراهيم. يا أيّها الناس، أنا أولى الناس بإسماعيل. يا أيّها الناس، أنا أولى الناس بمحمّد ﷺ. ثم يرفع يديه إلى السماء، فيدعو ويتضرّع، حتّى يقع على وجهه. وهو قوله (عزّ وجلّ): ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُون﴾[2]».**[3]

---

١ . تاريخ الطبري ٣: ٣٠٦، وإحقاق الحقّ ١١: ٦٠٩. وراجع أيضاً بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٢، كتاب تاريخ فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، الباب ٥.

٢ . سورة النمل، الآية: ٦٢.

٣ . تأويل الآيات: ٣٩٩، سورة النمل وما فيها من الآيات في الأئمّة الهداة عليهم السلام، وبحار الأنوار ٥١: ٥٩، كتاب الغيبة، الباب ٥.

خاتم الأوصياء، وارث الكمالات

لإمام العصر عجل الله فرجه خصوصيّة عن سائر الأئمّة عليهم السلام ممّن كانت هذه الصفة خافيةً غير ظاهرة فيهم، وهي خاصّيّة وراثة الأرض. لقد كان سائر الأئمّة عليهم السلام وارثين وموَرّثين، أي: إنّهم ورثوا الإمامة وورّثوها لمن تلاهم. أمّا إمام العصر عجل الله فرجه فليس كذلك؛ لأنّه ـ كما أفاد السيّد حيدر الآملي رحمه الله ضمن بيانٍ لطيفٍ ـ خاتم الأولياء والوارث الحقيقي، أي: إنّه وارث جميع كمالات الأوّلين والآخرين، وإذ لا يوجد وليّ من بعده، فإنّه لن يكون هناك وارث لميراثه.

لقد استفاد المرحوم السيّد حيدر الآملي هذا البيان الشريف من قوله تعالىٰ: **﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِين﴾**.[1] قال رحمه الله: حيث يذكر الخبر محلّىٰ بالألف واللام فإنّه يفيد حصر الخبر في المبتدأ، وعليه يكون إمام العصر عجل الله فرجه الوارث المحض.

قيل: قوله تعالىٰ: **﴿وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِين﴾** دالّ علىٰ إمامته وخلافته وختميّته أيضاً؛ لأنّ الألف واللام متىٰ دخلا علىٰ الخبر أفادا انحصاره في المبتدأ. فإنّا إذا قلنا: (زيدٌ هو العالم) دلّ علىٰ أنّ غيره ليس بعالم. فكلّ إمام غيره (أي: غير المهدي) من الأئمّة هو موروث، ولا يكون هو الوارث دون غيره؛ لأنّ من بعده وارثه. فدلّ علىٰ أنّ الإمام ـ الذي هو بهذه الصفات ـ يرث من قبله، أعني: يرث الإمامة، ولا يورث عنه.[2]

لقد ورث خاتم الأولياء عليه السلام سائر كمالات الأنبياء عليهم السلام ومكارم الأولياء عليهم السلام، وإذ قد جمع معجزات الأنبياء عليهم السلام السابقين، فستظهر معجزات كلّ نبي علىٰ يده عجل الله فرجه؛ باعتباره مأموراً بتحقيق أهداف كافّة الأنبياء وبإحياء الأرض الميتة بنور العدل.

---

١ . سورة القصص، الآية: ٥.

٢ . جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٤٣٧، الأصل الثالث، القاعدة الثانية.

تذكير

لا محذور في ورود لفظ (الوارثين) بصيغة الجمع مع دلالة انحصارها في مصداق واحد؛ لأنّها من قبيل لفظ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الوارد بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَوةَ وَهُم رَكِعُون﴾[1] مع أنّ مصداقها منحصر في أمير المؤمنين عليه السلام.

إمام العصر مظهر العلم والقدرة الإلهيّين

الإنسان الكامل المعصوم عليه السلام مجلى للصفات العليا ومرآة للأسماء الإلهيّة الحسنى. إذا لم يتمكّن طالب الحقيقة من الإحاطة بأسماء الحقّ تعالى وصفاته، فكيف له أن يعرف ظهورها في العالم؟ فمن أراد أن يشاهد ظهور الأسماء والصفات في الإنسان الكامل، لزم أن يكون له نصيب من إدراك الأسماء والصفات الإلهيّة وأن يعلم أنّ المساوئ والفواحش التي يرتكبها الظلمة المستكبرون في العالم لن تطمس محاسن الوجود والنظام الإلهي الأفضل. ومعه لن يعتريَ وجه الخليقة المُضيء أيّ غبار أو دخان؛ لأنّ القدرة الإلهيّة لاتجري إلاّ في ضوء إمامة العلم والحكمة الذين سيظهران في النهاية مع الوجود المبارك لعصارة الوجود وآخر حجج الله؛ ليزاح الستار عن وجه نظام الوجود.

والسرّ فيه: أنّ إمام العصر عجّل الله فرجه بلحاظ البعد النظري ترجمان علم الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعلَمُ مَا لاَ تَعلَمُون﴾[2]، ﴿وَأَنَّ اللهَ قَد أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلما﴾.[3] كما أنّ إمام العصر بلحاظ البعد العملي المصداق الكامل للقدرة والبيان التامّ للعزّة الإلهيّة: ﴿وَمَا كَان اللهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ فِي السَّمَوات وَلاَ فِي الأَرضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً

---

١ . سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٢ . سورة البقرة، الآية: ٣٠.

٣ . سورة الطلاق، الآية: ١٢.



قَدِيرا﴾.[١] وأمّا نهجه فيستند إلىٰ الإحاطة بالقدرة الإلهيّة علىٰ الدنيا طولاً وعرضاً من جهة وابتداءً وانتهاءً من جهة أُخرىٰ، بالإضافة إلىٰ محاججة الملحدين والمشركين وإقامه البرهان علىٰ خطأهم: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدرِهِ وَالأَرضُ جَمِيعاً قَبضَتُهُ يَومَ القِيَمَةِ وَالسَّمَواتُ مَطوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبحَنَهُ وَتَعَلَى عَمَّا يُشرِكُونَ﴾**[٢].

وإذ كان إمام العصر ﷺ المظهر التامّ لقوله تعالىٰ: **﴿وَإِنَّ اللهَ قَد أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلما﴾** كان محيطاً بتمام عالم الوجود وبكلّ شؤون البشر؛ لأنّه روح الأرواح وقلب عالم الإمكان. ليس الإمام قلب الجمادات والنباتات فحسب، بل هو قلب السماوات والأرض والبحار والبراري. إنّه قلب سائر الأشياء والموجودات. إنّ دور القلب في الإنسان إدارة الأعضاء والجوارح، كما أنّ هناك قلباً يرصد قلوب الناس، فكلّ ما يخطر في قلب الإنسان، يكون للوجود المبارك لصاحب العصر ﷺ بإذن الله اطّلاع عليه. وكما أنّ للقلب إحاطة بكلّ ما يصدر عن الأعضاء والجوارح من أعمال، فكذلك لا يمكن أن تحيط قلوبنا بأمر لا يحيط به قلب القلوب وروح الأرواح، أي: صاحب العصر وإمام الزمان ﷺ.

وليُعلم: أنّ الكلام عن روح الأرواح ليس من قبيل الكلام عن العقل المنفصل، كما اعتقد بعضهم بأنّه منفصل عن سائر البشر، بل هو من قبيل ما لقلبنا من اتّصالٍ بمستوىٰ إدراكنا وحركتنا وإحاطةٍ وجوديّة كاملة بها. فالإنسان الكامل حقيقة ذو إحاطة وسعة وجوديّة كاملة بنا. وفي قوله تعالىٰ: **﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ﴾**[٣] دلالة علىٰ أنّ الله ورسوله والمؤمنين حقّاً هم مثال الإنسان الكامل الّذي يرىٰ كلّ عمل نقوم به. ولا

---

١ . سورة فاطر، الآية: ٤٤.

٢ . سورة الزمر، الآية: ٦٧.

٣ . سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

تنحصر هذه الأعمال في أعمال الجوارح، بل تتعدّاه إلى أعمال الجوانح والقلوب، فتكون حاضرة ومشهودة عند تلك الذوات المقدّسة. فمن لم ينل مرتبة قلب القلوب وروح الأرواح ولم تسطع الأسماء والصفات الإلهيّة في وجوده، لن يقدر على الإشراف والإحاطة الوجوديّة بالموجودات وأسرارها.

تأثير أصحاب النفوس والقلوب

هناك جملةٌ من المفاهيم والحقائق التي تدرس في الحوزات العلميّة أو في الجامعات يُطلق عليها اصطلاحاً العلوم الحصوليّة. وهذه العلوم ـ ولو في ضمن أعلى أشكالها العقليّة، أي: الفلسفة ـ لا سبيل لها إلى عالم الخارج، فلا يمكن أن يترتّب عليها الأثر في الخارج. والوجه فيه: أنّ العلوم الحصوليّة محدودة بحدّ الصورة الذهنيّة، فما تناولته بالبحث في عالم الخارج لا يتعدّى حدّ المفهوم؛ إذ إنّ الواقع أو الخارج وإن كانا بالحمل الأوّلي واقعاً وخارجاً، إلاّ أنّهما بالحمل الشائع مجرّد مفاهيم وصور ذهنيّة. ومن هذا المنطلق نلاحظ العديد من طلاّب الحوزة أو الجامعة مع نيلهم لجملةٍ من العلوم المختلفة، إلاّ أنّهم في مقام العمل يقعون في الزلل، وينزلق بعضهم فيقع في الخطأ. فهذه العلوم لا يمكنها أن تؤثّر في نفس الشّخص العالم بها، فما بالك بالتأثير في سائر الناس أو الموجودات؟!

إنّ ما يوقع الأثر الخارجي في عالم الخارج إنّما هو نَفَس ونَفَس الإنسان صاحب البصيرة. فمن لم تحقّق نفسه الاستنارة بنور العلم على إثر تذلّلها وعبوديّتها لله ولم تنل ما يناله أولياء الله من نور القلوب ولم تنتقل من تيه النظر إلى مستقرّ البصر، فلن يكون لهذه النفس أيّ أثر وثمر. وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «**ليس العلم بالتعلّم. إنّما هو نورٌ يقع في قلب مَنْ يريد الله تبارك وتعالى أن يبديه**».[1]

---

١ . مشكاة الأنوار: ٣٢٥، الباب ٩، وبحار الأنوار ١: ٢٢٥، أبواب العلم وآدابه...، الباب ٧، مع أنّه ورد في ذيله: «**أن يهديه**».

وكما أفاد صاحب كتاب «العوارف»: إذا لم يكن لمحضر العالم نفع، فلا نفع لكلامه، فإذا لم يؤثّر جلوس أو قيام عالمٍ مّا و سكوته أو كلامه و مجيئه أو ذهابه وسنّته وسيرته، فلن يكون لكلامه أدنىٰ تأثير. قال ﷺ: من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه.[1] هناك نزرٌ قليلٌ من الناس ممّن له بعد نظر، كما يقلّ أن تجد من له بصيرة من بينهم. إنّ من لهم نفَس ونَفَس هم أولياء الله والأئمّة المكرّمون عليهم السلام، لا سيّما خاتم الأولياء الحجّة بن الحسن عجّل الله فرجه، الذي هو محور سلسلة أصحاب أنفاس العالم. ومن هذا المنطلق تحيىٰ العقول ـ في مرحلة الظهور ـ بنَفَس المسيح الذي هو روح الأرواح لعالم الأحياء.

إنّ مَثَل تأثير أولياء الله ـ لا سيّما تأثير الوجود المقدّس لإمام العصر عجّل الله فرجه ـ في نفوس الناس كمَثَل تأثير المغناطيس أو الكيمياء؛ إذ المغناطيس يجذب إليه بقوّته الذاتيّة دون أيّة حركة منه قطعات الحديد حتىٰ الثّقيل منها، كما أنّ الكيمياء تحيل ـ بدون إصدار كلام ـ كلّ أمر غير ذي قيمة إلىٰ مادّة، فتحقّق تحوّلاً جوهريّاً في عالم التكوين.

إنّ لقاء الأنبياء وأئمّة الهدىٰ وأولياء الله لها أثر المغناطيس والكيمياء، كما أنّ لهذه الخاصّيّة ظهوراً أكبر في حبيب القلوب إمام العصر عجّل الله فرجه؛ لأنّه ـ علىٰ خلاف سائر الأنبياء والأئمّة ـ أُجيز له أن يُعمل طاقته المغناطيسيّة والكيميائيّة لتغيير مسار العالم. ولهذا السبب يوجد لقاءه تحوّلاً في القلوب، فلا يمكن لأحد أن يقاوم انجذابه لوجوده المبارك، كما يفقد الحديد مقاومته في قبال المغناطيس.

ثمّ إنّ خليفة الله لاينطق بلغة فلسفيّة أو كلاميّة أو حسب مباني العرفان النظري، بل يتكلّم علىٰ أساس نور العرفان العملي، فيكون كلامه جذّاباً للقلوب ذا بيانٍ ساحرٍ.

---

١. عوارف المعارف: ٧٤.



ظهور اسم الهادي في وجود المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف

هداية القلوب على يد إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يُستفاد من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[١] أنّ الأنبياء والأولياء قد بلغوا مقام الإمامة الشامخ، أعني: قيادة وهداية قلوب البشر بأمر الله الغيبي تعالى شأنه.

وللفظ الأمر معان متعدّدة؛ فتارةً يكون بمعنى الشأن، ويجمع هذا اللفظ على أُمور، وأُخرى يكون بمعنى إصدار التعليمات للمأمور، والجمع أوامر، وثالثةً يأتي لفظ الأمر في مقابل لفظ الخلق[٢]، كما يُلاحظ هذا المعنى في جملة من الآيات الإلهيّة الواردة في بيان الجهة الملكوتيّة للأشياء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٣]، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾.[٤] ورد الأمر في هذه الآية بمعنى الإيجاد الدفعي للموجودات في عالم أعلى وأسمى من عالمي الطبيعة والخلق؛ إذ إنّ عالم الخلق التدريجي للأشياء له زمان ومكان في الطبيعة: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.[٥] وباعتبار أنّ كلّ خلق مسبوق بالأمر، فإنّ كلّ شيء مُلكي ـ مضافاً إلى جهاته الطبيعيّة ـ له أيضاً جهة ملكوتيّة حافظة لها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[٦]. نعم، الخلق بمعناه الجامع لا مقابل له؛ وذلك أنّ الخلق والأمر أمران متقابلان واقعان تحت هذا المعنى الجامع، كما

---

١ . سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

٢ . راجع مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨، مادّة (أمر).

٣ . سورة يس، الآية: ٨٢.

٤ . سورة القمر، الآية: ٥٠.

٥ . سورة فصّلت، الآية: ١٠.

٦ . سورة يس، الآية: ٨٢ وسورة البقرة، الآية: ١١٧.

يشهد له قوله تعالىٰ: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾[1]؛ إذ إنّ هذه الآية تشمل المجرّد والمادّي علىٰ حدّ سواء، كما تتضمّن المُلكي والملكوتي.

ثمّ إنّ الأمر الإلهي في مقام الخلقة له ظهورٌ علىٰ نحوين: تدريجي دفعي وعادي طبيعي، وأمّا ما كان علىٰ خلاف العادة فيُراد به لباس المعجزة والكرامة. لقد أظهر الله تعالىٰ أمره لمريم عليها السلام في قالب كرامة خارقة للعادة، ما أدّىٰ إلىٰ ذهول زكريا عليه السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيا المِحرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزقاً قَالَ يَـمَريَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَت هُوَ مِن عِندِ الله إِنَّ اللهَ يَرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَاب﴾[2]. وهذا الرزق ظهور للرزق الملكوتي الذي يتمّ إيجاده بأمر ﴿كُن فَيَكُون﴾.

إنّ أولياء الله لا يعملون إلاّ علىٰ أساس قوله تعالىٰ: ﴿يهدونَ بِأَمرِنَا﴾[3] و ﴿كُن فَيَكُون﴾، ورفع الموانع المادّيّة وقضاء الحوائج عندهم من أدنىٰ الكرامات، فمن أراد أن يخرج من الجهل إلىٰ العلم ومن الظلم إلىٰ العدل ومن سوء العاقبة إلىٰ حسنها ومن العذاب إلىٰ نعيم الجنّة، فعليه أن يتعلّق ويتوسّل بكرامات أولياء الله، لا سيّما الوجود المبارك لصاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّىٰ ينال حاجاته ببركة الأمر ﴿كُن فَيَكُون﴾ فيهتدي قلبه إليه.

صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف رفيق سفر السالكين

السالك إلىٰ الله: إمّا أن يكون علىٰ اطّلاعٍ وبصيرةٍ بطريق سلوكه وبجميع مراحل سيره ومخاطره، وإمّا أن لا يكون علىٰ اطّلاع بها. والسالك غير العالم بمسالك طريقه وبما سيوصل إليه في أشدّ الحاجة إلىٰ رفيق خبير يرشده إلىٰ ما

---

١ . سورة الزمر، الآية: ٦٢.

٢ . سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

٣ . سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.



يوصله إلى المقصود، وما ينقذه من أوج الحضيض إلى ما فيه خيره وسلامته، وما يعينه على مخاطر الطريق ومهالك السلوك، ويحقّق له سلامة السفر وحسن العاقبة والوصول إلى المقصود.

وليس طريق الإنسانيّة النيّر وعبوديّة الله الحقّة بمستثنى من هذه القاعدة الكلّيّة؛ إذ يؤدّي الأنبياء وأولياء الله دور العارفين بالطريق وسفراء الهداية للخلق. ومن هذا المنطلق أمر الله تعالى نبيّه الأعظم بالصبر وبمرافقة السالكين إلى جادّة العبوديّة: ﴿**وَاصبِرِ نَفسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُ**﴾[1]. ثمّ إنّ السّالك حين يدرك وجود رفيق حليمٍ بجانبه يواصل سلوك طريقه دون اضطراب. وأمّا إذا لم يتمكّن رفيق الطريق من إيصال رفيقه إلى الغاية المقصودة، فيتركه وحيداً مكتفياً بإراءة الطريق له، فلن يصل السالك إلى الغرض المنشود، كما أنّ وصوله إلى ما يمكنه الوصول إليه سيكون مشفوعاً بالاضطراب والحيرة.

إنّ مفاد الآية الكريمة محلّ البحث حيّ دائماً؛ وذلك أنّ الآية بصدد الحديث عن الرسالة وعن شخصيّة النبي ﷺ الحقوقيّة، لا شخصيّته الحقيقيّة وبدنه العنصري. وفي زمن ظهور الوجود المبارك لصاحب العصر عجّل الله فرجه سيكون البشر بخدمة الحضور العنصري للإمام، كما سيكون بخدمة حضوره الرسالي والولائي. أمّا في الوقت الحاضر فلن ينالوا إلاّ ظلّ الرحمة والولاية والرسالة. نعم، من كان من أهل الذكر صباح مساء ومن المقيمين الصلاة بواجباتها ونوافلها ومن السابقين إلى فعل الخير في سبيل الله، كان من السالكين المرافقين للرسول الأكرم ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام، بالإضافة إلى مرافقته للوجود المبارك لصاحب العصر عجّل الله فرجه.

---

١ . سورة الكهف، الآية: ٢٨.

و الآية المزبورة وإن كانت بصدد توجيه الخطاب إلىٰ النبي الأكرم ﷺ، إلاّ أنّ إمام الزمان ؈ لمّا كان خليفة رسول الله كان أيضاً مخاطباً من قبل الآية الكريمة، كما أنّه يسير علىٰ نهجها، ومعه يكون دليلاً ورفيقاً للسالكين الطالبين لوجه الله، أي: يكون معهم قدماً بقدم، ما يدفع حضوره السالكين إلىٰ المضي قدماً في طريقهم ومسيرهم.

ثمّ إنّ أصحاب هذا الطريق ليشعرون بالأمن والطمأنينة ويدركون أنّ مولاهم يرافقهم في حركاتهم وسكناتهم، فهو لا يكتفي بقيادة المجتمع في إطار السياسة والحكومة فحسب [أعني: الحكومة العالميّة]، بل يتعدّىٰ ذلك ليكون مولىٰ السالكين المتّصل بهم المرافق لهم في مسيرهم قدماً بقدم. إنّه إمام القلوب، كما أنّه إمام الأبدان، وإمام الجهاد الأكبر، كما هو إمام الجهاد الأوسط والجهاد الأصغر.

قائد قافلة العشق

الإنسان موجود متحرّك لا يمكن أن تمرّ عليه لحظة سكون، وإذ كانت كلّ حركة بحاجة إلىٰ محرّك، كان للإنسان محرّك بالضرورة؛ لأنّه لا يُعقل البتّة أن توجد حركة ويوجد متحرّك من دون وجود محرّك.

ومع أنّه لم يرد في القرآن الكريم لفظ الحركة والمتحرّك ليكونا مقدّمة لذكر احتياجهما إلىٰ المحرّك، إلاّ أنّ عنوان السير المرادف لمفهوم الحركة ورد في القرآن الكريم في ضمن الإشارة إلىٰ أنّ الله تعالىٰ هو المسيّر لغيره: ﴿هُوَ الذِي يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ﴾[1] و ﴿وَيَومَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ﴾.[2] كما وردت ألفاظ أُخر ذات مدلول

١ . سورة يونس، الآية: ٢٢.
٢ . سورة الكهف، الآية: ٤٧.



قريب منه نحو: (جرىٰ) و(سبح) ونحوهما في غير موضع من القرآن الكريم: ﴿وَالشَّمسُ تَجرِي لِمُستَقَرٍّ لَهَا﴾[1] و ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسبَحُونَ﴾[2].

وفي بيانه لهذه الحقيقة ـ أعني: افتقار الحركة إلىٰ محرّكها ـ أفاد مولانا الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً: «**وكلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به**»[3] فلا يُعقل أن يوجد متحرّك من دون الحاجة إلىٰ من يحركّه. إنّ المفاد العالي المضامين لهذا البيان النوري يعمّ القيادة المُلكيّة والظاهريّة للمجتمع، كما يشمل القيادة الملكوتيّة والباطنيّة. وإن شئت قلت: مضافاً إلىٰ شؤون الإنسان العاديّة والمادّيّة، فإنّ لصلاته وصيامه وسائر عباداته أيضاً مسيراً خاصّاً ينبغي أن يرافقه تحوّل داخلي وصيرورة باطنيّة في الإنسان العابد، ما تقتضي هذه الحركة بالضرورة محرّكاً. لكن من هو قائد هذا السير الباطني والتحوّل الداخلي والمحرّك لهذه القافلة المتلاطمة المضطربة؟

لا يخفىٰ: أنّ للأئمّة المعصومين عليهم السلام ـ مضافاً إلىٰ قيادتهم الظاهريّة وإدارتهم لشؤون عالم الملك ـ سيراً باطنيّاً وقيادةً ملكوتيّةً للمجتمع أيضاً. ومع أنّ الأغيار غصبوا القيادة الظاهريّة من الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فحكموا علىٰ هذه الذوات المباركة بالقبوع في بيوتهم، إلاّ أنّ قيادتهم الملكوتيّة حقيقة لا يمكنها أن تنفصل عن وجودهم المقدّس أو أن تزول عنهم؛ لمكان أنّ هذه القيادة الملكوتيّة لا تتحقّق بالتنصيب الاعتباري، كما لا يمكن أن تزول بالغصب والعنف.

ولو قبلت صلاة المصلّين ونوافلهم، لم يكن القبول إلاّ كلمةً طيّبةً تصعد إلىٰ الله، فتكون سبباً ممدوداً نحو السماء يتقرّب به صاحبه إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنّ «**الصلاة**

---

١ . سورة يس، الآية: ٣٨.

٢ . سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

٣ . الكافي ١: ١٢٥، باب الحركة والانتقال.

قربان كلّ تقي»[١]، كما أنّ الصوم والزكاة والحجّ وسائر العبادات تصعد إلىٰ الله، حسبما يُستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿**إِلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾.[٢] وهذا الصعود والتقرّب عبارة عن سير وصيرورة ذي حاجة إلىٰ تحريك وإلىٰ قيادة. وبعبارة أُخرىٰ: إنّ العمل الصالح الصّاعد يحتاج إلىٰ أعمال أُخرىٰ تتيح له الصعود، كما يحتاج إلىٰ عامل مساعد وإلىٰ أُسوة حسنة وبرامج ولائيّة قياديّة. وهذه القيادة ليست إلاّ العمل الصالح للإنسان الكامل، أي: الإمام المعصوم في كلّ زمان، فهو الذي تؤمّ صلاته صلاة كلّ مصلّ متّقٍ، كما أنّ وجوده المبارك هو القائد الملكوتي للناس، فيرشدهم إلىٰ غايتهم النهائيّة الّتي خُلق البشر من أجلها.

ومنه يظهر: أنّ من أقام الصّلاة في أوّل وقتها فقد وصل صلاته بقافلة الصلوات التي أمّها وليّ الله ورفعها لتصعد إلىٰ الله؛ نظراً إلىٰ أنّ إمام العصر ﷺ لا يقيم صلاته إلاّ أوّل وقتها.

كما أنّ إمام العصر ﷺ ـ أي: قائد قافلة الأبدان والأرواح ـ يفيض إلىٰ الحجّ كلّ سنة، ويشارك في مراسمه، ويؤدّي مناسكه في عرفات ومنىٰ، حسبما أفاده مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: «**يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم، فيراهم ولا يرونه**»[٣]. وإليه الإشارة أيضاً بما أفاده محمّد بن عثمان العمري النائب الخاصّ لصاحب العصر ﷺ بقوله: والله، إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنةٍ، يرىٰ النّاس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه[٤]. وهناك عددٌ غير قليل ممّن تربّىٰ علىٰ يدي صاحب العصر ﷺ وطائفة من خواصّ تلامذته من الحجّاج يتمكّنون ببركة عناياته الخاصّة من الإحاطة بملكوت الأفراد.

---

١ . الكافي ٣: ٢٦٥، باب فضل الصلاة.

٢ . سورة فاطر، الآية: ١٠.

٣ . الكافي ١: ٣٣٨، باب في الغيبة.

٤ . من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٢٠، باب نوادر الحجّ.

والجدير بالذكر: أنّ بعض الحجّاج و المعتمرين قد يواجه مشاكل، فتنحلّ تلقائيّاً ببركة إمام العصر ﷺ، إلاّ أنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّ كلّ عمل خارق للعادة وكلّ كرامة في أيّام الحجّ وعلى أرض عرفات أو منى لها ارتباط مباشر بالوجود المبارك لإمام الزمان ﷺ. فمن الممكن أن يضلّ جاهلٌ أو عجوزٌ طريقه إلى الخيام أو يبقى مدّة سفره منتقلاً من مكانٍ إلى آخر بلا زادٍ أو راحلةٍ، فيتدخّل أحد أولياء الله ممّن تربّى في مدرسة ولاية إمام العصر ﷺ، فيحلّ له مشكلته، فيكون ذلك من عنايات الوجود المبارك للإمام ﷺ بالواسطة.

والحقّ: أنّ التشرّف المباشر أو غير المباشر بإمام العصر ﷺ وحضوره الشريف بحاجة إلى لياقة وأهليّة خاصّة، ولذا فالأوحدي من المؤمنين الموحّدين يوفّق لزيارة الوجود المبارك لإمام العصر ورؤيته ﷺ. وأمّا في سائر الموارد فقد يتشرّف غير واحدٍ بعناية خاصّة من قبل إمام العصر ﷺ، فيستفيض من عنايات الأولياء والصالحين والشهداء ونحوهم ممّن ترعرع في مدرسة الإمام ونوره الساطع، ليستلهم من أنوار الرحمة واللطف الذي يفيض به الإمام على غيره.

مرآة الرحمة والغضب

لله تعالى رحمة واسعة ومطلقة لا مثيل ولا نظير لها، كما أنّ له سبحانه رحمة خاصّة لها ما يقابلها، أي: الغضب. أمّا الرحمة التي سبقت غضبه التي تكون إمامتها بيده: «**وأنت الذي تسعى رحمتُهُ أمام غضبه**»[1] كما تقدّم عليه: «**يا من سبقت رحمته غضبه**»[2] فهي رحمة العالم التي تنزّهت عن أن يكون لها مقابلٌ.

---

١ . الصحيفة السجّاديّة: ٨٧، الدعاء ١٦.

٢ . إقبال الأعمال: ٣٦٢، فصل فيما نذكره من أدعية يوم عرفة.

والإنسان الكامل المعصوم كخاتم الأنبياء مظهرٌ لثلاثة من أسماء الله الحسنىٰ؛ لأنّه المجلىٰ الأتمّ للاسم الأعظم الجامع لجميع الأسماء. أمّا الأوّل فهو أنّه مظهر للرحمة المطلقة: ﴿... إلاَّ رَحمَةً لِلعَالَمِين﴾.[١] وأمّا الثاني فهو كونه مظهراً للرحمة الخاصّة: ﴿بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيم﴾.[٢] وأمّا الثالث فهو مظهريّته لغضب الله تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُم﴾[٣]. ويجري الكلام أيضاً في حقّ خاتَم الأئمّة الإمام المهدي ؛ فهو مظهرٌ لهذه الأسماء الثلاثة في عصر حكومته العالميّة ومجلىٰ هذه الأسماء بالفعل آنذاك. وعلىٰ هذا الضوء يكون وجوده المبارك مرآة كاملة للرحمة والغضب الإلهيّين بلحاظ تلك الأبعاد الثلاثة.

دور المهدي في ظهور الدين الإلهي

لا شكّ في تحقّق ظهور إمام العصر ، كما لا كلام في أنّ العالم أجمع يعيش بانتظار ظهوره. وليُعلم: أنّ أحد معاني الظهور أو لوازمه هو النصر والغلبة، كما أنّ من أبرز مصاديق أمر الله الدين الإلهي. إنّ الغرض النهائي من بعثة الأنبياء ظهور دين الله علىٰ كافّة الأديان الباطلة أو المنسوخة: ﴿لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُون﴾.[٤] كما أنّ بعثة الأنبياء أهمّ عامل في تحقيق هذا الهدف

---

١ . سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٢ . سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

٣ . سورة الفتح، الآية: ٢٩. يُلاحظ: أنّ الصفات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّار ...﴾ التي ذُكرت علىٰ أنّها من فضائل أصحاب رسول الله لم تكن إلّا ملكات وفضائل اكتسبوها من نبي الإسلام الأكرم ؛ فإنّ ظهور هذه الصفات والمحامد وتجلّيها في شخص النبي أولىٰ، كما لا يخفىٰ.

٤ . سورة التوبة، الآية: ٣٣، وسورة الصفّ، الآية: ٩.



المنشود، أي: قيادة الكمّل في الأرض، لاسيّما الحجّة بن الحسن المهدي عجّل الله فرجه.
والوجه فيه: أنّ خاتم الأوصياء استقلّ بتأييد إلهي خاصّ وتميّز بوراثة جهود المعصومين السابقين عليهم السلام باعتبارهم جميعاً المستقرّين في أمر الله[1] الساعين إلى تفتّق القدرات الإدراكيّة والعقليّة الكامنة في الناس من جهة، والعاملين لانتشار العدالة في المجتمع من جهة أُخرى، فيرافقهم التسديد والتأييد في تحقّق أمر الله ودينه؛ ليظهره على سائر الأديان والمذاهب، وليتغلّب عليها فكريّاً وثقافيّاً. وكما تغلّب حواريّوا المسيح عليه السلام بإذن الله في مرحلة محدودة على الكفّار: ﴿... **فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَـٰهِرِينَ**﴾[2] فكذلك سوف يعمّ السلم والعدل على جميع أنحاء المعمورة، كما قدّره المولى تعالى على يد الوجود المبارك لبقيّة الله عجّل الله فرجه، أعني: خاتم الأوصياء عجّل الله فرجه وعصارة جميع الذوات المقدّسة السابقة عليه.

أوجه الشبه بين إمام العصر عجّل الله فرجه وموسى الكليم عليه السلام

لعلّ الآية الشريفة: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[3] التي تلاها صاحب العصر عجّل الله فرجه لحظة ولادته بيانٌ لبرنامجه الإصلاحي الموعود.

لقد أفادت الآية الكريمة: أنّ الله تعالى أراد تكويناً أن ينقذ المستضعفين من قبضة المستكبرين، ويجعلهم ورثةً للأرض، ويمكّن لهم أن يؤسّسوا حكومة

---

١ . راجع البلد الأمين: ٢٩٨، ذكر عمل السنة، ذو الحجّة، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٦٠٩، زيارة جامعة لجميع الأئمّة عليهم السلام.

٢ . سورة الصفّ، الآية: ١٤.

٣ . سورة القصص، الآية: ٥.

العدل والقسط؛ لينجي الأرض وأهلها من ظلم الفراعنة ويطردهم منها من دون رجعةٍ.

إنّ اختيار هذه الآية التي تتحدّث عن التعارض والتقابل بين المستضعفين والمستكبرين لتلاوتها من قبل صاحب العصر ﷺ مفاده ضرورة تحقّق الإرادة الإلهيّة على يد هذا الإمام المقتدر الهمام.

هذا مع أنّ برنامجه لن يقتصر على بيان الأحكام فحسب، بل إنّ برنامجه نظير برنامج موسى كليم الله عليه السلام من حيث مقارعته للمستكبرين الكافرين الظالمين، كما أنّ مرحلة الحمل به ومولده لها الشبه الواضح بما جرى لموسى عليه السلام أيّام الحمل به وولادته، ممّا قد يكشف عن وجود تشابه كبير بين برنامجيهما في الثورة على الظالمين.

وقد ذكر بعض أهل المعرفة أنّ أطفال بني إسرائيل قتلوا جميعاً على يد فرعون إثر احتمال مولد موسى عليه السلام، فكان فرعون يقتل الأطفال حديثي الولادة ظنّاً منه أنّ أحدهم قد يكون موسى. ورغم كلّ ذلك انتصر موسى بعون الله على الفراعنة الذين كان مصيرهم الغرق في قعر البحر: ﴿**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُم فِي الْيَمِّ**﴾[1]. وهذا النصر لم يكن بلا ثمنٍ؛ إذ إلى جانب غرق جمعٍ غفيرٍ من بني إسرائيل ممّن فضّلوا طلب العافية والنجاة بأنفسهم والاستتار وراء مختلف الأعذار، فقد استشهد عددٌ كبيرٌ من الصالحين صبراً حتّى مهّدوا الطريق لتجلّي موسى عليه السلام وظهوره.

لقد سُفكَ دم الآلاف من الأطفال
حتّى غدا كليم الله ذا عيانٍ وشهودٍ[2]

---

١ . سورة القصص، الآية: ٤٠

٢ . منطق الطير.

يقول: صد هزاران طفل سر ببريده گشت　　　تا كليم الله صاحب ديده گشت



إنّ الوجود المبارك لمهدي آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه الشريف كوجود موسى كليم الله عليه السلام، فسيظهر لينجي المجتمع الإنساني من طواغيت عصره وفراعنة زمانه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، فيظهر بظهوره نور العدل والعدالة ويبرز ببروزه جمال الحكومة المهدويّة.

سرّ تسمية إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالقائم

وللحجّة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف ألقابٌ وأسماءٌ عديدةٌ، يشير كلّ واحد منها إلى وجه مخصوص بذاته وحقيقته الشريفة. ومن بين ألقابه المشهورة يمكن الإشارة بنحو خاصّ إلى لقب القائم؛ إذ ورد هذا الاسم المبارك في جملةٍ من الروايات، ما يظهر منها أنّه يتضمّن سرّاً لطيفاً. وقد ذكرت وجوه متعدّدة في سرّ تسمية الإمام المنتظَر بالقائم نشير إلى بعضٍ منها فيما يلي:

١ ـ عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي قال: سألت أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام: يا ابن رسول الله... أفلستم كلّكم قائمين بالحقّ؟ قال: «بلى». قلت: فلِمَ سُمّي القائم قائماً؟ قال: «**لمّا قُتِل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت عليه الملائكة إلى الله بالبكاء والنحيب وقالوا: إلهنا وسيّدنا، أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فأوحى الله (عزّ وجلّ) إليهم: قرّوا ملائكتي. فوعزّتي وجلالي، لأنتقمنّ منهم ولو بعد حينٍ. ثمّ كشف الله (عزّ وجلّ) عن الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائمٌ يصلّي، فقال الله (عزّ وجلّ): بذلك القائم أنتقم منهم**».[1]

---

١ . علل الشرائع ١: ١٩١ ـ ١٩٢، الباب ١٢٩، وبحار الأنوار ٤٥: ٢٢١، الباب ٤١ و٥١: ٢٨ ـ ٢٩، الباب ٢.

٢ ـ عن الصقر بن دلف قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي الرضا عليه السلام يقول: ... قلت له: يا ابن رسول الله، ولِمَ سُمّي القائم؟ قال عليه السلام: **«لأنّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته»**.[١]

٣ ـ روىٰ محمّد بن عجلان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «وإنّما سُمّي القائم مهديّاً لأنّه يهدي إلىٰ أمرٍ مضلولٍ عنه، وسُمّي بالقائم لقيامه بالحقّ».[٢]

كما وردت رواياتٌ متعدّدة حول خصائص تسمية القائم، وقد أُشير إلىٰ مثال منها في ما رواه عبد العظيم الحسني رحمه الله، قال للإمام الجواد عليه السلام: أرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً. فقال عليه السلام: **«يا أبا القاسم، ما منّا إلاّ وهو قائمٌ بأمر الله (جلّ وعزّ) وهادٍ إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله (عزّ وجلّ) به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى على النّاس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب. يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض؛ وذلك قول الله (عزّ وجلّ): ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[٣] فإذا اجتمعت له العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره. فإذا كمل له العقد ـ وهو عشرة آلاف رجل ـ خرج بإذن الله (عزّ وجلّ)، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله (عزّ وجلّ)»**. قال عبد العظيم: قلت له: يا سيّدي، وكيف يعلم أنّ الله (عزّ وجلّ) قد رضي؟ قال: **«يلقي في قلبه الرّحمة»**.[٤]

---

١ . كمال الدين ٢: ٥٠، الباب ٣٦، وبحار الأنوار ٥١: ٣٠، الباب ٢.

٢ . الإرشاد ٢: ٤٩ ـ ٥٠، وبحار الأنوار ٥١: ٣٠، الباب ٢.

٣ . سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

٤ . كمال الدين ٢: ٤٩ ـ ٥٠، الباب ٣٦، وبحار الأنوار ٥٢: ٢٨٣، الباب ٢٦.

كما يقول عبد العظيم الحسني: دخلت على سيّدي الإمام الجواد عليه السلام... وأنا أُريد أن أسأله عن القائم، فابتدأني فقال لي: «**يا أبا القاسم، إنّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر في غيبته، ويُطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي**».[1]

فظهر: أنّ هذا اللقب منحصرٌ في إمام العصر عجّل الله فرجه، وإن تقدّم سابقاً بأنّ القيام بالقسط من الشروط العامّة لإمامة المعصومين عليهم السلام: «**فلعمري، ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط**»[2]، «**إنّما هم الأئمّة عليهم السلام القوّامون بدين الله**».[3] وأمّا لقب القائم فهو من مختصّات بقيّة الله عجّل الله فرجه، وإليه الاشارة بقولهم عليهم السلام: «**ليعدنّ أحدكم لخروج القائم**»[4]، «**ينادي مناد من السماء باسم القائم عجّل الله فرجه، فيسمع ما بين المشرق والمغرب... وهو صوت جبرئيل الروح الأمين**»[5] فلم يعرف إلاّ المهدي عجّل الله فرجه بتسمية قائم آل محمّد: «**إن أدركت القائم من آل محمّد نصرته**»[6] و«**منّا المصطفى والمرتضى، ومنّا يكون المهدي قائم هذه الأُمّة**».[7] ولذا جرت العادة عند سماع هذا الاسم الشريف على قيام السامع احتراماً للحجّة عجّل الله فرجه.

---

١ . كمال الدين ٢: ٤٩، الباب ٣٦.

٢ . الإرشاد ٢: ٣٩، باب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليه السلام... .

٣ . الغيبة (النعماني): ٨٦، الباب ٤، وبحار الأنوار، ٣٦: ٢٩٣، الباب ٤٥.

٤ . الغيبة (النعماني): ٣٢٠، الباب ٢١، وبحار الأنوار ٥٢: ٣٦٦، الباب ٢٧.

٥ . الغيبة (الطوسي): ٤٥٤، الفصل ٧، وبحار الأنوار ٥٢: ٢٩٠، الباب ٢٦.

٦ . المحاسن ١: ٢٨٧، الباب ٢٨، وبحار الأنوار ٥٢: ١٢٦، الباب ٢٢.

٧ . كفاية الأثر: ٢٩٨، وبحار الأنوار ٤٦: ٢٠٢، الباب ١١.

سرّ تسمية الإمام ببقيّة الله

كما ورد التعبير أيضاً ببقيّة الله في القرآن الكريم[١]، وذُكرت وجوهٌ عدّة لبيان السرّ فيه. لقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ كلّ شيء يعتريه الهلاك والفناء، ولا يُستثنىٰ من ذلك إلاّ وجهه تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾.[٢]

فإن قيل: إنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿وَجهَه﴾ يعود إلى القريب المعنوي لا اللفظي، عاد إلى الله تعالى بما أنّه أقرب إلى كلّ شيءٍ، ومعه يكون معنى الآية كما يلي: كلّ ما سوىٰ وجه الله هالكٌ وفانٍ. أمّا لو عاد الضمير إلى المرجع القريب لفظاً، كان مفاد الآية: أنّ كلّ شيءٍ هالكٌ وفانٍ، ولا يبقىٰ سوىٰ وجه ذاك الشيء، فيكون لكلّ شيء وجهان وجهتان:

١ ـ الوجه الشخصي الخاصّ به، وليس هو إلاّ الفقر والفقدان والزوال والتغيّر.

٢ ـ الوجه الإلهي والاتّصال الربوبي والارتباط بالمبدأ الغني والقوي الذي يطلق عليه آية الله والّذي لا يعتريه تبدّلٌ أو تغييرٌ.

إنّ الوجه الإلهي بأيّ نحو كان يشير إلى ما لا يشار إليه بجهة محدّدة وإلى ما لا يعتريه الفناء. وكيفما كان فوجه الله هو الصورة التي أراها الله سبحانه لشيء خاصّ أو فرد خاصّ، وهذه الصورة باقية لا تزول وقائمة على أساس العلم والعدل. وإن شئت قلت: إنّ من كان من جهة موحّداً يعرف ما عليه من الفرائض عاملاً من جهة أُخرىٰ بوظائفه، كان عالماً عادلاً، فله حظٌّ من وجه الله ويتوفّر على نصيب من البقاء بقدر ما له من هذا الحظّ، كما يكون بتعبير القرآن

---

١ . في قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ الله خَيرٌ لَكُم إِن كُنتُمْ مُؤمِنِين﴾ (سورة هود، الآية: ٨٦).

٢ . سورة القصص، الآية: ٨٨.



من زمرة ﴿**أُولُوا بَقِيَّةٍ**﴾[١] أي: من أصحاب البقاء.

وإذ تقرّر أنّ إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الذخيرة الإلهيّة لإصلاح سائر المجتمعات البشريّة، سُمّي ببقيّة الله. كما أنّ سائر المعصومين ابتداءً بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وانتهاءً بخاتم الأوصياء إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بقيّة الله، فهم في عالم الحقيقة باقون حاضرون مستعدّون لتربية الناس وتزكيتهم. ومن هذه الجهة فهم المصداق البارز والكامل للعلماء الإلهيّين، ولذا كانوا بحسب تعبير أمير المؤمنين عليه السلام باقين ما بقي الدهر: «**العلماء باقون ما بقي الدهر**»[٢]، و «**يموت من مات منّا وليس بميّتٍ، ويبلى من بلى منّا وليس ببالٍ**».[٣] وعلى هذا الضوء فهم أحياءٌ حتّى بعد موتهم الظاهري، في قبال من هو ميّت حتّى قبل موته الظاهري، كما إليه الإشارة بقول أمير الكلام عليه السلام: «**وذلك ميّت الأحياء**».[٤]

صلاة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف تجلّ للتوحيد

إنّ الصّلاة شعار الدين وسلّم العروج في مقام العبوديّة، كما أنّ أئمّة الهداية ـ الذين هم أدلّة طريق الوصول إلى قرب الحقّ ـ كان همّهم إقامة هذه الشعيرة والمحافظة عليها. لقد وردت الإشارة إلى صلوات متعدّدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّة النور عليهم السلام تمثّل درساً نافعاً في المعارف الإلهيّة، مضافاً إلى صورتها الملكوتيّة في مقام العبوديّة.

وليُعلم: أنّ من الأعمال المستحبّة أداء صلاة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، التي تمثّل مع الدعاء الذي يتلوها مدرسةً في التوحيد الخالص. تشتمل الصلاة على تكرار جملة

---

١ . سورة هود، الآية: ١١٦.

٢ . نهج البلاغة، الحكمة: ١٤٧.

٣و٤ . نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

التوحيد ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾[١] مائة مرّة، مع أنّ العبارة المذكورة واسطة العقد وقطب الرحىٰ بالنسبة إلىٰ سورة الفاتحة. ويظهر أنّ وراء ذلك سرّاً عظيماً حاصله: أنّ المصلّي حين يصدر منه التوحيد مائة مرّة بنحو يكون المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ مقدّماً علىٰ ﴿نَعبُدُ﴾ وعلىٰ ﴿نَستَعِينُ﴾ فإنّه يلقّن قلبه التوحيد (مع إفادة التعبير بالاستعانة والعبادة الحصر) حتّىٰ ينال التوحيد الخالص.

وفي كلّ ركعة من الصلاة يكرّر المصلّي جملة التوحيد مائة مرّة، وإذ أفادت هذه الجملة الحصر، يكون المصلي قد تمرّن علىٰ توحيد الله أربع مائة مرّة. وعند ذلك يؤمر بذكر الدعاء عقب الصلاة في مناجاةٍ عرفانيّة قائلاً: «**يا محمّد يا علي! يا علي يا محمّد! اكفياني فإنّكما كافياي**».[٢] وترشدنا هذه التعاليم ـ ضمن إطار التوحيد ـ إلىٰ لزوم قيام العمل والعقيدة علىٰ أساس التوحيد، لنتوجّه فيما بعد إلىٰ التوسّل بوسائل القرب المرغّب إليها شرعاً. إنّ هذه الصلاة لا تعلّمنا بأنّ الأئمّة عليهم السلام لهم التأثير بالاستقلال، فيكونون ـ والعياذ بالله ـ في مرتبة الحقّ تعالىٰ أو تالين للذات الربوبيّة القدسيّة بلحاظ الاستقلال في التأثير، بل إنّ من كرّر الشهادة بالتوحيد أربع مائة مرّة ثمّ تضرّع في محضر أولياء الله قائلاً: «**فإنّكما كافياي**»[٣] فقد اعتقد بأنّ هؤلاء الوسيلة إلىٰ الله لا غير.

ونظير هذا المعنىٰ ماورد في زيارة أهل البيت عليهم السلام والزيارة الجامعة الكبيرة عند التشرّف بزيارة حرم أحدهم عليهم السلام؛ إذ علىٰ الزائر قبل قراءة الزيارة الجامعة وقبيل الدخول إلىٰ القبر الشريف للمعصوم أن يقول مائة مرّة كلمة التوحيد (الله أكبر) إلىٰ أن يصل إلىٰ الضريح المطهّر، ليشرع حينها في قراءة الزيارة الجامعة.

---

١ . سورة الحمد، الآية: ٥.

٢و٣ . المصباح (للكفعمي): ٢٣٥، الفصل ٢٢، وجمال الأسبوع: ٢٨٠، صلاة الحجّة القائم عجّل الله فرجه.

وحينما يأتي الزائر بهذا الأدب التوحيدي الرفيع ويقرأ في زيارته: «**بكم فتح الله، وبكم ختم الله، وبكم ينزل الغيث والرحمة، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض**»[١] يتّضح له أنّ الأئمّة عليهم السلام وسائط ومجاري الفيض. ويجري الكلام نفسه في الملائكة الذين يدبّرون أمر العباد: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمراً**﴾[٢]؛ بملاك أنّ تدبيرهم إنّما يتمّ بإرادة الله تعالى وإذنه. كما أنّ زيارة إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لها هذا التأثير أيضاً، وصلاته درسٌ وعبرةٌ في التوحيد والولاية.

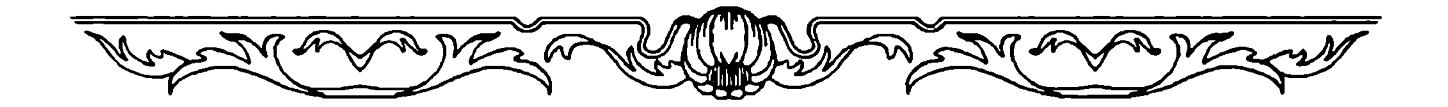
* * *

١ . البلد الأمين: ٣٠٢، ذكر عمل السنة، ذو الحجّة، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٥، زيارة جامعة لجميع الأئمّة عليهم السلام .

٢ . سورة النازعات، الآية: ٥.

الفصل الثالث:

المهدويّة الشخصيّة



المهدي الموجود الموعود ﷺ

يُستفاد ممّا ورد في جملة من أحاديث رسول الله ﷺ وروايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام أنّ الأئمّة المعصومين والخلفاء الحقيقيّين لرسول الله اثنا عشر نفراً[1]، وأنّ الله تعالى عيّن أسماء هذه الذوات المقدّسة وسائر خصائصهم وهويّاتهم. كما يتّضح إثر مراجعة كتب التاريخ والسير بأنّ أحد عشر نفراً من بين هؤلاء الأئمّة عليهم السلام قد ولدوا ونالوا درجة الولاية، ثمّ نالوا الشهادة بالسيف أو السمّ. وانطلاقاً من حكم العقل والنقل المسلّمين لا يمكن أن يتحقّق مجتمع إنساني في غياب إمام معصوم، كما أنّ الأرض لا يمكن أن تخلو من قائم لله بحجّةٍ.

1 . أُنظر الكافي ١ : ٥٢٩، باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، والخصال: ٤٧٧، أبواب الاثني عشر.

والنتيجة القطعيّة لهذه المقدّمات الثلاث أنّ الإمام الثاني عشر لا يزال حيّاً يرزق، وسوف يظهره الله تعالى في أيّ وقت شاء. ولا يعني ذلك أنّه سوف يولد فيما بعد، كما لا يعني أيضاً أنّه ولد ثمّ مات؛ إذ الاعتقاد الباطل بعدم ولادته ضلالة، كما أنّ زعم موته غواية. والوجه فيه: أنّ الادّعاء الأوّل من افتراءات الأعداء الألدّاء والرأي الثاني من جعل أهل الباطل والجاحدين المعاندين. وقد تلقّف الأعداء المتربّصون هذين الرأيين وربطوا بينهما وجمعوهما في صورة واحدة محاولين الاستفادة منه في كلّ زمانٍ ومكانٍ. ولعلّ الحقد الدفين المشترك بين الجاهليّة القديمة والجاهليّة الحديثة الّتي ذكرها الله تعالى وبيّن أنّ دسائسها تزداد يوماً بعد يوم ـ في إشارةٍ إلى اليهود الصهاينة وأمثالهم من المتعصّبين ـ هو الّذي يبرّر الوجه في حياكتهم الدسائس منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا: ﴿**وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنهُم إِلاَّ قَلِيلاً مِنهُم**﴾[1].

عجز القوشجي عن إدراك وجود المهدي الموعود ﷺ

إنّ الحديث عن موجودٍ موعودٍ خافٍ عن أنظار الناس أمرٌ صعبٌ مستصعبٌ لا يمكن فهمه إلاّ من قبل أهل التدبّر والبصيرة. ولهذا السبب كان هذا الأمر مدعاةً لطرح جملة من التساؤلات أو الشبهات، الأمر الذي جعل وجود الموعود من معضلات المباحث الكلاميّة. ولعلّ شبهة القوشجي في شرح التجريد في هذا الإطار. ففي تعليقه على ما أفاده الخواجة نصير الدين الطوسي ﵀ من: أنّ من اعتقد بالإمام الغائب وانتظر ظهوره في كلّ لحظة، حفظ إيمانه وضمنت له السعادة، قال: ما المانع أن لا يكون هذا الإمام موجوداً وأنّ الله تعالى سيظهره إلى الوجود متى ما شاء فيما بعد؟ ومعه يترتّب على

---

١ . سورة المائدة، الآية: ١٣.

الاعتقاد بمثل هذا الإمام سائر البركات والغايات المنشودة، كما أنّ الآثار التي ذكرها الطوسي لا تمنع من أن تترتّب على وجود هذا الإمام الذي يولد في آخر الزمان. وعليه فلا تبقى حاجةٌ إلى القول بإمامٍ موجودٍ غائبٍ عن الأنظار يكون الناس في غنى عن التحسّر على غيابه، كما أنّ انتظار حصول ولادته ووجوده يكفيان لضمان هذه الأهداف والغايات.[1]

والجواب عن الشبهة المذكورة المحفوفة بظلمات الشكّ حول ضرورة وجود إمامٍ موعودٍ مع أنّه نور ساطع كالشّمس التي لا يختلف حول وجودها اثنان هو أن يُقال: إنّه ينبغي أن يُعلم أنّ وظيفة الإمام لا تقتصر على القيادة والزعامة السياسيّة فحسب حتّى يقال بأنّ المنافع والمصالح يمكن أن ينالها الفرد بمجرّد الاعتقاد بالإمام الموعود من دون الحاجة إلى إمام موجودٍ، بل إنّ للإمام شؤوناً أُخرى من قبيل: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[2] و ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[3] و «**بكم فتح الله وبكم يختم**»[4] وهذه الشؤون تقضي بالضرورة أن يكون الإمام موجوداً حيّاً حاضراً.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل: «**وَبِأَسمائِكَ التِي مَلأَت أَركَانَ كُلِّ شَيء**»[5]، كما أفاد إمام العصر عجّل الله فرجه في دعاءه الشريف ـ في ضمن أعمال شهر رجب ـ واصفاً الإنسان الكامل وآل طه ويس قائلاً: «**فَبِهِم مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرضَكَ**»[6]

---

١ . راجع شرح القوشجي: ٤٧٤.

٢ . سورة البقرة، الآية: ٣٣.

٣ . سورة فاطر، الآية: ٤١.

٤ . البلد الأمين ٣٠٢، ذكر عمل السنة، ذو الحجّة، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٥، زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام.

٥ . البلد الأمين: ١٨٨، ذكر عمل السنة، شهر شعبان.

٦ . مصباح المتهجّد: ٧٤٠ أوّل يوم من رجب، وإقبال الأعمال: ١٤٥، فصل فيما نذكره من الدعوات في أوّل يوم من رجب... .

أي: إنّ الأئمّة هم واسطة النعم السماويّة والأرضيّة؛ لمكان أنّ هذه الذوات المقدّسة مظهر أسماء الله، وبإذن الله تنال السماوات والأرض هويّتها عبر ولاية أهل البيت عليهم السلام.

ولو أدرك القوشجي أنّ الإمام مصداق التعبير المتقدّم ـ أعني: «**وبه ملأ الله السّماوات والأرض**» ـ لم يعترض على المرحوم الخواجة الطوسي بالقول بأنّ ما ذُكر من آثارٍ مترتّبة على هذا الإمام الموعود الموجود يمكن أن تترتّب أيضاً على الإمام غير الموجود.

ثمّ إنّ للإمام نشآت متعدّدة: إحداها النشأة الطبيعيّة، وانتظار الظهور من متعلّقات هذه النشأة، ومنه يتّضح أنّ مبنى إشكال القوشجي ناشئ من الغفلة عن هذه النكتة، أعني: أنّ الإمام الذي به ملأ الله عزّ وجلّ السماوات والأرض هو الإمام المنتظر والحيّ الموجود، لا الإمام المعدوم المولود فيما بعد.

مقالة هنري كوربان حول سرّ استمرار التشيع

اختصّت مدرسة أهل البيت عليهم السلام من بين سائر المذاهب الإسلاميّة بالاعتقاد بالمهدي الموجود الموعود، وهذا الاعتقاد هو سرّ استمرار التشيّع وبقائه بنشاط وحيويّة. نقل الأُستاذ العلاّمة آية الله السيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله عن البروفسور هنري كوربان أنّه قال: حين ألقيت خطابي بجامعة السوربون في فرنسا ضمن ندوة حول الأديان ذكرت أنّ من بين جميع الأديان والمذاهب في العالم تختصّ مدرسة التشيّع بالحياة والحيويّة، ما يكون لها قابليّة البقاء والدوام والعرض على البشريّة. والوجه فيه: أنّ الشيعة يعتقدون بأنّ علاقة الإنسان مع الله لا تنقطع مطلقاً، كما أنّ الإنسان الكامل موجودٌ حيٌّ بين ظهرانيهم، أعني: وليّ الله المطلق وواسطة الفيض بين الخلق والخالق، وهذا الولي

الإلهي الأعظم إنسان حيّ حاضرٌ ينتظر العالم ظهوره؛ ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً. هذا وقد كانت هذه الملاحظة في غاية الأهمّيّة، فنالت إعجاب كبار الباحثين وعلماء الأديان والمذاهب وتقديرهم.

إمام العصر الإنسان الكامل وخليفة الله

حقيقة الخلافة الإلهيّة

وإذ كان الإنسان الكامل وليّ الله في الأرض وخليفته، اختصّ لقب خليفة الله به عجّل الله فرجه. والخليفة من مادّة خَلفٌ بمعنى: وراء وعقب.[1] وللخليفة زمان الغيبة مستخلف عنه ظاهر وحاضر؛ إذ إنّ من يأخذ مكانه وينوبه في القيام بمهامّه حال غيبته يسمّى خليفة الفرد الغائب. وأمّا من لم يكن غائباً وكان محيطاً بكلّ شيء وكان له حضور دائم في جميع الأحوال: فإمّا أن لا يكون له خليفة، وإمّا أن يكون لخليفته معنى آخر؛ باعتبار أنّ الخصائص المذكورة منتزعة من المصاديق، لا أنّها مأخوذة في مفهوم الخلافة ومعتبرة في حقيقتها.

لقد أفاد القرآن الكريم بأنّ الإنسان الكامل خليفة الأرض في أرضه، ويؤيّد ذلك المعنى شواهد عديدة وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَة﴾**[2]. أضف إلى ذلك أنّه ورد عنهم عليهم السلام بأنّ على الزائر أن يسلّم على الأئمّة عليهم السلام بعنوان كونهم خلفاء الله: «**السلام عليك يا خليفة الله**».[3] وعليه يكون لخلافة الحقّ تعالى معنى آخر. والسرّ فيه: أنّ للإنسان الكامل مقاماً شامخاً؛ لأنّه المظهر الأتمّ لأسماء الله الحسنى والمرآة الأبرز لكافّة مظاهر الذات الإلهيّة

---

١ . راجع: مفردات القرآن الكريم: ٢٩٤، والمصباح المنير: ١٧٨، مادّة (خلف).

٢ . سورة البقرة، الآية: ٣٠.

٣ . البلد الأمين: ٢٨٤، شهر شعبان، والكافي ٤: ٥٧٠، دعاء آخر عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام.



المقدّسة في سائر النشآت الوجوديّة: «**ما لله (عزّ وجلّ) آيةٌ هي أكبر منّي**».[١]

وهذه الخلافة بمعنىٰ: أنّ كلّ ما هو لله تعالىٰ بالأصالة وبالذات بشكل أزلي واستقلالي يكون للإنسان الكامل الذي هو كونٌ جامعٌ للحضرات الخمس بشكل تبعي وعَرَضِي. فهو إذنً مظهرٌ لقوله تعالىٰ: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالأَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ**﴾[٢] و ﴿**هُوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنتُم**﴾.[٣] وهو الذي قيل في شأنه: «**لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عبادك وخلقك... بدؤها منك، وعودها إليك**».[٤] وهو الذي له أهليّة خلافة الكامل بالذات والتامّ علىٰ الإطلاق والجميل المطلق. وهذا الإنسان الكامل يكون تارةً نبيّاً وأُخرىٰ إماماً وخليفةً للنبي.

ضرورة معرفة المستخلف عنه

لا شكّ في أنّ معرفة خليفة الله ـ أي: الإمام المعصوم ـ في كلّ عصر من أهمّ وآكد الواجبات التي ينبغي علىٰ كلّ من يبحث عن الحياة العقليّة أن يتوفّر عليها، إلاّ أنّ معرفة الإمام من دون معرفة النبي معرفة بتراء. و لـمّا كان الرسول خليفة الله، كانت معرفة الخليفة من دون معرفة المستخلف عنه غير ممكنة؛ لأنّ أساس الخلافة إنّما يضمنه علم وإرادة المستخلف عنه. وعليه فمن لا يعرف المستخلف عنه للرسول (أي: الذات الإلهيّة المقدّسة)، لن يعرف خليفته الذي هو الرسول، ومن لم يعرف الرسول، لن يصل إلىٰ معرفة خليفة الرسول، أي:

---

١ . الكافي ١: ٢٠٧، باب أنّ الآيات الّتي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه هم الأئمّة عليهم السلام.

٢ . سورة الحديد، الآية: ٣.

٣ . سورة الحديد، الآية: ٤.

٤ . مصباح المتهجّد ٧٤٠، أوّل يوم من رجب، وإقبال الأعمال: ١٤٥، فصل فيما نذكره من الدعوات في أوّل يوم من رجب... .

الإمام. ولا محذور معه حينئذٍ في القول بجواز اللجوء إلى السقيفة بدلاً من الغدير لغرض انتخاب شخصٍ آخر بدلاً من علي عليه السلام، فيُحرم معه من معرفة إمام زمانه، ممّا يمهّد إلى الحرمان من الحياة العقليّة. كما أنّ الحرمان من الحياة العقليّة يفضي إلى الابتلاء بالحياة الجاهليّة التي تتمركز حول الجهل العلمي والجهالة العمليّة.

ومنه انقدح سرّ ما أفاده الإمام الصّادق عليه السلام لزرارة من أنّ من أدرك عصر غيبة صاحب العصر عجّل الله فرجه كان عليه أن يدعو بهذا الدعاء: «**اللّهم عرّفني نفسك؛ فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك. اللّهمّ عرّفني رسولك؛ فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك. اللّهمّ عرّفني حجّتك؛ فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني**».[1]

وهذه المعرفة الملكوتيّة إنّما ترشح من العقيدة التوحيديّة التي تؤمن بأنّ القادة المعصومين خلفاء الله، لا أنّ أُولي الأمر نوّاب الشعب، فيصحّ انتخابهم من سائر البشر. إنّ أصحاب هذا الرأي التوحيدي يعتقدون بأنّ الولاية والخلافة والإمامة أمانة إلهيّة، كما يقولون بأنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام هم أنفسهم الأمانة الإلهيّة ويُعرّفونهم على أتمّ نحو من أنحاء المعرفة، كما يُعرفون بهم بأفضل ما يكون.

معرفة القرآن بالإنسان الكامل وبالعكس

لا شكّ أنّ أفضل معرّف للقرآن هو الإنسان الكامل، كما أنّ أرقى معرّف للإنسان الكامل هو القرآن الكريم. وعلى هذا الأساس فمن أراد أن يعرف

---

١ . الكافي ١: ٣٣٧، باب في الغيبة.

القرآن الكريم على أحسن وجه، لزم عليه أن يلجأ إلى الإنسان الكامل ليحصل من لدنه على حقيقة القرآن الكريم وصفاته العليا، كما ينبغي عليه أن يتعرّف على الإنسان الكامل بواسطة القرآن الكريم. ومنه يتّضح السرّ فيما أفاده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وما نُقل عن سيّد الشهداء عليه السلام يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك في مسجد الكوفة ضمن تبيينه لمكانة الثّقلين حيث قال: «**نحن أحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تعالى، فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**».[١]

فالعترة الطاهرة ـ الممثّلة بطائفة من الكمّل في كلّ عصر ـ والقرآن الكريم ـ الذي هو كتاب إلهي محكم ـ هما الثقلان اللذان أوصى بهما نبي الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله، وهما الحبل الإلهي المتين الذي يضمن التمسّك به عدم الوقوع في الضلال. أمّا القرآن الكريم فهو حبل الله الذي يكون أحد طرفيه بيد الناس، بتلاوته وتعلّم أحكامه وبالحكمة والتزكية والتفسير والتأويل، وطرفه الآخر بيد الذات الإلهيّة المقدّسة. وأمّا العترة الطاهرة فهي عدل القرآن. وإليه الإشارة فيما ورد في دعاء الندبة من أنّ الوجود المبارك لوليّ الله الأعظم إمام العصر عجّل الله فرجه سبب متّصل بين الأرض والسماء: «**أين السبب المتّصل بين أهل الأرض والسماء؟**».[٢] وحينما ننظر إلى هذه الذوات المقدّسة من منظار ملكوتي، نقف على أنّهم حبلٌ إلهي ممدودٌ بين الأرض والسماء؛ لأنّهم همزة الوصل بين الأرض والسماء، وهو ما يبرّر تسميتهم بالسبب المتّصل.

---

١ . مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٤ فصل في مكارم أخلاقه، وبحار الأنوار ٤٤: ٢٠٥، الباب ٢٧. كما نقل ذلك الشيخ المفيد والشيخ الطوسي رحمهما الله عن الإمام المجتبى عليه السلام مع اختلاف يسير، فراجع الأمالي (الشيخ المفيد): ٣٤٨، والأمالي (الشيخ الطوسي): ١٢١.

٢ . إقبال الأعمال: ٦٠٦، دعاء آخر بعد صلاة العيد... .

ومن بالجدير بالذكر: أنّ للقرآن الكريم مراتب متفاوتة، يعود قسم منها إلى عالم الألفاظ، وآخر إلى عالم المفاهيم والمعاني، وثالث إلى عالم التأويل والحقيقة، ورابع إلى مقام خزائن العلم الإلهي، فيرتبط صدره بالناطق عن هذا الكتاب الكريم والمتكلّم به، فيما يرتبط ذيله بالمخاطب به، ومنه يتّضح الوجه في كون هذا الحبل متّصلاً لا منفصلاً كقطرات المطر.

ويجري الكلام مثله في الإنسان الكامل فنقول: للإنسان الكامل وجود عنصري في عالم الطبيعة والمجتمع خادمٌ له، وله وجود مثالي به يكون الملكوتيّون في محضره ومشهده، وله وجود جبروتي به تكون العقول العالية بخدمته، وله وجود الخلافة المطلقة، فيكون في مشهد ومحضر المستخلف عنه مستوراً غائباً عن الجميع.

مقام الإنسان الكامل وخصائصه في كلّ زمان

لايمكن الإحاطة بمقام الإنسان الكامل السامي إلاّ بالتأمّل في حقيقة تعليم الأسماء: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسمَاءَ كُلَّهَا﴾.[1] الإنسان الكامل في النشأة الطبيعيّة معلّم المجتمعات البشريّة على أساس قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ﴾ كما لحضوره مسؤوليّة تجاه الملائكة أيضاً: ﴿يَـأَدَمُ أَنبِئهُم بِأَسمائِهِم﴾[2] فتأخذ الملائكة التي تدبّر الأُمور الأوامر والإشارات من الإنسان الكامل الولي الحاضر في كلّ زمان.

وهذا المقام الشامخ الذي يضطلع بتوجيه الأوامر للملائكة إلى جانب تعليم المجتمع هو مقام الإنسان الكامل ومنزلة الإمامة المعصومة. وهذا الموجود

---

١ . سورة البقرة، الآية: ٣١.

٢ . سورة البقرة، الآية: ٣٣.

العظيم الذي نال ذلك المقام الشامخ كما يُعقل أن يكون مستوراً، كـذلك يمكـن أن يكون مشهوداً ومشهوراً، وهو مجرىٰ الفيض، فينصرف همّه إلىٰ تزكيـة النـاس وتعليمهم، فيستفيدون من هدايته وتعاليمه الباطنيّة، كما يستفيضون مـن دعـاءه المستجاب.

ولهذا الموجود المبارك خصائص فريدة نذكر منها خصّيصتين محوريّتين أشـار إليهما أمير المؤمنين عليه‌السلام ضمن بيانه النوري في نهج البلاغة واصفاً أهـل البيـت وخاتم الأولياء عجل‌الله‌تعالى‌فرجه‌الشريف:

الأُولىٰ: الخصائص العلميّة: يُلاحظ أنّ سائر الناس وإن حاولوا أن يفرضـوا آراءهم وأفكارهم علىٰ القرآن الكريم، فيوجّهون آيات الـذكر الحكـيم الوجهـة التي تقتضيها ميولهم الشخصيّة، ويفسّرون الآيات القرآنيّة بما يتّفق مع أهوائهم، ويستنبطون منه ما تشاء رغباتهم ومقاصدهم، ويحكمـون بـالرأي، إلاّ أنّ المنزلـة العلمية لصاحب العصر عجل‌الله‌تعالى‌فرجه‌الشريف والإنسان الكامل تقتضي ـ مضافاً إلىٰ عـدم فـرض رأيه الخاصّ علىٰ القرآن ـ أن يعرض رأيه علىٰ القرآن، فيقبل منه ما يقبله القـرآن، ويردّ منه ما يردّه القـرآن: «**يعطـف الـرأي عـلى القـرآن إذا عطفـوا القـرآن عـلى الرأي**».[1]

الثانية: الخصائص العمليّة: وفي مجال العمل حين يحكّم سائر الناس أهوائهم النفسانيّة وتعلّقاتهم ورغباتهم وميولهم وغرائزهم عـلىٰ القـرآن الكـريم، فيـصير القرآن تابعاً لميولهم وأفعالهم، يظهر صاحب العـصر عجل‌الله‌تعالى‌فرجه‌الشريف، فيجعـل الهدايـة هـي التي تقود وتقهر الهوىٰ، فيصير الهوىٰ تابعاً للهداية: «**يعطف الهوى عـلى الهـدى إذا عطفوا الهدى على الهوى**».[2]

---

١ و٢ . نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨.



وحدة الإنسان الكامل من منظار القرآن

تحدّث القرآن الكريم عن الأنبياء عليهم السلام وصحفهم وكتبهم، وكأنّهم حقيقة نبي واحد عاش في جميع العصور وأدرك مراحل متعدّدة، وكأنّ له كتاباً واحداً تمّ تدوينه بمظاهر مختلفةٍ. وفي السياق نفسه يلحظ الكتاب العزيز الأوصياء والأنبياء والأئمّة عليهم السلام من آدم إلى إمام العصر عجل الله فرجه وكأنّهم إنسان كامل تكفّل بهداية البشر في مختلف المراحل التي مرّت بها الإنسانيّة وفق برنامج خاصّ بكلّ مرحلة من تلك المراحل المتعدّدة. وعلى هذا الأساس يصدّق كلّ نبي من سبقه من الأنبياء.

ولذا فمن كذّب نبيّاً من الأنبياء كان عند الله كمن كذّب الأنبياء جميعاً، ما يدلّ على وحدة الإنسان الكامل من منظار القرآن الكريم. وحين كذّب أصحاب الحِجر نبيّاً واحداً عبّر عنهم القرآن الكريم بأنّهم كذّبوا الرسل: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ الْحِجرِ الْمُرسَلِينَ﴾.[1] ويجري الكلام نفسه في أصحاب الأيكة الذين كذّبوا شعيباً عليه السلام؛ حيث قال تعالى فيهم: ﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لأَيْكَةِ الْمُرسَلِينَ﴾.[2] كما قال تعالى حول قوم نوح عليه السلام: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾.[3] كما ورد أيضاً الإشارة إلى قوم طغاة من بين طواغيت التاريخ كذّبوا نبيّهم، إلاّ أنّ القرآن الكريم أفاد بأنّهم كذّبوا جميع الرسل الإلهيّين قائلاً: ﴿كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرعَونُ ذُو الأَوتَادِ * وَثَمُودُ وَقَومُ لُوطٍ وَأَصحَـٰبُ لأَيكَةِ أُولَئِكَ الأَحزَابِ

---

١ . سورة الحجر، الآية: ٨٠.

٢ . سورة الشعراء، الآية: ١٧٦.

٣ . سورة الفرقان، الآية ٣٧. ونحوه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَت قَومُ نُوحٍ الْمُرسَلِينَ﴾ (سورة الشعراء، الآية: ١٠٥).



﴿إن كُلٌّ إلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَاب﴾[١]، **﴿كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ وَأَصحَـبُ الرَّسِّ وثَمُود * وَعَادٌ وَفِرعَونُ وَإِخونُ لوط * وَأَصحـبُ الأَيكَةِ وَقَومُ تُبّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيد﴾**[٢].

وإذ تقرّر أنّ تكذيب رسولٍ واحدٍ يساوق تكذيب الرسل جميعاً، كان للأنبياء كلّهم حكم الواسطة السماويّة والنبي الواحد ذي المظاهر المختلفة والشرائع المتفاوتة، وإن اتّحدت في الخطوط الأساسيّة للهداية.

تنبيه

ولعلّ إسناد تكذيب الأنبياء جميعاً إلى خصوص قومٍ كذّبوا نبيّهم يعود إلى اندراج هذا النبي في ضمن سلسلةٍ من الأنبياء ممّن كان يتحدّث عن الأنبياء السالفين، فكذّبوا بهم أيضاً.

خضوع الإنسان الكامل قبال الإرادة الإلهيّة

لاشكّ في نزول القرآن الكريم من منبع العلم والحكمة، كما لا كلام في أنّه كتاب عزيز لا يمكن للجبال أن تتحمّل عظمته: **﴿لَو أَنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيتَه خَـشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشيَةِ الله﴾**.[٣] إلاّ أنّ الإنسان الكامل يتحمّل هذه العظمة؛ لأنّ طاقته وقدرته أقوى من السماوات والأرض والجبال، وهو أقدر المخلوقات على الخضوع أمام هذه العظمة، ما يساعده على أن تتجلّى فيه صفات الحقّ تعالى. ويمكن الإشارة إلى مثالٍ منه فيما وقع لإبراهيم عليه السلام حينما هدّدوه: **﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُم﴾**[٤] إلاّ أنّه بقي ثابت الجأش أمام الكفر؛ لمكان

---

١ . سورة ص، الآيات: ١٢ ـ ١٤.

٢ . سورة ق، الآيات: ١٢ ـ ١٤.

٣ . سورة الحشر، الآية: ٢١.

٤ . سورة الأنبياء، الآية: ٦٨.

خضوعه قبال إرادة الحقّ، فسلّم نفسه طائعاً للنار المشتعلة.

ولا يوجد في عصرنا الحاضر إنسانٌ كاملٌ معصومٌ يكون مظهراً لإسم الله الأعظم سوىٰ إمام العصر الحجّة بن الحسن ﷺ. وهذا الإمام لا يضرّ في طول عمره ولا غيبة ذاته المقدّسة عن أنظار الناس معرفة المجتمع البشري به؛ لأنّ الإمام المعصوم والإنسان الكامل ـ مضافاً إلىٰ قيامه برفع النقص العلمي والعملي للأُمّة ـ خليفة الله المطلق، فهو نظير آدم عليه السلام وسائر الخلفاء الإلهيّين في تعليم الملائكة حقائق الموجودات.

ثمّ إنّ هذا الإنسان الكامل ـ الذي يقف خاشعاً بكلّ تواضع أمام إرادة الله ـ يشتمل فكره علىٰ القرآن التدويني إلىٰ جانب القرآن التكويني، يعني: كما أنّ جميع الأشياء في النظام التكويني تابعة لمشيئة الله تعالىٰ وإرادته، فإنّ تمام العلوم والمفاهيم والمعارف في النظام التدويني تابعة لعلم الله تعالىٰ المتجلّي في صورة القرآن الحكيم. وعلىٰ هذا الأساس يكون الإنسان الكامل خاضعاً تماماً لإرادة الحقّ التشريعيّة والتكوينيّة، وكلّ إرادة صادرة منه خاضعة لإرادة الله تعالىٰ. وإليه الإشارة بقول الإمام علي عليه السلام ـ كما مرّ سابقاً ـ حين قال حول الإنسان الكامل: «**يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي**».[1]

ارتباط معرفة إمام العصر بمعرفة الخلافة الإلهيّة

إنّما تتيسّر معرفة إمام العصر ﷺ فيما لو تحقّقت الإحاطة التامّة بمعنىٰ الخلافة الإلهيّة؛ إذ إنّ خليفة الله أفضل وصف للإنسان الكامل. وقد تقدّم أنّ من غاب وترك مكانه خالياً، فأتىٰ آخر وجلس في ذلك المكان وقام بما كان يقوم به

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨.

الأوّل سُمّي خليفةً له. أمّا الموجود الذي لا يمكن أن يغيب عن مكانٍ بل كان حاضراً في كلّ مكان، فإنّه إمّا أن لا يكون له خليفة، وإمّا أن يكون خليفته مظهراً تامّاً له، فيكون حضوره وظهوره بإذنه تعالىٰ في كلّ مكانٍ. إنّ إطلاق الذات الإلهيّة المقدّسة لفظ الخليفة علىٰ الإنسان الكامل يوضّح ويبرز أنّ للإنسان الكامل مكانة سامية تتيح له أن يكون مظهراً لجميع الأسماء الإلهيّة الحسنىٰ، كما أنّ ما ثبت لذاته المقدّسة بشكل أزلي بنحو من الأنحاء يثبت لخليفته بعنوان الظهور والمرآتيّة.

ولـمّا كان الإنسان الكامل كوناً جامعاً للحضرات الخمس ومظهراً لقوله تعالىٰ: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّـهِرُ وَالبَاطِنُ**﴾[١] و ﴿**وَهُوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنتُم**﴾[٢] كان خليقاً أن يكون خليفة لله، فلا يعرف حقيقته إلاّ الله أو الكمّل من البشر. والإنسان الكامل تجلّ لهذه الخلافة الإلهيّة، فله أن يظهر ويحضر في كلّ مكان بعنوان الآية الإلهيّة الكبرىٰ، كما له أن يستفيد من اللطف والفيض الإلهيّين في جميع المراتب. وهذا الموجود: تارةً يكون رسولاً وأُخرىٰ يكون إماماً.

ثمّ إنّ الخلافة الإلهية لباسٌ فاخرٌ لا تليق إلاّ بمن له صورة ملكوتيّة للإنسان الكامل، والملائكة المقرّبون لا سعة لديهم لنيل هذا المقام الشامخ؛ إذ ﴿**وَمَا مِنَّا إلاَّ مَقَامٌ مَعلُوم**﴾[٣] فلا تكون لهم الخلافة الإلهيّة:

﴿**بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطا**﴾[٤] و ﴿**عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدا**﴾[٥]. ومعه فلا يمكن أن يكون مظهراً لله في كلّ مكان إلاّ الإنسان الكامل.

---

١ . سورة الحديد، الآية: ٣.

٢ . سورة الحديد، الآية: ٤.

٣ . سورة الصافّات، الآية: ١٦٤.

٤ . سورة النساء، الآية: ١٢٦.

٥ . سورة النساء، الآية: ٣٣.



ولكي تظهر الذات الإلهيّة المقدّسة هذا المقام السامي للآخرين أشارت إليهم بإرسال سلامها إليه عبر عبارات شتّى متناولة تمام شؤون الإنسان الكامل: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَـٰلَمِينَ﴾.[1] وقد يقع هذا السلام بنحو تفصيلي يمتدّ على طول الحياة من قبيل ما ورد في يحيى وعيسى عليهما السلام ـ مع اختلاف يسير ـ في قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.[2]

كما ينال مثل هذا الموجود في عوالم الطبيعة والمثال والعقل ـ أي: في الدنيا وفي البرزخ وفي القيامة وفي الماضي والحاضر والمستقبل ـ سلاماً من الحقّ تعالى. وورد أيضاً هذا النحو من التسليم والتحيّة من قبل الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام في ضمن الأدعية والزيارات الواردة عن الذوات المباركة للمعصومين عليهم السلام. فمن ذلك ما ورد في زيارة آل ياسين عليه السلام ـ وهي إحدى أسمى زيارات الوجود المبارك لصاحب العصر عجّل الله فرجه ـ حيث نتوجّه بالكلام إلى إمام زماننا بالقول: «**السلام عليك حين تقعد. السلام عليك حين تقوم. السلام عليك حين تقرأ وتبيّن. السلام عليك حين حين تصلّي وتقنت... السلام عليك حين تمسي وتصبح. السلام عليك في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى**».[3] وعليه فمن سلّم الله عليه في تمام شؤونه من تعليمٍ وتزكيةٍ وقيامٍ وقعودٍ وفي الليل والنهار، كان خليقاً بخلافة الله، ولذا يليق السلام على صاحب العصر في العالمين، كما يليق السلام الوجودي على يحيى وعيسى عليهما السلام.

---

١ . سورة الصافّات، الآية: ٧٩.

٢ . سورة مريم، الآية: ٣٣.

٣ . الاحتجاج ٢: ٤٩٢ ـ ٤٩٣، ذكر طرف ممّا خرج أيضاً عن صاحب الزمان عجّل الله فرجه... .

المهدي ﷺ المصداق الحقيقي للإنسان الكامل في عصرنا الحاضر

تستند النبوّة والإمامة إلى مقام الخلافة الإلهيّة، ومعه فلابدّ من ظهور أوصاف الحقّ تعالى في الإنسان الكامل بعنوان المظهريّة التامّة له. إنّ خليفة الله هو الإنسان الوحيد الذي يمكن أن تتجلّى فيه العصمة المطلقة. إنّه ذلك الإنسان الكامل الذي يمثّل المظهر الأتمّ الجامع لجميع الأسماء الإلهيّة الحسنى وصفات الله العليا.

الإنسان الكامل مظهر الفيض الإلهي التامّ، كما أنّ سائر الموجودات الأُخرى من الملائكة والجنّ والإنس وغيرها تنال من الأنوار الإلهيّة بواسطة وجود هذا الإنسان الكامل: «**ببقائه بقيت الدنيا، وبيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء**».[١]

ولا يوجد في عصرنا الحاضر في هذا العالم إنسان كامل سوى هذا الوجود المبارك لبقيّة الله الأعظم المهدي الموجود المنتظر ﷺ. إنّه معلّم الملائكة والجنّ والإنس، كما أنّ له مقام العصمة المطلقة ومنزلة خليفة الله الأعظم.

وجدير ذكره: أنّه وإن ورد في وصف الإنسان الكامل ـ لاسيّما أئمّة الهداية عليهم السلام ـ بأنّه «**خليفته في أرضه**»[٢]، إلاّ أنّ ذلك لايعني بالضرورة انحصار خلافته في الأرض، بل مفاد ذلك أنّ وجوده العنصري والمُلكي يظهر ويبرز على الأرض، وإن كانت منطقة خلافته من قبل الله تعالى أوسع من ذلك لتشمل ما يقع بين العرش وبين أديم الأرض.

---

١ . مفاتيح الجنان، دعاء العديلة.

٢ . تفسير العيّاشي ١ : ٣٠٨، سورة المائدة.

إمام العصر ﷺ حقيقة ماء الحياة

و لـمّـا كان إمام العصر والزمان ﷺ ـ أي: الإنسان الكامل في هذا العصر ـ مظهراً لاسم الله الأعظم، كان واجداً لجميع الكمالات والـصفات العليـا. ولـذا يكون الإمام المعصوم أساساً لضمان الحياة المعنويّة وعين ماء الحيـاة: **﴿وَاعلَمُـوا أَنَّ اللهَ يُحيِي الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا﴾**.[1] فالله تعالىٰ يحيي الأرض بعد موتهـا، ولابـدّ في الإحياء من توفّر الماء؛ لتوقّفه علىٰ وجوده: **﴿وَجَعَلنَا مَنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَـيّ﴾**.[2] والإمام المعصوم ﷷ هو تلك العين التي يرشح منها مـاءٌ زلالٌ يحيـي الأرض بعد موتها.

ثمّ إنّ ماء الحياة ليس مطراً ينزل من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل، كما أنّه ليس ماءً نابعاً من عين أو بئر يخرج من بطن الأرض، بل هو حقيقةٌ تظهر في قانون إلهي في عـالم التشريع وفي قالب إنسان كامل معصوم في عالم التكوين. و ممّا لا ينبغي الـذهول عنه: أنّ كتاب الله العزيز وصف الدين الإلهي بأنّه عين الحيـاة في عـالم التـشريع، وقال في بيان إحيائها: **﴿يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا استَجِيبُوا للهِ وَللرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَـا يُحيِيكُم﴾**.[3] وعليه فليس الدين أفيوناً للشعوب، بـل هـو طاقـة حيويّـة وعامـل مؤثّر من عوامل الإحياء.

وقد أفاد رسول الله ﷺ في ضمن بيانه الشريف الساحر ـ علىٰ مـا تقـدّم ـ : أنّ معرفة الإنسان الكامل الإمام المعصوم في كلّ عـصر مـن العوامـل المـؤثّرة في إيجاد الحياة العقليّة للفرد وللمجتمع: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مـات ميتـةً**

---

١ . سورة الحديد، الآية: ١٧.

٢ . سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

٣ . سورة الأنفال، الآية: ٢٤.



جاهليّةً».[١] والوجه فيه: أنّ الميتة الجاهليّة نهاية الحياة الجاهليّـة؛ لوضـوح أنّ مـن مات ميتةً جاهليّةً فقد عاش حياة جاهليّة، فيكون فاقداً للحياة الإنسانيّة العقليّـة والمكانة المعنويّة السامية.

كما أكّدت الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام علىٰ قـضيّة إحيـاء الأرض بماء الحياة بعد موتها، كـما أشـارت في غـير موضـع إلىٰ إحيـاء الله تعـالىٰ الأرض الميتة بالإنسان الكامل، كـما يحيـي الأرض الميتـة بالمـاء. عـن مولانـا أبي جعفر عليه السلام... قال: «**يحييها الله (عزّ وجلّ) بالقائم عجّل الله فرجه بعد موتها، يعني بموتها: كفر أهلها، والكافر ميّت**».[٢]

فحينما ينتشر الجهل والجهالة، تصاب القلوب والقاعـدة الفكريّـة والثقافيّـة للأُمّة بالخمود والجمود ويسود فضاء السبات والظلام الذي يقطع الطريق أمـام تأثير الأقلام والأقوال في الهداية ولو ظاهراً. وأمّا في صورة رسـوخ هـذا الفـراغ العلمي والخلأ الفكري وسيادته المعمورة فتحتـاج الأرض إلىٰ الـنفس القـدسي لمسيح هذا العصر لغرض إحياء الأُمّة ونهضتها. ومن الواضح أنّه لا أحد يـؤدّي دور أثر روح القدس ويكون وجوده عين ماء الحياة سوىٰ وليّ الله الأعظم الحجّة بن الحسن المهدي عجّل الله فرجه.

إنّ معرفة إمام العصر عجّل الله فرجه هي أساس حياة قلوب المؤمنين والوسيلة إلىٰ نيـل الحياة الإنسانية العقليّة التي لاتثمر إلاّ حيـاةً معنويّـة إنـسانيّة تخرج العبـاد مـن حجاب الطبيعة إلىٰ عالم ما فوق الطبيعة، وتنقلهم من سجن الدنيا إلىٰ جنّة الخلد في الآخرة.

---

١ . كمال الدين ٣: ٨١، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٥٠ ـ ٢٥١، وبحار الأنوار ٣٢: ٣٣١.

٢ . كمال الدين ٢: ٣٨٥، باب في نوادر الكتاب.

ولايخفىٰ: أنّ هذا الإحياء التامّ للمجتمع لايكون إلاّ علىٰ يد الإنسان الكامل الذي هو سرّ الإحياء، وهو الإمام المعصوم لكلّ زمان، نظراً إلىٰ أنّ غيره تارةً يكتسب العلم إلاّ أنّه يفتقر إلىٰ فضائل العدل، وأُخرىٰ بالعكس، وثالثةً يكون في الجملة من أهل العلم والعدل، دون أن يصل علمه وعدله إلىٰ درجة الكمال، فهو من زمرة العباد اللائقين والأحرار القادرين علىٰ إنقاذ أنفسهم وعلىٰ إنقاذ بعض البشر في الجملة، بخلاف الإنسان الكامل؛ فإنّه لمكان كمال علمه وعدله ولمظهريّته لاسم الله الأعظم حائزٌ علىٰ كافّة البركات، فينفرد بكونه ماءً للحياة.

إنّ نشوء ونموّ بذرة مّا يتطلّب تفاعل مجموعة من العناصر: كالماء والضوء والأملاح المعدنيّة حتّىٰ تبزغ البذرة من تحت التراب، وإلاّ فمهما كان الماء مليئاً بالأملاح المعدنيّة لم يمكن للتربة أن تستعيض عن الضوء، وكذا الحال في سائر العناصر؛ إذ لا يمكنها أن تؤدّي دور العناصر الأُخرىٰ. إلاّ أنّه يمكن لماء الحياة أن يؤدّي دور سائر عوامل الإحياء والنموّ، فيضفي لوحده الحياة، ويحيي كلّ من يتناول منه.

إنّ الولاية والإمامة حقيقة ماء الحياة، كما أنّ جميع الشؤون العلميّة والعمليّة للوجود المبارك لوليّ الله الأعظم إمام العصر والزمان ﷺ تمثّل ماء الحياة. ومن هنا يمكن القول بأنّ ظهوره يفضي إلىٰ إحياء القلوب والأراضي الموات.

ولـمّا كان إمام العصر ﷺ خليفة الله ومظهر الحقّ تعالىٰ، كان سبباً تامّاً لإحياء القلوب والأراضي الموات، كما أنّ علىٰ البشر أن يعرضوا أرض قلوبهم علىٰ وجوده المبارك حتّىٰ يستفيضوا من فيض معرفته وهدايته من معينٍ زلالٍ يرشح من عين الحياة، فيتحقّق لهم الإحياء بعناياته وكرامته.

الحياة المطمئنّة ثمرة إطاعة الإنسان الكامل

إنّ العيش في راحة كان وما زال أمل جميع البشر، إلاّ أنّه أنّى للإنسان أن يتيقّن بما يوجب له راحة حقيقيّة في حياته؟! وأمّا الإنسان الكامل فيعلم صقع الظاهر وأسرار باطن العالم، فيكون أفضل دليل وأنفع مرشد للمجتمع لإيصاله إلى كمال السعادة إن التزم بإطاعته له. إنّه يعلّمنا لكي نعيش في راحة علينا أوّلاً أن نعيش حياةً بسيطةً بعيداً عن السعي وراء وسائل العيش المترفة، ثمّ ينبغي علينا التفكير في رفع أُفق الفكر، وصولاً إلى إدراك عدم وجود جمال خارج دائرة روح الإنسان.

لقد قال الله تعالى للمؤمنين المستضعفين في صدر الإسلام بأنّه سيمنّ عليهم بحياةٍ طيّبةٍ لمكان إيمانهم وعملهم الصالح. ومن مصاديق الحياة الطيّبة نعمة الحرّيّة والنصر المؤزّر والإدراك الكامل للحياة الطيّبة المشفوعة بالقناعة. وإليه الإشارة في جملة من روايات أهل البيت عليهم السلام الّتي فسّرت الحياة الطيّبة بالقناعة. قال علي عليه السلام: «**كفى بالقناعة مُلكاً، وبحُسن الخُلق نعيماً**». وسُئل عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**فَلَنُحيِينَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً**﴾[1] فقال: «**القناعة**».[2]

والحاصل: أنّ المجتمع الّذي يجهل إمام زمانه ضيّع ما هو الأساس في نيل طمأنينته، فتمسّك بغيره ووثق به، مع أنّه في الواقع سببٌ لاضطرابه. إنّ ترك ما ينبغي التمسّك به والتمسّك بما ينبغي الإعراض عنه يفضي إلى الاضطراب ولا يخلّف إلاّ مجتمعاً جاهلاً بسبب ضغط هذين العنصرين ووقوعه في أسر هذين المانعين. إنّ الإنسان الكامل الذي يبيّن هذه الحدود هو الذي يحول دون اتّباع

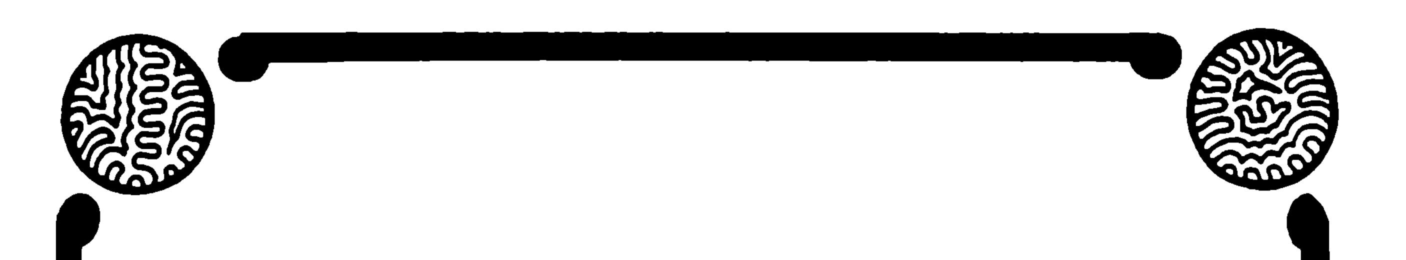
١ . سورة النحل، الآية: ٩٧.
٢ . نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩.

هذه السبل الملتوية، وهو الذي يرشد إلى الحلول العمليّة لها: ﴿وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَالأَغلَلَ الَّتِي كَانَت عَلَيهِم﴾.[1] ولخاتم الأئمّة عليه السلام نظير خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله هذا النحو من الهداية.

* * *

---

١ . سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.



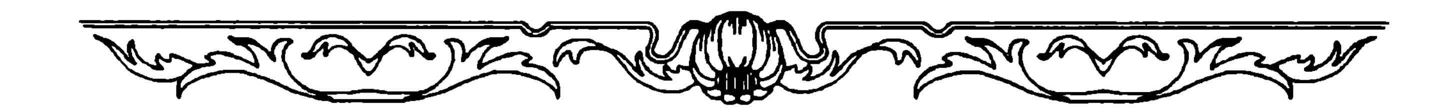
الباب الثانى:

الانتظار



الفصل الأوّل:

شروق شعاع الشمس



هل الغَيبة مطلقة أم نسبيّة؟

هناك تلازم بين وجود صاحب العصر ﷺ وبين جملة من المفـاهيم: كالغيبـة والانتظار. وكلّما استخلصنا نقاطاً ونتائج صحيحة من هذه المفاهيم، كلّـما كـان ذلك عاملاً مؤثّراً في حيويّة وحركيّـة المجتمـع الإسـلامي. وإلاّ فلـن يـسود إلاّ الجمود (بما في ذلـك الجمـود الفكـري) والتوقّـف والتعطيـل في إطـار التعـاليم القرآنيّة والأوامر الصادرة عن العترة. وهذا الأمر يدفع من له عزم راسخ وهمّـة عالية إلى السعي وراء معرفة إمام العصر ﷺ المعرفة المنتجة الواهبة للحيـاة، مـا يساهم في اتّساع آفاقه الفكريّة ووصوله إلى فهم أدقّ لهذه المفاهيم القيّمة، أعني: الانتظار. ومعه لن يتحقّق سلوك الفرد لجادّة الصواب والصلاح والفلاح خلف إمام الهداية ﷺ فحسب، بل يكون المجتمع كادحاً سالكاً لهذا الطريق أيضاً.



ثمّ إنّ مفهوم الغيبة أيضاً من المفاهيم التي يساعد فهمها الصحيح على ترسيخ عقيدة الانتظار وصولاً إلى التنعّم بفيء هذه العقيدة وظلّها المثمر لحياة طيّبة عقليّة.

والغيبة على قسمين: مطلقة ونسبيّة. أمّا الغيبة المطلقة فهي حصول الخفاء ضمن جميع مراتب الوجود ولدى جميع الأفراد، نظير خفاء الذات الإلهيّة المقدّسة التي لا يمكن لأيّ فرد أن ينال كنهها بأيّ وجه من الوجوه، وإن كانت مشهودة له تعالى. ومن هذه الجهة يكون من الممتنع وجود الغيب المطلق، بمعنى: غيبته حتّى عن وجوده نفسه؛ إذ ليس ذلك سوى العدم المحض، وليس المعدوم المحض شيئاً ليعلم لنفسه أو لغيره.

أمّا الغيب النسبي أو المضاف فهو الغيب في بعض مراتب الوجود أو غيبه عن البعض دون البعض الآخر من قبيل: يوم القيامة والملائكة ونحوهما ممّا يعدّ غيباً لغير واحدٍ من الأفراد. وأمّا عباد الله الصالحون الطاهرون فيتمكّنون في الدنيا من شهود القيامة، كما يمكن لبعض أولياء الله أن يشهد تمثّل الملائكة أمامه: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّا﴾[1]. كما أنّ أخبار السابقين تمثّل أمراً غيبيّاً يعيش في زماننا الحاضر: ﴿ذَلِكَ مِن أَنبَاءِ الغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ﴾[2].

وفي قبال الغيب المطلق والنسبي الشهادة المطلقة والنسبية: أمّا الشهادة المطلقة فهي من قبيل الواقع الذي لا يخفى على أحدٍ. إلاّ أنّ الموجودات المحسوسة المادّيّة وإن كانت حاضرة في نشأة الشهادة، إلاّ أنّ بعض هذه موجودات غائبة عن البعض الآخر في هذه النشأة؛ لأنّ شهادة جميع الموجودات المحسوسة لها غيب نسبي.

---

١ . سورة مريم، الآية: ١٧.

٢ . سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

وليُعلم: أنّ تقسيم الموجود إلى غيبٍ وشهادةٍ ليس بلحاظ أصل ذات الشيء، بل بلحاظ معرفته. وبعبارة أُخرى: ليس هذا التقسيم نظير تقسيم الموجود إلى واجبٍ وممكنٍ ليكون تقسيماً لأمرٍ عيني، بل هو تقسيم معرفي.

وعلى هذا الأساس يكون وصف الشيء بالغائب وصفاً بحالٍ متعلّقٍ بالموصوف، أي: أنّه باعتبار نسبة ذلك الشيء إلى غيره يكون متّصفاً بالغيب، وإلاّ فكلّ شيء حاضر ومشهود لنفسه، ولا يمكن لأيّ شيء على امتداد الوجود أن يكون غائباً عن نفسه. وقد أشارت الآيات القرآنيّة إلى حقيقة هذا المشهود العامّ، فأفادت أنّ كلّ موجودٍ يسبّح الله ويحمده ويخضع له وينقاد إليه ويسجد له، مع أنّ هذه الأوصاف إنّما تتحقّق في ظلّ المعرفة، ولا مجال لحمل هذه الآيات المذكورة على المجاز. ومع الغضّ عن أنّ الرأي المختار في الحكمة المتعالية هو القول بالمساوقة بين العلم والوجود، فإنّ المباحث المرتبطة بذلك العلم من مختصّات الموجود المجرّد.

ومنه يتّضح أنّ اتّصاف الوجود المبارك لإمام العصر ﷺ بوصف الغائب إنّما هو بلحاظ حرمان المجتمع من إدراك وجوده المبارك، وعليه يلزم القول بأنّ الناس هم الغائبون عن محضره؛ لأنّه وليّ الحقّ الشاهد على الخلق، فلا يمكن أن يكون شيءٌ غائباً عنه: لا نفسه ولا غيره.

حول علّة الغيبة

ثمّ إنّ حكومة عباد الله الصالحين في الأرض وعد إلهي لن يتخلّف عن التحقّق: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ﴾.[1] وقد أكّد الوجود المبارك لصاحب العصر ﷺ على تحقّق هذا الوعد

---

١ . سورة النّور، الآية: ٥٥.



الإلهي حال ولادته بتلاوته لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَةً وَنَجعَلَهُم الوَارِثِين﴾.[١] إلا أنّ لتحقّق هذا الوعد الإلهي شروطاً تجعل من الصعب جدّاً بل من المتعذّر تحقّقه بدونها.

نعم، لله تعالى القدرة التكوينيّة على إنجاز ما يشاء وفق الأمر التكويني (كن): ﴿إِنَّمَا أَمرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾.[٢] كما أنّ فيضه لا يخضع لقيدٍ أو شرطٍ، فيمكن أن ينجز فيضه في آنٍ واحدٍ، فيوجد حكومة الصّالحين في كلّ زمان. إلاّ أنّ النقص الوجودي للموجودات المستفيضة كان سبباً في عجزهم عن تلقّي فيض الحقّ سبحانه بصورة دفعيّة، ومعه فالقصور من جهة القابل لا من جهة الفاعل.

وتحقّق هذا الوعد الإلهي في العقيدة الإماميّة الحقة ممّا لا يعتريه الشك؛ إذ سيُنجز على يد آخر ذخيرة إلهيّة بعد غيبته الطويلة، كما أنّ الغيبة نفسها من شروط تحقّق هذا الوعد الذي لا يتخلّف. فقد ظهر في ضوء هذا البيان الجامع: أنّ هناك حكمةً بالغةً وتدبيراً حكيماً في قضيّة الغيبة؛ لتكون هي بنفسها الأرضيّة الممهّدة لظهور حكومة الصالحين في الأرض.

وليُتفطّن: أنّ البحث حول الحكم الكامنة في الغيبة من البحوث العلميّة القيّمة، إلاّ أنّه ينبغي أن لا نخرج عن غرضنا الأصلي؛ إذ لا يذهب عليك أنّ الغرض من الحديث حول غيبة إمام العصر عجل الله فرجه لا يهدف بالذات إلى بيان سبب غيبة الوجود المبارك له، بل يهدف إلى تبيين وظيفة المؤمن المنتظر في زمن الغيبة؛ ليدرك ما إذا كان قد عمل وفق ما يؤدّي حقّ هذه الوظيفة أم لا.

---

١ . سورة القصص، الآية: ٥.

٢ . سورة يس، الآية: ٨٢.

أسرار الغيبة

١ ـ الخوف من القتل

ورد في بعض الأخبار أنّ الخوف من القتل من أسباب غيبة صاحب العصر ﷺ، كما أشار إليه مولانا الإمام الصادق عليه السلام حين قال: «**قال رسول الله ﷺ: لا بدّ للغلام من غيبةٍ. فقيل له: ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل**».[1]

وليس المراد من الخوف المشار إليه الخوف المذموم الناشئ من ضعف النفس، بل المراد به الخشية المحمودة عند العقلاء، فهو أمر حسن جدّاً، بل هو ضروري في غير واحد من الموارد.

إنّ الخوف الناشئ من حبّ الأنا الباعث على الفرار من الخطر على حفظ الدين والمذهب ضعف نفساني وصفة مذمومة في قبال الشجاعة المحمودة. أمّا الخوف الباعث على حفظ روح الإنسان وعدم هدرها من دون طائل فهو أمرٌ محمودٌ عقلاً، بل واجبٌ كذلك؛ إذ المهمّ هو إراقة الشهيد دمه في موضع ذي ثمرٍ وذي أثر.

وأمّا من أراق دمه من دون أن يترتّب على دمه غايةٌ منشودةٌ فهو متهوّرٌ لا شجاعٌ؛ وذلك أنّ الشجاعة تقتضي أن يكون العمل متّزناً، فلا يقدم على القتال إلاّ عند اقتضاء الأمر. ويشهد له ما صنعه أمير المؤمنين علي عليه السلام حين اتّقى الأخطار ضمن أحداث وأوضاع خاصّة ونجى بنفسه وبأهله وأصحابه: «**فنظرتُ فإذا ليس لي رافدٌ ولا ذابٌّ ولا مساعدٌ إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن المنيّة. فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم وآلم للقلب من وخز الشفار**».[2]

---

١ . علل الشرائع ١: ٢٨٥، باب علّة الغيبة.

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ٢١٧.

وحين ينسلّ أميرالمؤمنين علي عليه السلام بعيداً عن القتل يخاف الخوف من شجاعته؛ لأنّ هذه الرذيلة كسائر الرذائل لا موقع لها أن تسجّل حضوراً في ساحته المقدّسة! كيف وهو الذي نام في ليلة المبيت في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وحيداً من دون سلاح أو وسيلة للدفاع عن النفس؟ مع علمه بأنّ أربعين رجلاً مسلّحاً كان على استعداد للهجوم على من ينام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، مع أنّ غرضهم الاجهاز على كلّ من يجدونه في الفراش بتصوّر أنّه النبي! فكيف لمن يُقدم على هذا الأمر أن يهاب الموت، وهو الذي قال لعثمان بن حنيف: «**لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها**».[1]

كان عليّ عليه السلام إذا هجم على الأعداء، دبّ الذعر والهلع فيهم، فيتواروا عن الأنظار خلف الجبال، كما كانوا يتواصون باتّقاء شرّ سيفه، بل كان ذلك يدفعهم إلى القول بأنّ ملك الموت حاضر في كلّ مكان يتواجد فيه علي. لقد كانت شجاعته مثلاً مأثوراً حتّى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة خيبر: «**إنّه كرّار غير فرّار**»، كما هدّد الكفّار بإرسال سيف علي عليهم. وكانت قريش إذا رأوه في الحرب تواصت خوفاً منه، وقد نظر إليه رجلٌ وقد شقّ العسكر، فقال: علمت بأنّ ملك الموت في الجانب الذي فيه علي. وقد سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله كرّاراً غير فرّار في حديث خيبر، وكان النبي صلى الله عليه وآله يهدّد الكفّار به عليه السلام.[2]

وعلى هذا الضوء فالمراد من الخوف في هذه الروايات الخوف المحمود عقلاً، الذي هو عين الشجاعة، لا الشجاعة الناشئة من ضعف النّفس. ومعه ينبغي القول بأنّ خوف صاحب العصر عجل الله فرجه من الظهور أمام الناس قبل تحقّق الوعد

---

١. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٢. راجع مناقب آل أبي طالب ٢: ٩٨ ـ ٩٩ فصل في المسابقة بالشجاعة، وبحار الأنوار ٤١: ٦٨، الباب ١٠٦.



الإلهي يعود إلى الخوف من القتل، ما يعني: استشهاد آخر ذخيرة إلهيّة، وطمس دين الله الحقيقي، و انقطاع واسطة الفيض بين الخالق والمخلوق، فلن يصل المدد الإلهي المطلوب إلى الأفراد اللائقين، ولن يرَ النور الوعد الإلهي بحكومة الصالحين في الأرض و.... .

وهذا الخوف لا ينشأ من ضعف النفس، بل مردّه إلى حسن التدبير وتقدير الشجاعة التي يجب العمل بمقتضاها، لاسيّما إذا أخذنا بعين الاعتبار كون ذلك الوجود المبارك آخر ذخيرة إلهيّة، ما يجعله متميّزاً عن سائر المعصومين عليهم السلام. والسرّ فيه: أنّه بلحاظ سائر الأئمّة عليهم السلام كان يقوم معصوم آخر على إثر استشهاد الإمام السابق عليه، فتُقام حجّة أُخرى في الأرض، وأمّا الوجود المقدّس لإمام العصر عجّل الله فرجه فهو آخر حجّةٍ لله في الأرض وخاتم الأئمّة الكرام عليهم السلام.

٢ ـ الامتناع عن بيعة الطواغيت

لقد ضمّن إسحاق بن يعقوب رسالته التي بعثها بيد النائب الخاصّ لصاحب العصر عجّل الله فرجه محمّد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) إلى إمام الزمان عجّل الله فرجه أسئلة حول الحكمة من الغيبة، فأجاب عنها كما يلي: **«وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله (عزّ وجلّ) يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.[1] إنّه لم يكن أحد من آبائي عليهم السلام إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي».**[2]

---

١ . سورة المائدة، الآية: ١٠١.

٢ . كمال الدين ٢: ١٦١ ـ ١٦٢، باب ذكر التوقيعات...، والاحتجاج ٢: ٥٤٤ ـ ٥٤٥، احتجاج الحجّة القائم المنتظر عجّل الله فرجه... .



وهذه الرواية ـ مضافاً إلى بيانها لأحد أسرار غيبة بقيّة الله الأعظم ﷺ ـ تشير أيضاً إلى أنّه في زمان ظهوره سوف يدعو جميع طواغيت عصره إلى الإسلام الحقيقي، فإن استكبروا أو استنكروا قاتلهم على ذلك؛ إذ لا مداهنة فيما يخصّ الأحكام الإلهيّة، كما لا مجال في ذلك للوهن والتساهل أو التجاهل. كما أنّ الفرار من بيعة أهل الظلم والجور من بركات غيبته، وإلاّ فلم ينج إمام معصوم من بيعة خلفاء الظلم في زمن الأمويّين والعبّاسيّين.

٣ـ الفيض التدريجي

لا شكّ أنّ الإمام المعصوم عليه السلام واسطة الفيض الإلهي على الخلق، فيكون حضوره المشهود فيضاً مضاعفاً. إلاّ أنّ هناك تلازماً بين الوساطة في الفيض وبين جملة من الشروط والمقدّمات التي من دونها يكون الموجود المفاض له إمّا محروماً من تحقّق الفيض وإمّا عاجزاً عن نيله بشكل تامّ. والسرّ فيه: أنّ العلاقة بين الموجود الفيّاض وبين المستفيض على ثلاثة أنحاء:

الأوّل: أن يكون للفيّاض والمستفيض القدرة على العطاء والأخذ بشكل دفعي، كما يشير إليه القرآن الكريم النازل في ليلة القدر المباركة على القلب المقدّس لنبي الإسلام الأكرم ﷺ؛ إذ اُلقي عليه الوحي دفعة واحدة.

الثاني: أن لايكون الفاعل تامّ الفيض ولا يكون القابل تامّ التلقّي، كالاُمّ التي ترضع ابنها، إلاّ أنّها لاتتمكّن من أن تعطيه مرّة واحدة تمام مقدار الحليب الذي يحتاجه في فترة الرضاع، كما لا يمكن للرضيع أن يحصل على مقدار تمام ما يحتاج إليه من حليب في فترة رضاعه ضمن دفعةٍ واحدةٍ. وبعبارة اُخرى: يكون كلٌّ من المفيض والمستفيض غير قادرين على الإفاضة وتلقّيها إلاّ بشكل تدريجي.

الثالث: أن يكون الفاعل تامّ الفيض فيما لا يكون القابل قادراً على تلقّي الفيض دفعةً واحدةً، كالمعلّم الذي قضى سنوات من التحقيق والبحث حول علمٍ من العلوم كالرياضيات واشتغل في تدريسه، فصار قادراً على تعليم طلبته الأُصول ليستخرجوا منها جملة من القواعد من دون أن يواجه أيّ قيد أو شرط في إفاضة علمه عليهم، إلاّ أنّ الطلبة ليس لديهم القدرة على استخراج هذه القواعد الفرعيّة المختلفة في ضوء القاعدة الأصليّة، ومعه فلا يتمكّنون من الاستفادة من الفيض الدفعي للأستاذ بالنحو المطلوب.

ويمكن بيان هذا المعنى بمثال آخر فنقول: لقد أوجد الله تعالى العالم و الكون دفعةً واحدةً على أساس قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَمرُنَا إِلاَّ وَاحِدة**﴾.[1] لكن لمّا كان عالم الطبيعة فاقداً لنيل هذا الفيض الدفعي من المبدأ الفيّاض، نال هذا الفيض الدفعي بصورة فيضٍ تدريجي على أساس قوله تعالى: ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقوَاتَها فِي أَربَعَةِ أَيَّام**﴾[2]. فالفيض وإن كان دفعيّاً، إلاّ أنّ تلقّيه بسبب ضعف القابل صار تدريجيّاً.

وعلى هذا الضوء يكون الحديث عن العطاء والإفاضة التدريجيّة ناظراً إلى قصور قابليّة المفاض إليه، لا إلى نقص الفاعل الفيّاض. وأمّا الإشارة إلى الفيض التدريجي في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُم اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام**﴾[3] ونحوها من الآيات فلا يعني إلاّ أنّ تلقّي الفيض التدريجي ضمن كلّ رتبةٍ منه يجعل القابل مستعدّاً لتلقّي الفيض اللاحق، وإلاّ فلا يوجد ولن يوجد من جهة الله سبحانه مانع عن الإفاضة الدفعيّة.

---

١ . سورة القمر، الآية: ٥٠.

٢ . سورة فصّلت، الآية: ١٠.

٣ . سورة الأعراف، الآية: ٥٤، وسورة يونس، الآية: ٣.

وليُعلم: أنّ ها هنا نحوين من إفاضة الفيض التدريجي وفق قدرة القابل واستعداده. وبيان ذلك: أنّ القابل تارةً لايكون له القدرة على تلقّي الفيض الإلهي الدفعي، إلاّ أنّه يقدر على تلقّي الفيض التدريجي لله سبحانه من دون واسطةٍ أو مع أدنى وسائط الفيض، كما في معجزات الأنبياء العظام عليهم السلام وكرامات الأولياء الكرام عليهم السلام ونزول المائدة السماويّة على مريم عليها السلام: **﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَا المِحرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزقاً قَالَ يَـمَريَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَت هُوَ مِن عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَاب﴾**.[1] فقوله تعالى: **﴿بِغَيرِ حِسَاب﴾** يشير إلى أنّ الفيض الإلهي يتمّ بطريق مغاير لمسار عالم الطبيعة؛ وذلك أنّ قانون الطبيعة يبتني على وجود الوسائط المتعدّدة الواقعة في طريق تحقّق الأشياء، إلاّ أنّ هذه الموارد من الفيض الإلهي تسير على خلاف هذا القانون؛ إذ تبتني على حذف أو تقليل وسائط التحقّق.

فقد تبيّن: أنّ فيض حكومة عباد الله الصالحين في الأرض وإن كان من جهة المبدأ الفيّاض قابلاً للتحقّق من دون مقدّمات أو موانع، إلاّ أنّ القوابل تفتقد إلى الاستعداد الكامل اللازم لتلقّي فيض جمعي دفعي، فلا يمكن تحقّق هذا الفيض إلاّ حينما تتوفّر جملة من الشروط والمقدّمات والأرضيّة المناسبة ضمن إطار زمني محدّد. كما أنّ من شروط تحقّق حكومة الصّالحين في الأرض تربية عبادٍ كرامٍ وإيجاد الاستعداد اللازم لدى الناس لتقبّل حكومة العدل العالمي، التي من شروط إنجازها غيبة إمام العصر عجل الله فرجه.

حول بيان الحكمة من الغيبة

ورد في جملة من الروايات عن المعصومين عليهم السلام أنّ للغيبة عللاً وأسراراً

---

١ . سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

أُخرىٰ ستتّضح عند تحقّق ظهور وجوده المبارك.

ففي ضمن جوابه لسؤال من سأله عن سرّ الغيبة، أفاد الإمام الصّادق عليه السلام قائلاً: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالىٰ ذكره. إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسىٰ عليه السلام إلىٰ وقت افتراقهما.[1] يا ابن الفضل، إنّ هذا الأمر أمرٌ من أمر الله تعالىٰ، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنّه (عزّ وجلّ) حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشفٍ لنا».[2]

الشمس خلف السحاب

نحو الاستفادة من وجود الإمام عجل الله فرجه في عصر الغيبة

وقد يُتوهّم: أنّ الإمام عليه السلام لـمّا كان مصباح الهداية، كانت الاستضاءة بنور وجوده منوطة بإمكانيّة الرجوع إليه، مع أنّه لا يتيسّر في عصر الغيبة مراجعة الإمام عليه السلام لاستفتائه في المسائل الشرعيّة والمشكلات العلميّة وإجراء الحدود والقوانين؛ لأنّ الغيبة مانعة عن وصول فيوضات مشعل الهداية واستلهام المؤمنين من بركاته وعناياته. ومعه فلماذا يغيب الإمام عليه السلام ويحرم المؤمنون من فيض وجوده المبارك؟

إنّ ما تمّ بيانه من فوائد وثمرات لوجود الإمام مشروطاً بحضوره بين الناس لا يمثّل إلاّ نزراً يسيراً من آثار وجوده؛ نظراً إلىٰ أنّ تأثير الإمام المعصوم عليه السلام في

١ . سورة الكهف الآيات: ٧١ ـ ٧٧.

٢ . كمال الدين ٢: ١٥٨، باب علّة الغيبة، وبحار الأنوار ٥٢: ٩١، الباب ٢٠.

نظام الكون أجلّ من أن يكون مشروطاً بأُمور خاصّة تقتصر على ضرورة حضوره بين الناس.

ومع أنّ بعض الروايات وصفت الإمام المعصوم عليه السلام بأنّه مصباح هداية، إلاّ أنّ هذا التعبير يشير إلى حالة وسطى وجهة خاصّة من منافع ذلك الوجود المبارك وألطافه. وقد ورد في بعض الأخبار تعبير أكمل وأبلغ في بيان مقامه الشامخ؛ إذ ورد تشبيه الإمام عليه السلام بشمس العالم المشرقة التي تشعّ بنورها لتنير العالم. عن جابر الأنصاري أنّه سأل النبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**إي والذي بعثني بالنبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب**».[1]

وقد أفاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في هذه البيان النوري: أنّ وجود الإمام عليه السلام كوجود الشمس، كما أنّ غيبته بمثابة غياب الشمس خلف السحاب، فيكون انتفاع الناس من وجود الإمام من قبيل انتفاعهم بالشمس المختفية خلف السحاب.

والذي يمكن أن يُقال في بيان هذا الحديث أُمور:

الأوّل: أنّ الشمس محور حركة الكواكب والنجوم التابعة، كما أنّ الوجود المبارك لحجّة الله عليه السلام محور نظام الكون: «**ببقائه بقيت الدنيا، وبيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء**».[2]

المفتقر كالكرة بيدك تحت أمرك

---

١ . كمال الدين ١: ٣٦٥، باب نصّ الله على القائم عجّل الله فرجه...، وبحار الأنوار ٥٢: ٩٣، الباب ٢٠.

٢ . مفاتيح الجنان، دعاء العديلة.

بل عالم الوجود كلّه مع عظمته وجلاله رهن إشارتك تحت رعايتك[١]

الثاني: أنّ انتفاع موجودات المنظومة الشمسيّة من الشمس لاينحصر في إفاضة نورها على هذه الموجودات مباشرةً حتّى يكون غيابها خلف السحاب مانعاً من الانتفاع بها بالكامل، وإلاّ فطاقة الجاذبيّة أساس ثبات النظام الكوني وبقائه، ونحوها هبوب الرياح وهطول الغيث والمطر ونموّ النباتات و... وهي كلّها من بركات وجود الشمس وإشراقها. ويجري الكلام مثله في بركات وجود إمام العصر ﷺ التي تتجاوز بمراتب كثيرة عقبة الغيبة الظاهريّة للإنسان الكامل لتُحرم الموجودات من فيضه. إنّ قوام السماوات والأرض وتدبير اُمور العالم وحصول الرزق لعباده تعالى وهداية من لهم الاستعداد لذلك و... من فيوضات وعنايات وجوده المبارك، فأنّى لغيبته أن تكون مانعاً عن تحقّقها؟

الثالث: أنّ السحاب حينما يقع حائلاً بين قرص الشمس وبين الناظر لايؤدّي إلى خفاء الشمس من الوجود، غايته أنّ السحاب يجلّل الشمس ويحرم الناظر من نورها ومن مشاهدة إشراقها، إلاّ أنّ الشمس أكبر من أن يغيّبها السحاب عن الوجود، كما أنّ منافعها أجلّ من أن تنتفي بانتفاء رؤيتها.

كما أنّ الوجود المبارك للإنسان الكامل ـ الذي هو أساس استمرار الحياة في الكون ـ أجلّ من أن يحول مانع دون أن يُفيض على الكون أو أن يؤدّي إلى ضعف علاقته مع عالم الوجود. فكيف بموجود هو خليفة الله في أرضه وسمائه وبيده عنان نظام الكون بإذن الله، وأحاط به علماً بإذن الله، فكيف له أن يكون غائباً؟

---

١ . ديوان آية الله الغروي الأصفهاني المعروف بالكمباني.

يقول: «مفتقر» در خمِ چوگان تو گويى، گوئيست!

چرخ با آن عظمت نيز به جز گوى تو نيست



ليس لجمال الحبيب نقابٌ وستارٌ

فأزل الغبار عن الطريق لتراه جليّاً[١]

الرابع: أنّ السحاب إنّما يحجب النظر من الأرض نحو السماء، إلاّ أنّه لا يقدر على حجب النظر بأعينٍ ترى ما خلف السحاب. كما أنّ الوجود المبارك لصاحب العصر ﷺ غائب عن عيون أهل الدنيا الذين يقتصر نظرهم على عالم الطبيعة، فيغيب عنهم كلّ ما يقع خلف سحاب التعلّقات والميول الدنيويّة. وأمّا أُولئك الذين نفضوا غبار الشهوات وأهواء النفس وتعلّقت أنظارهم بالسماء فلا يعقل أن يكون ذلك الوجود الشريف غائباً مستتراً لديهم.

وأنّى لك ولم تتجاوز فناء الطبيعة

أن تضع قدمك على وادي الحقيقة[٢]

وإلى هذا المعنى أشار الشاعر مصلح الدين سعدي قائلاً:

ألا ترى أنّه متى ارتفع الغبار

حيل بينه وبين البصر وإن كان ثاقباً؟[٣]

كما أفاد العارف جلال الدين الرومي قائلاً:

لو خطوت خطوتين عن منزل هواك

لاستطعت أن تحلّ حريم الكبرياء[٤]

---

١ . ديوان حافظ، غزل ١٤٤.

يقول: جمال يار ندارد نقاب و پرده ولى غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد

٢ . ديوان حافظ، غزل ١٤٤.

يقول: تو كز سراى طبيعت نمى‌روى بيرون كجا به كوى طريقت گذر توانى كرد؟

٣ . ديوان سعدي: ٢٩١.

يقول: نبينى كه جايى كه برخاست گرد نبيند نظر گرچه بيناست مرد

٤ . ديوان شمس التبريزي، رقم ٩٥٩.

يقول: از منزل هوسات ار دو گام پيش نهى نزول در حرم كبريا توانى كرد

الخامس: أنّ ضياء الشمس الساطعة وإفاضتها ممّا لا ينقطع، كما لا يمكن تحديده وتجزئته، فيكون كلّ قابلٍ قادراً على الانتفاع بذلك الفيض بقدر استعداده وارتباطه بالشمس، كما هو الحال في موجود أزال من طريقه سائر الموانع ووضع نفسه مباشرة في معرض إشراق الشمس ليستفيض من فيضها بشكل أكمل.

والوجود المبارك للمهدي الموعود ﷺ ـ الذي هو واسطة الفيض الإلهي ـ كالشمس الّتي تفيض على الكون ضيائها، فلا يقع من هذه الجهة تفاوت بين العباد، إلاّ أنّ كلّ فرد يستفيض من هذا الفيض بقدر استعداده وقوّة ارتباطه بمنبع الفيض.

السادس: أنّه كما أنّ السحاب لو حال دون وصول ضوء الشمس لعمّت الظلمة واشتدّت البرودة، فتختّل حياة الأرض وسكّانها، فكذلك لولا عناية وإفاضة وليّ الله الإنسان الكامل ﷺ ـ وإن لم يجلّله سحاب الغيبة ـ لعمّ ضيق العيش وتفشّى تآمر الأعداء في أتباع أهل بيت العصمة عليهم السلام. وإليه الإشارة فيما أفاده إمام العصر ﷺ ضمن توقيعه الشريف للشيخ المفيد رحمه الله قال: «**إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء**».[1]

إلى من أشكو وأقول: إنّ الحبيب
شاهدٌ (حاكمٌ) إلاّ أنّه محجوبٌ مستورٌ[2]

هذا ويمكن تشبيه الإمام عليه السلام بالمغناطيس الّذي يجذب القلوب الوالهة إليه، فيكون قبلةً لقلوب الناس وقطباً يعيّن الاتّجاه الصحيح لسائر الموجودات، فيقتدي به الضالّون في صحراء الجهل بنور هديه وبشمس وجوده.

---

١ . الاحتجاج ٢: ٥٩٨، ذكر طرف ممّا خرج أيضاً عن صاحب الزمان ﷺ... .

٢ . ديوان الملّا هادي السبزواري: ٢٧.

يقول: با كه توان گفت اين سخن كه نگارم شاهد هر جايى است و پرده نشين است



ضرورة النيابة في عصر الغيبة

ثمّ إنّه يمكن إقامة البرهان العقلي على ضرورة احتياج المجتمع البشري إلى عنصر فاعل يسهر على النظام لحفظ زمام الأمّة في زمان غيبة صاحب العصر عجل الله فرجه و بيان لزوم وجود نائب للإمام؛ إذ لا يمكن الالتزام في زمن الغيبة الذي ـ لا قدّر الله ـ قد يطول آلاف السنين بشيوع الهرج والمرج، أو القول بتعطيل قسمٍ هامٍّ من الأحكام الإسلاميّة والاستعاضة عنها بحكم الجاهليّة فيما لو تسلّم زمام الحكم أهل الجور والطغيان انتهاءً بنفي الزعامة واستلام الحكم في زمن الغيبة وتعطيل الأحكام الإلهيّة؛ بدعوى أنّ معاصي الناس منشأ حرمان المجتمع من بركات ظهور الإمام عليه السلام، أو بدعوى أنّ التفاف الناس حول قائد غير معصوم ينفي ضرورة وجود قائدٍ عادلٍ يقتدي فكريّاً ومنهجيّاً بالقرآن والعترة الطاهرة.

ومنه ينقدح سرّ ما ورد في قصّة لوط عليه السلام من أنّه وإن لم يؤمن به إلاّ ثلّةٌ من أفراد عائلته، إلاّ أنّ الله تعالى الّذي أحاط علماً بكفر الآخرين به أرسل نبيّه لقيادة قومه: **﴿فَأَخرَجنَا مَن كَان فِيهَا مِنَ المُؤمِنِين * فَمَا وَجَدنَا فِيهَا غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسلِمِين﴾**.[١] وفي إطار تبيين هذا الأمر لم تتمّ الإشارة إلى أنّ عصيان الناس مانع عن استمرار السنّة الإلهية، بل إنّ سنّته تعالى اقتضت أن يرسل قادة إلهيّين لهداية البشر. قال تعالى: **﴿أَفَنَضرِبُ عَنكُم الذِّكرَ صَفحاً أَن كُنتُم قَوماً مُسرِفِين * وَكَم أَرسَلنَا مِن نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِين * وَمَا يَأتِيهِم مِن نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَستَهزِؤُون﴾**.[٢] ولـمّا كان البرهان العقلي آبياً عن التخصيص، لزم القول بضرورة وجود

---

١ . سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥ ـ ٣٦.

٢ . سورة الزخرف، الآيات: ٥ ـ ٧.

النائب أو الممثّل عن صاحب العصر ﷺ في زمان الغيبة. وإليه الإشارة فيما أفاده المحقّق الطوسي ﵀ بقوله: وجوده لطفٌ، وتصرّفه لطفٌ آخر، وعدمه منّا.[1] وإن شئت قلت: إنّ أصل وجود صاحب العصر ﷺ لطفٌ، وتصرّفه الخاصّ لطفٌ آخر، فلا تلازم بين هذين اللطفين ليُقال بأنّ اللطف الثاني ينتفي عند انتفاء اللطف الأوّل. وإلى ذلك أشار مولانا أمير المؤمنين علي ﵇: «**اللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجّة: إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً (حافياً) مغموراً؛ لئلاّ تبطل حجج الله**».[2]

نعم، تصرّف الإمام المطلق لا يمتنع كما لا ينعدم بواسطة النوّاب الخواصّ أو المنصوبين بالنصب العامّ من قبله؛ فإنّنا وإن حرمنا في زمن الغيبة من تصرّف الإمام وبركاته وعناياته الخاصّة ونحوها ممّا اُبتليت بها المجتمعات البشريّة بسبب ارتكابها المعاصي والذنوب، إلاّ أنّ أصل تصرّف الإمام وعناياته وإن كان في صورة تنصيب نائبٍ له أو بنحو التوكيل العامّ لم يزل ثابتاً في محلّه.

نعم، إن لم يشأ الناس اتّباع نوّاب الإمام ﷺ قطعاً لدابر «**كظّة ظالم ولا سغب مظلوم**»[3] لم يكن فقدان هذا النحو من التصرّف العامّ وتضييع اللطف إلاّ من سوء اختيار البشر.

فقد بان: أنّ تأسيس النظام الإسلامي وتطبيق الأحكام وإجراء الحدود إلى جانب الدفاع عن كيان الدين وحمايته من كيد الأعداء في زمن الغيبة أمرٌ مطلوبٌ؛ إذ إنّ الحفاظ على التراث الإسلامي وإن كان بالأصالة من مهامّ الإمام

---

١ . كشف المراد: ٣٨٨، المقصد الخامس، المسألة الأولى، والمسلك في أُصول الدين (المحقّق الحلّي): ١٩٤.

٢ . نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.

٣ . نهج البلاغة، الخطبة ٣.



المعصوم، إلاّ أنّ حفظ كيان الإسلام بالتبع في عصر احتجاب المجتمع عن شهود إمامهم من مهامّ نوّابه، فلا ينبغي أن يتوهّم أحد من الباحثين أو المفكّرين الإسلاميّين احتمال تعطيل الحكومة الإسلاميّة وإلغاء العمل بالأحكام والحدود الإلهيّة، كما لا يصل الدور إلى ما أفاده فقيهٌ حاذقٌ كالشيخ الأنصاري رحمه الله ليقول: ثمّ إن علم الفقيه من الأدلّة جواز تولّيه؛ لعدم إناطته بنظر خصوص الإمام أو نائبه الخاصّ، تولاّه مباشرةً أو استنابةً، إن كان ممّن يرى الاستنابة فيه، وإلاّ عطّله؛ فإنّ كونه معروفاً لا ينافي إناطته بنظر الإمام عليه السلام والحرمان عنه عند فقده، كسائر البركات التي حُرِمناها بفقده عجّل الله فرجه.[1]

ويعود السرّ في عدم انقداح الاحتمال المذكور إلى أنّه لايصحّ هتك القوانين والنواميس الإلهيّة أو البشريّة في عصر الغيبة، كما لا يصحّ الزجر عنها قبل ارتكابها عن طريق النهي عن المنكر المسلّم لدى الناس، وهكذا الزّجر عنه بعد ارتكابه بالحدود والعقوبات غير الدينيّة. ويمكن استفادة هذا المعنى ممّا أفاده الحكيم صدر المتألّهين بقوله: وأمّا جهاد الكفّار وأهل البغي فدفعاً لما يفسد به اعتقاد أهل الحقّ؛ إذ يتشوّش بسبب مروق المارقين عن ضبط السياسة التي يتولاّها حارس السالكين وكافل المحقّين نائباً عن رسول ربّ العالمين. واشتمال القرآن على الآيات الواردة في هذا الجنس ممّا لا يخفى عليك. وما يشتمل هذا القسم عليها يسمّى علم الحلال والحرام وحدود الأحكام، وهذا العلم يتولاّه الفقهاء، وهو علم يعمّ إليه الحاجة؛ لتعلّقه بصلاح الدنيا أوّلاً، ثمّ بواسطته صلاح الآخرة....[2]

---

١ . المكاسب ٢: ٣٤، مسألة: في ولاية الفقيه.

٢ . مفاتيح الغيب ١: ١٣٥، المفتاح الثاني، الفاتحة الأُولى.

يرى الحكيم المتألّه الملاّ صدرا ضرورة وصل الدين بالسياسة، كما يتحدّث عن فقه سياسي إلى جانب الفقه العبادي، ويعتقد بأنّ نواب رسول الله ﷺ قد تكفّلوا بذلك الأمر الهامّ، ثمّ يحيل مسؤوليّة هذا العلم الجامع في عصر الغيبة إلى الفقهاء. كما ويمكن العثور على مثالٍ منه في كلام الفارابي وابن سينا وسائر الحكماء السابقين على صدر المتألّهين.

فقد تلخّص ممّا تقدّم: قيام البرهان العقلي على ضرورة حفظ جميع شؤون نيابة الإمام المعصوم عليه السلام في عصر استتار المجتمع عن إمامه، ولا سبيل إلى الخدش في أيٍّ من مقدّماته، كما سيتّضح في الأبحاث القادمة ثمرات هذا البرهان من قبيل تصدّي النائب العامّ لجميع شؤون الإمامة عدا الأُمور المشروطة بالعصمة، مع أنّه ليس لها دخلٌ صريحٌ في نظم المجتمع.

النيابة في عصر الغيبة

لمّا وافى الإمام الرضا عليه السلام نيسابور اجتمع إليه طائفة من محبّيه، فنقل لهم عن آبائه الكرام عن الملائكة الأُمناء عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: «**لا إله إلاّ الله حصني**»[1] أي: من أراد أن يكون في أمانٍ و سلامةٍ في الدنيا والآخرة عليه أن يكون موحّداً عابداً لله الواحد الأحد. وبعد أن تحرّك الإمام أخرج رأسه من الهودج وأضاف: «**بشرطها، وأنا من شروطها**».[2] أي: إنّ من لم يقبل بالإمامة والولاية وقيادة آل بيت رسول الله، فلا جدوى من تلفّظه بكلمة التوحيد، ومعه كان كلّ من قال بإمامة أهل بيت العصمة عليهم السلام في أمن و سلام.

كما ورد هذا الكلام النوري على لسان الوجود المبارك لعلي عليه السلام بقوله: «**إنّ للا إله إلاّ الله شروطاً: إنّي وذرّيّتي من شروطها**».[3] كلمة لا إله إلاّ الله هي

١و٢ . التوحيد (الصّدوق): ٢٥، الباب ١، وعيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٤٥، الباب ٣٧.

٣ . شرح غرر الحكم ٢: ٥١٤.



الوسيلة إلى الجنّة الموعودة وعد الحقّ، إلاّ أنّ لها شروطاً، كالاعتقاد بإمامة علي وأبنائه، فمن لم يعتقد بهذه الإمامة لن يكون من أهل النجاة والفلاح في الدنيا و الآخرة.

وإذ نعيش في عصرنا الحاضر تحت فيء عصر إمامة المعصوم الرابع عشر وولاية الإمام الثاني عشر من هذه الشجرة الطيّبة، ونقتات من مائدة ولايته، وإذ كانت يدنا قاصرةً عن الوصول إليه، فهل يمكن أن نقول: إنّ كلمة التوحيد الطيّبة فقدت شروطها؟ وهل يمكن القول بأنّ هذه الكلمة الطيّبة كافية لوحدها في عصر الغيبة، فيكون وجود الولي الإلهي والقائد الهادي ـ الذي هو شرطٌ من شروط كلمة التوحيد ـ ممّا لا دليل عليه؟

ولوكان الأمر كذلك،فينبغي الالتزام بكافّة صور التحريف وأنحاء المصادرة على المطلوب وألوان التفسير بالرأي ونحوها ممّا يُهتف بها تحت شعار التوحيد، مع أنّ ذلك ممّا لم يقل به أحدٌ. ثمّ إنّ هناك عدداً من التناقضات الواضحة الّتي يقع بها غير واحد من المتفكّرين، ممّا يجعل قبول هذه الآراء الباطلة إذعاناً وتصديقاً باجتماع النقيضين، ما يؤول إلى إنكار البديهيّات والسقوط في السفسطة، بخلاف ما لو تحصّنا بحصن وجود القائد والدليل على الصراط المستقيم الذي هو استمرار لشرط الولاية وأساس تمسّك الأُمّة بحصن الكلمة الطيّبة. فما هي الخصائص التي ينبغي أن يتميّز بها ذلك القائد؟ ومن هو الفرد الأصلح لنيابة الإمام الغائب: أيكون الفقيه العادل الذي ينوب فقهه عن علم الإمام المعصوم وعدله عن عصمة الإمام لائقاً للقيادة وأساساً لاستمرار شرط التوحيد أم يكون فرداً آخر لا سنخيّة له مع المنوب عنه ولا تربطه به أيّة علاقة؟

لا يخفى: أنّ نبي الإسلام الأكرم ﷺ كان أوّل معلّم ومبيّن للقرآن الكريم وأجلّ مناد بنداء التوحيد، فكان من اولى أولويّاته طوال حياته الشريفة تبيين

الآيات الإلهيّة وتطبيقها على الموارد الجزئيّة. ثمّ انتقلت هذه الوظيفة الخطيرة بعد وفاة النبي الأكرم إلى أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فكانوا يبيّنون للمسلمين وللمجتمع الإسلامي في مختلف الأزمنة والظروف المعارف السامية للقرآن الكريم.

وأمّا في عصر الغيبة فقد دأب الوجود المبارك لخاتم الأوصياء عجّل الله فرجه على تعليم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلماء الدين والمفسّرين الحاذقين في ضوء المصادر الغنيّة القيّمة لمعارف الدين (أعني: الكتاب الإلهي الكريم وسنّة المعصومين عليهم السلام والعقل البرهاني والإجماع) بالقدر المتيسّر له؛ لغرض تبيين الآيات الإلهيّة، ما أتاح بذلك للفقهاء الأعلام ضمن معرفة شروط الزمان والمسائل المستحدثة في كلّ عصر أن يستنبطوا الأحكام الإلهيّة من تلك المصادر، ليضعوها بين يدي أهل الإيمان. وكانت هذه الجهود المضنية سبباً في استفادة المجاميع البشريّة من العلوم الإسلاميّة والمعارف الحقّة والأحكام الإلهيّة ومانعاً عن حرمان الناس من الاهتداء بالقرآن والعترة في عصر الغيبة.

استمرار الحاجة إلى إجراء الأحكام والقوانين

ومع نزول الرسالة الخاتمة لنبوّة نبي الإسلام الأعظم محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله أُغلق الباب أمام نزول قانون جديد من سماء الوحي؛ نظراً إلى أنّ كلّ ما يفضي إلى سعادة البشر من لدن عصر النزول إلى صبح القيامة ملحوظ و مشهود بفضل يد الإعجاز الإلهي في صحيفة القرآن النوريّة التي استجابت لعنصرين أساسيّين يحتاج إليهما البشر، أعني: القانون الإلهي القادر على الإجابة عن جميع التساؤلات والشبهات بالاستلهام من العقل المحيط بالمعارف المُلهَمة للمطالب المُنزلة للاستنباط اللازم والاستعانة بالروايات المعتبرة الواردة عن



المعصومين عليهم السلام. وأمّا العنصر الثاني الذي يحتاجه البشر فهو متوقّف على تطبيق هذا القانون في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة وإجراء سائر الأحكام الدينيّة.

إنّ قانون الوحي الإلهي الذي لا بديل له ـ الذي ظهر على أتمّ وجه له في مرآة القرآن الكريم والبيانات النوريّة للنبي الأكرم و العترة الطيّبة من أهل بيته يجيب عن سائر حاجات الفرد الجزئيّة والكلّيّة وحاجات المجتمع الإنساني والإسلامي. كما يُلاحظ في عصر كلّ إمام من أئمّة الهداية: أنّ الإمام كان يبيّن القرآن والسنّة والمعارف الحقّة ويعلّل أحكامها ولوازمها، بالإضافة إلى ضمانه الإجابة عن حاجات المجتمع بإجراء الأُصول والأحكام بما ينسجم مع إرادة تلك المجتمعات وبالقدر المتيسّر له.

ثمّ إنّه لا شكّ في حاجة المجتمع الإنساني والإسلامي إلى إجراء وتنفيذ القوانين المؤدّية إلى السعادة الإلهيّة. كيف لا؟ وعدم إجراء هذه القوانين يفضي إلى اختلال النظام وإلى الهرج والمرج وإلى الاستعباد والظلم والفساد والضياع، مع أنّ عصر غيبة الوجود المبارك لصاحب العصر عجل الله فرجه غير مستثنى من هذه القاعدة. كما لا شكّ أيضاً أنّ الله تعالى لم يترك الإنسان سدىً محروماً من طرق الهداية في هذا الجوّ الكدر المليء بأمواج الشكّ المتلاطم المشوب بالفساد والجهالة، فلم يترك الإنسان وحيداً يصارع أمواج الضياع والسبات، كما لم يغلق باب الهداية عن المجتمع الإنساني، ولم يكله إلى نفسه في وادي الضلالة، بل عيّن ولاةً يهدون المجتمع إلى سواء السبيل.

وهذا النحو من الولاية في عصر الغيبة استمرارٌ للدين الإلهي في إطار التعليم والتقنين والتنفيذ، وهي حسبما يُستفاد من الروايات المعتبرة للنوّاب المنصوبين بالنصب العامّ والفقهاء العدول العارفين بالإسلام[١] و حقائقه، الذين يبيّنون من

---

١ . راجع الكافي ١: ٦٧، باب اختلاف الحديث، ووسائل الشيعة ٢٧: ١٣٦ ـ ١٤٠، أبواب صفات القاضي...، الباب ١١.

جهة أحكام الشريعة مع لحاظ شرائط الزمان والمكان السابقة والحاضرة والقادمة، باذلين جهدهم وسعيهم البالغ في الاستنباط، كما يساهمون من جهة أخرىٰ في تعزيز الولاية الاجتماعيّة وتدبير أُمور المجتمع المسلم بتنفيذهم وتطبيقهم لتلك الأحكام.

فساد القول بتعطيل الأحكام في عصر الغيبة

حاول بعض الباحثين ردّ الدليل الدالّ علىٰ ولاية الفقهاء والنوّاب المنصوبين بالنصب العامّ من قبل إمام العصر ﷻ في عصر الغيبة؛ متوهّماً أنّ الحكومة لا تكون إلاّ بيد المعصوم عليه السلام، فلا يليق بغيره وإن كان فقيهاً عادلاً صادقاً أن يكون واجداً لشروط الولاية والحكومة. ولا يخفىٰ: أنّ مثله يعتبر أنّ هدف الأئمّة المعصومين عليهم السلام من الحكومة ليس إدارة البلاد أو استلام السلطة بنحو غير مشروع، بل يرىٰ أنّ الغرض من حاكميّة العترة الطيّبة عليهم السلام ليس إلاّ تنفيذ الأحكام الإلهيّة وتبليغ التعاليم السماويّة.

ومن الواضح أنّ عدم استمرار هذه الحاكميّة في عصر غيبة إمام العصر ﷻ يلزم منه توقّف وتعطيل تنفيذ الأحكام والتعاليم في غير واحدٍ من الموارد والظروف التاريخيّة (وهو ما حدث فعلاً)؛ لوضوح أنّ العديد من أحكام الحدود والديات والمباني الحقوقيّة ونحوها لا يمكن إجراؤها في غياب الحكومة الإسلاميّة التي لا ترىٰ النور إلاّ في ظلّ الإمام المعصوم أو نوّابه الخاصّين أو العامّين. هذا مع أنّه لايمكن لنا أن نترقّب من الحكومة غير الدينيّة أن تطبّق الأحكام والقوانين من قبيل القصاص والحدود و أمثالها.

وفي ضوء ما ذكر آنفاً إمّا أن نقول بتعطيل عدد غير قليل من الأحكام الإلهيّة، وإمّا أن نلتزم في عصر الغيبة بتسليم زمام وولاية الأُمور إلىٰ النوّاب

العامّين لصاحب العصر ﷺ والفقهاء العدول الورعين لتدبير أُمور المسلمين على أساس الأحكام الإلهيّة.

إنّ صلاحيّة دين الإسلام للبقاء والدوام إلى يوم القيامة أمر مفروغ عنه، فلا مجال لإبطاله أو ادّعاء الضعف والنقص فيه: ﴿لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِن خَلْفِهِ﴾.[١] كما أنّ تعطيل الأحكام الباعثة على الحياة في عصر الغيبة وعدم تنفيذ الحدود الإلهيّة لايعني إلاّ سدّ طريق الله، مع أنّه يلزم منه القول بعدم خلود الإسلام في سائر شؤونه، لاسيّما في العقائد والأخلاق والأعمال. ومنه ظهر: أنّه لايُعقل نفي الزعامة الدينيّة وتعطيل الحدود الإلهيّة في زمن الغيبة.

ثمّ إنّه لا شكّ أنّ تنفيذ الأحكام والحدود الإلهيّة والدفاع عن كيان الدين وحمايته من حملات المهاجمين أمرٌ مطلوبٌ، بل هو من ضروريّات تأسيس النظام الإسلامي. والمجتمع الإسلامي في زماننا الحاضر وإن كان محروماً من إدراك حضور وشهود صاحب العصر ﷺ، إلاّ أنّ هتك النواميس الإلهيّة والبشريّة وإضلال الناس وتعطيل أحكام الإسلام ممّا لايقع مورد رضا الحقّ تعالى شأنه. وعلى هذا الأساس فمن وظائف النوّاب الخاصّين والعامّين في عصر غيبة إمام الزمان ﷺ القيام بجملة من الوظائف المختلفة التي تؤمّن الأهداف المذكورة وتحقّق دوام إجراء الأحكام والتعاليم الإسلاميّة الباعثة على الحياة.

أضف إلى ذلك أنّه لا يمكن دراسة أحكام الإسلام السياسيّة ـ الاجتماعيّة من دون زعامة الفقيه الجامع للشرائط، كما أنّ العقل يحكم بأنّ الله تعالى لا يترك الإسلام والمجتمع الإسلامي في زمن غيبة الإمام المعصوم من دون والٍ وقائدٍ، وعليه تكون ولاية الفقهاء العدول النائبين عن المعصوم ممضاةً من قبله.

---

١ . سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

و قد أدرك الفقهاء والأعلام الذين أحاطوا بحكمة الفقه ضرورة وجود حاكمٍ عادلٍ عالمٍ بالدين. ويمكن الإشارة على سبيل المثال لا الحصر إلى الفقيه الكبير الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر رحمه الله الذي كان مثال الفقيه الحاذق الماهر. لقد أفاد الشيخ محمّد حسن في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتابه الشريف الجواهر ـ بعد أن تعرّض إلى مسألة الحرب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ قائلاً:

بأنّ الضرورة قاضية بذلك... ممّا يظهر بأدنى تأمّل في النصوص وملاحظتهم حال الشيعة، وخصوصاً علمائهم في زمن الغيبة، وكفى بالتوقيع الذي جاء للمفيد من الناحية المقدّسة[1] وما اشتمل عليه من التبجيل والتعظيم، بل لولا عموم الولاية لبقي كثير من الأُمور المتعلّقة بشيعتهم معطّلة. فمن الغريب وسوسة بعض الناس في ذلك، بل كأنّه ما ذاق من طعم الفقه شيئاً.[2]

ويُلاحظ تأكيد هذا الفقيه العظيم على مسألة عقليّة أيضاً. فبعد تعمّقه في جملة من الأحكام الإسلاميّة في مختلف أوجه الحياة البشريّة، وصل إلى نتيجة حاصلها أنّ هناك عدداً من الأحكام الإسلاميّة التي تحتاج قطعاً إلى من يتولّى الإشراف على تنفيذها، وإلاّ اختلّت حياة الشيعة في عصر غيبة صاحب العصر عليه السلام وأصابها الشلل، بل لولاها لانتهى بنا الأمر إلى التعطيل. وفي السياق نفسه أفاد بأنّ وسوسة البعض في حدود ولاية الفقيه تكشف عن أنّ هؤلاء كأنّهم لم يذوقوا طعم الفقه، ولم يدركوا السرّ الوجودي من الدين وأحكامه. وانتهى أخيراً إلى القول بأنّه يبعد أن لا يكون للفقيه الجامع للشرائط

---

١. راجع الاحتجاج ٢: ٥٩٦ ـ ٦٠٠، ذكر طرف ممّا خرج أيضاً عن صاحب الزمان عليه السلام...، وبحار الأنوار ٥٣: ١٧٤ ـ ١٧٦، كتاب الغيبة، الباب ٣١.

٢. جواهر الكلام ٢١: ٣٩٧، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



حقّ الجهاد الابتدائي.[١]

تنبيه

إن لم تكن الحدود الإلهيّة في عصر الغيبة قابلة للإجراء والتنفيذ، لزم منه تعطيل جملة من المعاني القرآنيّة والروائيّة أيضاً، وبالتالي تعطيل الأحكام الفقهيّة والحقوقيّة في الإسلام. والوجه فيه: أنّه قد وردت آيات وأخبار كثيرة في كيفيّة القضاء وطرق ثبوت الجريمة التي تستوجب حدوداً خاصّة، كما حرّرها الفقهاء وصنّفوا فيه آثاراً قيّمة بعد جهود علميّة كبيرة، فبتعطيل الحدود لن يبقى لهذه الآيات والأخبار قيمة ودور في حياة المسلمين، ولعلّه يضيع التدبّر العميق فيها. والسرّ فيه: أنّ الإحاطة بقضايا الجرائم التي تستتبع دراية في العقوبات المترتّبة عليها ونحوها ممّا يمسّ حقوق الإنسان تتطلّب ملاكات خاصّة، ولا يمكن تطبيق المسائل الحقوقيّة والقضائيّة على العقوبات والتعزيرات وفق معيار محدّد. (يُرجى التأمّل في هذه النقطة).

ضرورة الحكومة الإسلاميّة ودورها في نفوذ القضاء

لا يمكن لأيّ مفكّر باحث أن يشكّ في ثبوت نظام القضاء في الإسلام. (كما أنّ الالتزام بهذا النظام في الفكر الديني بمثابة البرهان على ثبوت ولاية الفقيه العادل).

وليعلم: أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين بحثي القضاء والولاية؛ وذلك أنّ القضاء من شؤون الحاكم الذي يلتزم بتطبيقه إمّا مباشرة (من دون واسطة) وإمّا تسبيباً (بالواسطة). ثمّ إنّ القضاء أوّلاً يعمّ المشاجرات والنزاعات الاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة ونحو ذلك في كلّ مكان: في البحر أو البرّ أو

---

١ . جواهر الكلام ٢١: ٣٩٧، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



الجوّ، في الداخل والخارج، ولا تترتّب الفائدة علىٰ مجرّد إصدار الحكم، بل يحتاج الأمر إلىٰ تنفيذ وتطبيق حكم القاضي ثانياً، ولا يتيسّر تنفيذ الحكم بمعناه الحقيقي دون ثبوت الولاية والقدرة علىٰ تنفيذ الأحكام ثالثاً. وعليه فالقول بالقضاء في الإسلام يستلزم بالضرورة ثبوت الحكومة الإسلاميّة.

فمن قال بثبوت أصل القضاء في عصر الغيبة فقد التزم بجملةٍ من لوازمه أيضاً. إلاّ أنّ البحث العلمي يكشف عن أنّ لوازم القول بنظام القضاء في عصر غيبة صاحب العصر ﷺ تتّسع لتشمل سائر شؤون البلاد؛ إذ إنّ النزاعات والخلافات القضائيّة تحصل تارةً بين أشخاص حقيقيّين وأخرىٰ بين شخصيّات حقوقيّة، ما لا يمكن معه من إنهاء النزاع بين الطرفين إلاّ مع ثبوت الحكومة. كما أنّ الاختلاف الحقوقي تارةً يكون محلّيّاً وأُخرىٰ إقليمياً وثالثةً دوليّاً، وللإسلام في هذه الأحوال الثلاثة رأيه الفقهي والحقوقي والقضائي. ومن الواضح أنّه لايتيسّر تطبيق الإسلام وتنفيذ أحكامه وقوانينه القضائيّة في الصور المذكورة آنفاً من دون حكومة ذات نظام قوي مقتدر. فكيف يمكن تحديد نظام حقوقي يؤمّن حدود البلاد الإسلاميّة البحريّة والجوّيّة والبرّيّة من دون تعيين الحكومة التي تسهر علىٰ ذلك؟

ويترتّب علىٰ القول بضرورة نظام القضاء في إطار قوانين الإسلام الالتزام أيضاً بضرورة الحكومة الإسلاميّة، كما أنّ حكم العقل القطعي المذكور يقضي بأنّ من يتصدّىٰ لهذه الحكومة ليس سوىٰ ذلك الفرد العارف بالإسلام وقوانينه الخبير بحكمه العادل في سيرته.

وهذا الحاكم: إمّا أن يكون نائباً خاصّاً أو نائباً عامّاً منصوباً من قبل صاحب العصر ﷺ ليكون وليّاً للمجتمع الإسلامي وتكون الأُمّة مولّىٰ عنه، فلا يكون منتخباً أو منصوباً من قبل الناس ليكون إمّا وكيلاً أو نائباً للناس ويكون الناس

موكّلين له؛ وذلك أنّ دائرة نفوذ الوكيل لا تتجاوز الدائرة التي يحدّدها الموكل، مع أنّ الوليّ المنصوب من قبل الإمام عليه السلام يكون واجداً وأهلاً لإعمال الولاية على المولّى عليهم ضمن دائرة ولاية مَن نوّبه.

دعاء الإمام الصّادق عليه السلام وإثبات ولاية الفقيه

إنّ الأدعية المأثورة الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام بحر عميق من المعارف الإلهيّة في كسوة تضرّعٍ ومناجاةٍ، فيمكن بعد التأمّل والتدبّر العميق بها استخراج نقاط ولطائف تفتح الطريق لحلّ كثير من المعضلات العلميّة والعقائديّة. ويمكن الإشارة إلى مثالٍ منه في دعاء مولانا الإمام الصّادق عليه السلام الذي علّمه لزرارة، فهو من أكمل المصاديق في هذا المقام:

لقد ورد في الجملة الأخيرة من هذا الدعاء ما يلي: «**اللّهمّ عرّفني حجّتك؛ فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني**»[١].

والسرّ فيه: أنّ عدم معرفة وليّ كلّ زمان ينتهي إلى الانحراف والضلال عن الدين والصراط المستقيم، إلاّ أنّ هذه المعرفة هل تقتصر على عصر حضور الإمام المعصوم عليه السلام أم تشمل زمان غيبته أيضاً؟ من الواضح أنّ مفاد هذا الدعاء الشريف يعمّ عصر الغيبة أيضاً. نعم، في صورة غياب إمام العصر عجل الله فرجه بحسب وجوده العنصري الظاهري يكون نحو من ولاية الإمام المعصوم عليه السلام غير قابل للنفوذ. فهل يمكن مع هذا النحو جعل ولاية إمام العصر عجل الله فرجه عِضَة عِضَة والإفتاء بإجراء بعض الأُمور وتعطيل البعض الآخر؟ وإن لم يكن ذلك ممكناً، فمن له أن يكون نائباً للوجود المبارك ليسهر على تدبير أمور المسلمين في عصر

---

١ . الكافي ١: ٣٣٧، باب في الغيبة.

الغيبة؟ إنّ إثارة العديد من الشبهات في هذا المقام من قبيل توهّم وجود قراءات متعدّدة أو إثارة مغالطات وأوهام حول النظام الإسلامي وولاية الفقيه ناشئ من الجهل بالمعارف التي تتضمّنها تلك الأدعية الشريفة.

وحين لايتمّكن المعصوم شخصياً من أن يضطلع مباشرة بتعليم الناس وتزكيتهم، فمن هم الأشخاص الذين وقع عليهم اختيار الأئمّة عليهم السلام ليكونوا نوّاباً لهم في عصرهم؟ فهل كان من ضمن تلامذتهم الذين أدركوا واستوعبوا كلام الإمام أم كانوا عبارة عن أفراد لا علاقة علميّة وعمليّة لهم بالإمام؟ وإذ لم يتسنّ لأمير المؤمنين عليه السلام أن يكون حاضراً بشخصه في مصر، لوحظ أنّه أرسل تلميذه إلى مصر[1]، وإذ أرسل سيّد الشهداء عليه السلام أفضل تلامذته مسلم بن عقيل وعيّنه نائباً له في الكوفة[2]، كشف ذلك عن أنّ نيابة الإمام المعصوم عليه السلام لا تليق إلاّ بمن نهل من علوم مدرسة الإمام عليه السلام وأحاط علماً ومعرفة بفكر الإمام حتّى اكتسب نحواً من السنخيّة معه دون غيره.

ولعلّه إلى هذا المعنى أشار الحافظ الشيرازي بالقول:

أنّى للأغيار الاستعداد لسماع نداء الملائكة؟![3]

هذا وقد وردت غير واحدة من الروايات الّتي تناولت بالبحث نيابة الفقهاء عن الإمام المعصوم عليه السلام[4]، مايمكن الاستدلال على ولاية الفقاهة والعدالة

---

١ . أُنظر نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٢ . أُنظر اللهوف: ٥١ ـ ٥٢.

٣ . ديوان حافظ، غزل ٢٨٦.

يقول: گوش نامحرم نباشد جاى پيغام سروش

٤ . راجع الكافي ١: ٦٧، باب اختلاف الحديث، ووسائل الشيعة ٢٧: ١٣٦ ـ ١٤٠، أبواب صفات القاضي...، الباب ١١.



بالنقل، وإن استقلّ العقل في الحكم بعد النظر في الأدلّة النقليّة. ويُستفاد ممّا ورد في الدعاء الشريف عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّ من لم يعرف الله لا يمكنه أن يعرف نبيّه، ومن لم يعرف نبيّه لا يمكنه أن يعرف حجّة الله وإمام عصره وخليفة رسول الله.

وكما تقدّم سابقاً فمن لم يعرف الإمامة والإمام، لم يكن له أن يعرف نائب الإمام المعصوم في عصر الغيبة، كما لن يكون عارفاً بالدين، وقد يدّعي حينئذٍ أنّ للجمهورية الإسلاميّة بعدين: البعد الجمهوري والبعد الإسلامي. وهذا النظام يبدأ من القاعدة ويسير من الكثرة باتّجاه الوحدة، فيكون للناس سهمٌ في هذا النظام وسهمٌ آخر أضعف من الأوّل ـ أو مساو له في أحسن أحواله ـ من نصيب الإسلام، فيكون حاله حال الأنظمة التي تدّعي أنّها شعوبيّة وترتكز على الفكر العلماني.

ومن منظار الرؤية التوحيديّة ـ بعد التأمّل في دعاء الإمام الصّادق عليه السلام ـ لا تعني الجمهورية الإسلاميّة إلاّ جمهوريّة الناس الذين اعترفوا بالدين الإسلامي والتزموا بتطبيق سائر أُسسه العلميّة والعمليّة.

وولاية الفقيه ـ التي هي من أُسس الإسلام في عصر غيبة المعصوم عليه السلام ـ مرجعها إلى ولاية الفقاهة والعدالة، لا إلى حكومة الفرد بلحاظ الشخصيّة الحقيقيّة، كما أعلن عن ذلك الإمام الراحل رحمه الله من أنّه ليس لروح الله الموسوي الخميني (في الانتخابات) سوى رأي واحد يضعه في صناديق الاقتراع كسائر مواطني جمهوريّة إيران الإسلاميّة. فإن كان رأي الإمام الخميني رحمه الله هو المعيار الإسلامي، فما الفائدة في نفوذ مسؤوليّة الخبراء الذين انتخبهم الشعب؟

والسرّ في ذلك: أنّ الرأي الموضوع في صندوق الاقتراع ليس إلاّ رأي شخص الإمام الراحل الحقيقي، الّذي هو بلحاظ حقوقي مساو لرأي سائر

المواطنين، إلاّ أنّ تنفيذ الحكم لا يعود إلى الشخص الحقيقي، بل إلى الشخصيّة الحقوقيّة لولاية الفقيه وإلى ذلك المقام، لا أنّ رأي الشخص هو رأي الإسلام. ومن هذا المنطلق ما لم ينفّذ الولي الفقيه الحكم أو ما لم يأذن به، لا تكتسب شورى القيادة ولا رئاسة الجمهوريّة ولا أيّة جهة سياسيّة المشروعيّة. وإنّما ينال الأهليّة في تنفيذ المسؤوليّة وبذل الطاعة وتكتسب تلك الجهات نحواً من الاعتراف الرسمي باعتبار أنّ الشخصيّة الحقوقيّة لولي الفقيه ـ لّما كانت نائبة عن إمام العصر عجّل الله فرجه ـ أمضت ذلك الحكم ونفّذته.

ومنه يتّضح السرّ في كلام صادق آل محمّد عليه السلام في الدعاء الذي علّمه زرارة[1] بعد قرونٍ من الزمن، ونحو إفادته استمرار ولاية الوليّ المعصوم في عصر الغيبة، وأنّ برهان اللّم هو الحلّ الوحيد لمشاكل المجتمع في قضايا الإمامة والولاية. والغرض: أنّ من لم يعرف المنوب عنه لا يمكنه معرفة النائب، والإمام المعصوم نائبٌ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، كما أنّ ولاية الفقيه نيابة عامّة عن الإمام المعصوم. وعليه فمن لم يعرف الوحي والنبوّة لن يعرف الإمام ولا النيابة العامّة ولا ولاية الفقيه، مع أنّ شخص الفقيه تابع للفقاهة.

فشل الثورات قبل قيام القائم عجّل الله فرجه

قال مولانا الصّادق عليه السلام: **«ما خرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحدٌ ليدفع ظلماً أو ينعش حقّاً إلاّ اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادةً في مكروهنا وشيعتنا»**[2].

---

١ . راجع الكافي ١: ٣٣٧، باب في الغيبة.

٢ . الصحيفة السجّاديّة: ١٢، ورياض السالكين ١: ١٨٨ ـ ١٩٢.



قال المتوكّل بن هارون راوي الصحيفة السجّاديّة: لقيت يحيىٰ بن زيد بن علي (حفيد الإمام زين العابدين عليه السلام) وهو متوجّهٌ إلىٰ خراسان بعد مقتل أبيه، فسلّمت عليه، فقال لي: من أين أقبلتَ؟ قلت: من الحجّ. فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة، وأحفىٰ السؤال عن محمّد بن علي الباقر عليه السلام، فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم علىٰ أبيه زيد بن علي عليه السلام. فقال لي: قد كان عمّي محمّدٌ بن علي عليه السلام أشار علىٰ أبي بترك الخروج، وعرّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره. فهل لقيتَ ابن عمّي جعفر بن محمّد عليه السلام؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعته يذكر شيئاً عن أمري؟ قلت: نعم. قال: بم ذكرني؟ خبّرني. قلت: جُعلت فداك، ماأحبّ أن استقبلك بما سمعته منه. فقال: أبالموت تخوّفني؟ هات ما سمعته. فقلت: سمعته يقول: «**إنّك تُقتل وتصلب، كما قُتل أبوك وصُلب**».

قال المتوكّل: قال زيد: والله يا متوكّل، لولا ما ذكرت من قول ابن عمّي أنّني أُقتلُ وأُصلب لما دفعتها (الصحيفة السجّاديّة بإملاء الإمام زين العابدين عليه السلام) لك... فإذا قضىٰ الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض، فهي أمانة لي عندك حتّىٰ توصلها إلىٰ ابنَيْ عمّي محمد وإبراهيم ابنيْ عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهما السلام.

قال المتوكّل: فقبضت الصحيفة، فلمّا قُتل يحيىٰ بن زيد صرت إلىٰ المدينة، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام، فحدّثته الحديث عن يحيىٰ، فبكىٰ واشتدّ وجده به، وقال: «**رحم الله ابن عمّي، وألحقه بآبائه وأجداده...**». ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «**مَا خَرَجَ وَلاَ يَخْرُجُ...**».[1]

---

١. الصحيفة السجّاديّة: ٨ ـ ١٢. إنّ هذه الروايات وإن كانت توهم بأنّ زيد بن علي رحمه الله خرج من دون إذن المعصوم عليه السلام ودون رضاه، إلاّ أنّ سائر الروايات والمصادر التاريخيّة تدفع هذا التوهّم. وللاطّلاع أكثر راجع كتاب: شخصيت وقيام زيد بن علي (شخصيّة زيد بن علي وقيامه) منشورات جامعة المدرّسين.

ويُستفاد من هذه الأخبار: أنّ من قام قبل قيام القائم وادّعىٰ الإمامة ودعا الناس إلىٰ نفسه وجمع الناس حوله أو لم يدّع الإمامة ولم يدع النّاسَ إليه إلاّ أنّ شروط الثورة لم تتوفّر بعد، فإنّ قيامه لن يكون مصيره إلاّ الفشل. أمّا من دعا الناس إلىٰ إمام زمانه ـ سواء أكان الثائر مجاهداً أم إماماً معصوماً كسيّد الشهداء عليه‌السلام ـ تهيّأت له شروط الثورة علىٰ أساس «**حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود النّاصر**»[1] ولو أدّىٰ ذلك إلىٰ شهادة مثله عليه‌السلام؛ فإنّ في ذلك عزّاً الدين وقيامه وكرامته؛ إذ لا منافاة بين الشهادة وبين ضرورة الثورة وانتصار المجاهدين في سبيل الله.

وقد نقل شارح الصحيفة السجّاديّة في مقدّمة بيانه لذلك الخبر الوارد عن الإمام الصّادق عليه‌السلام بأنّ مفاده مشروعيّة الثورة التي تتوفّر علىٰ الشروط المذكورة أعلاه، وإن كان عدد الناصرين قليلاً. لقد ورد في الحديث المذكور ما يلي:

عن سدير الصيرفي قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه‌السلام فقلت له: والله، ما يسعك القعود. فقال: «**ولم يا سدير؟**». قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك. والله، لو كان لأمير المؤمنين لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي. فقال: «**يا سدير، وكم عسى أن يكون؟**». قلت: مائة ألف. قال: «**مائة ألف؟**». قلت: نعم ومائتي ألف. فقال: «**مائتي ألف؟**». قلت: نعم ونصف الدنيا. قال: فسكت عنّي. ثمّ قال: «**يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع[2]؟**». قلت: نعم. فأمر بحمار وبغل... فسرنا حتّىٰ صرنا إلىٰ أرض حمراء

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢ . قلعة خارج المدينة تقع في مسير حجّاج مصر في منطقة كثيرة الماء والكلأ.



ونظر إلىٰ غلام يرعىٰ جداء فقال: «**والله، يا سدير لو كان لي شيعةٌ بعدد هذه الجداء، ما وسعني القعود**». ونزلنا وصلّينا، فلمّا فرغنا من الصلاة عطفت علىٰ الجداء، فعددتها فإذا هي سبعة عشر.[١]

ولـمّا وصل سيّد الساجدين عليه السلام إلىٰ الشام سأله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله: لمن كانت الغلبة؟ فأجابه: «**إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة، فأذّن ثمّ أقم**[٢]». أي: إذا أردت معرفة من غلب في الميدان عد إلىٰ الأذان والإقامة لتعرف من يذكر اسمه ممّن لا يُذكر اسمه. وإن شئت قلت: إنّ أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وإن قدّموا عدداً من فلذات أكبادهم في كربلاء قرابين في سبيل الله ـ لا سيّما حجّة الله سيّد الشهداء ـ إلاّ أنّ عاقبة ذلك لم تكن إلاّ إحياء ذكر الاسم المبارك لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله، بل إحياء لأصل الإسلام. ومعه لايُعقل أن يكون القتل والاستشهاد أو الأسر علامة علىٰ هزيمة هؤلاء القادة الإلهيّين والمجاهدين،كما أنّ الهزيمة ظاهراً ليس لها أن تكون دليلاً علىٰ عدم صحّة وإصابة ثورة هؤلاء، بل هي ـ كما أفاد القرآن الكريم ـ: ﴿**إِحدَى الحُسنَيَين**﴾[٣].

ومع أنّ في المقام روايات عديدة مفادها أنّ كلّ قيام وثورة قبل الظهور محكوم بالفشل ولا قيمة ولا أثر له، إلاّ أنّ مخالفة ما ذكر للخطوط الأصليّة للمعارف القرآنيّة والسنّة القطعيّة قد يفيد عدم اعتبار هذه الروايات؛ إذ في المقابل وردت أخبارٌ متعدّدة تحضّ علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود الإلهيّة وإحياء كلمة الله، وهي مطلقة غير مقيّدة بزمان أو مكان دون آخر، ما يجعل الحيلولة دون إحياء الدين ـ لو كانت

---

١ . الكافي ٢: ٢٤٢، باب في قلّة عدد المؤمنين، ورياض السالكين ١: ١٩٦ ـ ١٩٧.

٢ . الأمالي (الشيخ الطوسي): ٦٧٧، المجلس ٣٧.

٣ . سورة التوبة، الآية: ٥٢.

الظروف مهيّئةً لذلك أو دعت الضرورة إلىٰ ذلك ـ أمراً بعيداً عن الصواب وزعماً باطلاً آفلاً.

ثمّ إنّ الإفتاء بحرمة إقامة الحكومة الدينيّة في عصر الغيبة لايعني إلاّ الإفتاء بحاكميّة القوانين غير الإلهيّة وبحكومة أفراد غير لائقين علىٰ زعامة الأُمّة الإسلاميّة، وهو ممّا لا يرضى به الله تعالىٰ ورسوله الأكرم ﷺ.

ومنه ظهر: أنّ قيام الثورة الإسلاميّة في إيران كان قياماً مباركاً؛ إذ لم يكن قائدها يدعو إلىٰ نفسه بحالٍ، مع أنّ شروط القيام والإقدام علىٰ تشكيل الحكومة الدينيّة كانت متوفّرة لديها. وقد انتهىٰ هذا القيام المقدّس إلىٰ تشكيل حكومة غيّرت المعادلات السياسيّة العالميّة، ومثّلت قدوةً لحركة عددٍ كبيرٍ من المسلمين وسائر البشر؛ لغرض الإفادة منها والنسج علىٰ منوالها. لقد دعت هذه الثورة الناس إلىٰ إمامة صاحب العصر ﷺ، واجتمع تحت ظلّها القائد والرعيّة، فقالوا بصوتٍ واحدٍ بأنّهم أُمّة صاحب العصر ﷺ وأنّه إمام هذه الأمّة. وعليه يُنسب كلّ جهد وكلّ نجاح حقّقته هذه الأُمّة إلىٰ إمامها صاحب العصر ﷺ، وهي التي تنتظر بفارغ الصبر لحظة تسليم مقاليد الحكم وراية النظام الإسلامي إلىٰ هذا الإمام حال ظهوره.

توهّم انحصار الدفاع عن حريم الدّين في إمام العصر ﷺ

وفي قبال طائفة الموحّدين السائرين علىٰ أساس تعاليم القرآن والعترة القائلين بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات المسلّمة، بل من آكد الفرائض الباعثة علىٰ إحياء وإقامة الأحكام الإلهيّة، كما أنّ الإعراض عنها سببٌ في نقص الهداية والسقوط في تيه وادي الضلالة والوقوع تحت طائلة خوفين (خوف من الله ومن خلق الله)، هناك طائفة ترىٰ أنّ علىٰ البشر في عصر غيبة



إمام العصر ﷺ أن يطأطؤوا رؤوسهم ويهتمّوا بأُمورهم الخاصّة دون غيرها. وقد استندت هذه الطائفة إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُم أَنفُسَكُم لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهتَدَيتُم﴾[١] للقول بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن حريم الإسلام والجهاد في سبيل الله وفي سبيل حفظ الدين موكولٌ إلى زمن ظهور صاحب العصر ﷺ، فيتصرّف كلّ فردٍ وطائفة قبل ظهوره وفق ما يراه صالحاً وعلى كلّ أهل دينٍ وملّةٍ السير بما ينسجم مع اعتقاداتهم الشخصيّة، وعلى ذلك السير يحشرون، ومعه فالاهتمام بسيرة الآخرين وسيرهم أمر لا طائل تحته، بل لامعنى له.

ويدرك كلّ عاقل بأنّ هذا الكلام ليس إلاّ مغالطة و سفسطة؛ إذ لا يشكّ اثنان في أنّ تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع والجهاد وسائر تعاليم القرآن القطعيّة يغلق الباب أمام هداية الفرد، فلا يقال بأنّ ضلال من ضلّ بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يضرّ بإيمان من آمن؛ لوضوح أنّ تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع والجهاد أو غيرها من الأحكام الإلهيّة لن يكون قائماً بالقسط، فهو ليس بمهتدٍ، بل هو من الضالّين المضلّين.

الثورة الإسلاميّة مرآة للثورة المهدويّة ﷺ

قد يشكّك بعض الأفراد في أنّ هذه الثورة وذلك التغيير يمكن أن يشكّل بداية العصر المهدوي على يد عددٍ يسيرٍ من تلامذة الإمام عليه السلام وجنوده وخواصّه ويبشر بالنهاية بتغيير النظام الحاكم على الكون، كما قد يستبعد آخرون بدء هذا التحوّل العظيم الذي يقف وراءه ظاهراً عدّةٌ قليلةٌ من الأنصار.

---

١ . سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

وأنت خبير بأنّ الثورة الإسلاميّة في إيران مثال واضح يبيّن إمكان وقوع القيام بتلك الحركة العظيمة؛ إذ أوضحت الثورة الإسلاميّة العظيمة بقيادة الإمام الراحل رحمه الله بأنّه يمكن بالاعتماد على ثلّةٍ قليلةٍ لتحقيق قيام مهيب وحركة عظيمة ضدّ الظلم والطغيان، وإحياء القلوب الهامدة، وإسقاط نظام الطاغوت، فيكون هذا القيام شاهد صدق على سطوع شمس الحكومة الإلهيّة الإسلاميّة.

لقد مثّلت هذه الحركة الحاسمة التي ساهم فيها الأطفال والشيوخ وسائر أطياف المجتمع بأياد مجرّدة خالية من وسائل القوة ـ وإن كانوا مسلّحين بسلاح الإيمان واليقين بالنصر الإلهي ـ ثورة عظيمة على مستوى العالم، ما دفع بعض وسائل الإعلام الأجنبيّة أن تكتب تحت صور الإمام الخميني رحمه الله في منفاه في باريس مايلي: هذا المنفي قد أزعج الشرق، وحيّر الغرب، وشغل العالم. والحقّ: أنّ هذا الرجل العظيم لم يغيّر إيران والشرق الأوسط فحسب، بل شغل أذهان البشر في العالم، فتلألأ الكون بأنواره، ووقع تحت أسر حرارة ثورته المباركة.

فإن كان لنائب من نوّاب إمام العصر عجّل الله فرجه كالإمام الراحل رحمه الله هذه القدرة، فلا شكّ في أنّ للوجود المبارك لوليّ الله الأعظم عجّل الله فرجه القدرة على تغيير العالم وتسخيره بواسطة ٣١٣ ناصراً ومريداً ـ كالإمام الراحل رحمه الله وغيره ـ وإن التحق سائر الناس بركب أصحاب إمام العصر عجّل الله فرجه وأنصاره وأوليائه لاحقاً.

وعلى هذا الضوء تكون الثورة الاسلاميّة العظيمة من جهات متعدّدة مرآة للثورة المهدويّة العالميّة. ولا شكّ أنّ الثورة المهدويّة العظيمة نقطة تحوّل في التاريخ، كما أنّ مصداقها المصغّر كان كذلك نقطة تحوّل تاريخي. إلاّ أنّ نقطة التحوّل التي أحدثتها الثورة الإسلاميّة بالقياس إلى نقطة التحوّل التي تحدثها

الثورة المهدويّة العالميّة من قبيل قطر الندىٰ في قبال البحر الصاخب[١]. كما أنّ الأنبياء عليهم السلام وإن شكّلوا نقطة تحوّل تاريخي في عصورهم، إلاّ أنّ نقطة التحوّل هذه مقارنةً بالثورة المهدويّة كالندىٰ بالإضافة إلىٰ البحر الزاخر. والوجه فيه: أنّ الثورة الّتي تغيّر العالم وتملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً تمثّل نقطة تحوّل شاملة عالميّة. وإليه الإشارة في ما أفاده مولىٰ الموحّدين علي عليه السلام ـ كما مرّ ذكره آنفاً ـ بالقول: «**يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي**»[٢].

ثمّ إنّ للثورة المهدويّة أثراً علىٰ القلوب؛ إذ تخرجها من حبّ الأنا والهوىٰ إلىٰ حبّ الله الواحد الأحد، فتحيل ظلمة الجهل والضلال إلىٰ نور الهداية والعلم، وتبدّل الخوف والاضطراب بالشجاعة والثبات. ويمكن ملاحظة مثالٍ لها في ما حصل من تحوّل إبّان اندلاع الثورة الإسلاميّة في إيران بقيادة الإمام الخميني رحمه الله من خلال الثبات علىٰ المقاومة طيلة ثمان سنوات من الدفاع المقدّس.

إنّ أُولئك الذين يشمّون رائحة أبنائهم الشهداء ويقبّلون جباههم ثمّ ينطلقون بأنفسهم إلىٰ جبهة القتال مصاديق بارزة لقوله تعالىٰ: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾[٣]؛ وذلك أنّه حصل تغيّر وتبدّل في قلوبهم، ما دفعهم إلىٰ نحت أبهىٰ

---

١ . قال الحافظ الشيرازي في ديوانه (غزل ٤٧١):

قياس كردم و تدبير عقل در ره عشق   چو شبنمى است كه بر بحر مى كشد رقمى

أي: تأمّلت فأدركت أنّ سلوك طريق العقل لنيل العشق

عقيمٌ جدّاً كسقوط قطر الندىٰ في البحر

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨

٣ . سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

صور الإيثار والفداء. إنّ شدّة الشوق القلبي والحماس الكبير والإحساس غير القابل للوصف والتواجد في الصفوف الأماميّة للقتال والدفاع عن التعاليم المقدّسة وعن حريم الإسلام وحفظ كيان جمهوريّة إيران الإسلاميّة إلى جانب التعلّق الشديد بالشهادة والابتعاد عن أسر مظاهر الحياة الطبيعيّة لا يمكن تصوّره وتحقّقه إلاّ من خلال قوله تعالى: ﴿يَهدُونَ بِأَمرِنا﴾[1] ضمن تحوّل جذري للقلوب. لقد كان أُولئك الرجال جند الله الذين ادّخرهم تعالى لوقت الشدّة، فحين تفتر العزائم يأتيهم الإلهام الباطني، فيتركون حياة الدعة، ويساقون إلى الشهادة والفداء، ما يفضي إلى التحقّق العيني للجهاد الّذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿لَو كُنتُم فِي بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِم القَتلُ إِلَى مَضَاجِعِهِم﴾.[2]

القرآن ملهم الشهداء تعاليم عصر الغيبة

ولا يتمّ العروج الملكوتي لروح الشهيد إلاّ بالاستعانة بالفكر النيّر والاستمداد الخالص من الله تعالى شأنه. إنّ السالك طريق الشهادة يتزوّد بزاد اسمه معرفة الله ونصرة الدين، وطيّ ساحة الإيثار رأس مال عنوانه الهجرة من التكاثر إلى الكوثر والشوق إلى لقاء الله. وإنّما تتحقّق هذه النعم في ظلّ الوحي الإلهي و ولاية أهل بيت العصمة.

وحين قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِءَ القُرءَانُ فاستَمِعُوا لَهُ وانصِتُوا﴾[3] كان الشهداء الصادقون على أهبّة انتظار تلقّي البيان الإلهي. وحين قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشتَرَى مِنَ المُؤمِنِينَ انفُسَهُم وَأَموَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ

---

١ . سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

٢ . سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

٣ . سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

﴿فَيَقتُلُونَ وَ يُقتَلُونَ﴾[١] كانوا مستعدّين لشراء بضاعة المال والنفس. وحين قال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا استطَعتُم مِن قُوَّةٍ﴾**[٢] أعلنوا بكلّ إخلاص استعدادهم الكامل للمواجهة. وحين قال تعالى: **﴿وَقَـتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾**[٣] رحّبوا بكلّ أنحاء قتال الاستعباد والاستعمار والاستغلال والاستبداد و... . وحين قال تعالى: **﴿وَيُرِيدُ الله أن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقطَعَ دَابِرَ الكَـفِرِين * لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبطِلَ البَـطِلَ وَلَو كَرِهَ المُجرِمُون﴾**[٤] لم يكن لهم من هدف سوى إحقاق الحقّ وإبطال الباطل. وحين قال تعالى: **﴿فَقَـتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفرِ إِنَّهُم لاَ أَيمَـنَ لَهُم لَعَلَّهُم يَنتَهُون﴾**[٥] فهموا منه أنّ أعداء المجتمع البشري مصّاصوا دماء مستكبرون لا يمين لهم ولا قسم ولا عهد ولا ميثاق ولا التزام بالمواثيق الدوليّة. مع أنّه يمكن لمن لا إيمان له أن لا يؤذي غيره، إلاّ أنّ الذين لا أيمان له ذئاب بشريّة تمتصّ دماء الناس في حالة غضب شديد. وحين قال الله تعالى: **﴿إنفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَـهِدُوا بِأَموَالِكُم وَأَنفُسِكُم فِي سَبِيلِ الله ذَلِكُم خَيرٌ لَكُم إِن كُنتُم تَعلَمُون﴾**[٦] سعى هؤلاء جاهدين إلى شراء أنفسهم وأموالهم. وأمّا الذين لم يتسنّ لهم الجهاد والشهادة فقد كانوا مثالاً بارزاً لقوله تعالى: **﴿تَوَلَّوا وَأَعيُنُهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُون﴾**[٧] ففاضت عيونهم بدمع الحسرة على تخلّفهم عن ركب الشهادة. وحين قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ**

---

١ . سورة التوبة، الآية: ١١١.

٢ . سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

٣ . سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

٤ . سورة الأنفال، الآيتان: ٧ ـ ٨.

٥ . سورة التوبة، الآية: ١٢.

٦ . سورة التوبة، الآية: ٤١.

٧ . سورة التوبة، الآية: ٩٢.

جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَـٰفِقِينَ وَاغلُظ عَلَيهِم وَمَأوَاهُم جَهَنَّمَ وَبِئسَ المَصِير﴾[1] شاركوا في مجاهدة الكفّار والمنافقين، فحدّدوا العدوّ الداخلي (المنافق) كما شخّصوا العدوّ الأجنبي (الكافر) وسعوا إلى اتّقاء شرّهما. وحين قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم﴾[2] سلكوا طريق تعاليم عصر غيبة بقية الله ﷻ، واتّبعوا نوّابه الحقيقيّين، وامتثلوا أوامرهم. والحاصل: لقد سعى هؤلاء الرجال إلى تطبيق كلّ ما تعلّموه من القرآن، وعملوا به بكلّ إخلاص، وتبرّؤوا ممّا عداه من مسالك ومزالق.

حول شرط تمهيد الثورة الإسلاميّة للثورة المهدويّة

ثمّ إنّ هذه الثورة العظيمة التي كانت ثمرةً لمجاهدات ثلّة طيّبة من الشباب والأنصار والنساء والرجال الذين أنجبتهم هذه الأرض الطيّبة المعطاءة تحت قيادة نائب إمام العصر ﷻ الإمام الراحل ﵀ لم تكن الاّ تمهيداً لظهور ذلك الوجود المبارك. إلاّ أنّ الّذي لاينبغي الذهول عنه هو أنّ هذا النظام المقدّس إنّما يكون ممهّداً لظهور بقيّة الله ﷻ حينما يكتب رجال العلم والثقافة في هذا النظام الآليّات العلميّة الصحيحة، وتحافظ عليها الأجيال، وتعمل الأعمال الصالحة على ضوء المعارف الإلهيّة وأحكام الإسلام النوريّة، وتتخلّص من اللباس القديم البالي الّذي ساد عهد الطاغوت البائد، وتبتعد عن الصور الجاهليّة المعاصرة للحداثة، حتّى تتحقّق التجربة العمليّة للجمهوريّة في محضر الإسلام الأصيل بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، فتُعرض للعالم في أبهى حلّةٍ وصورةٍ.

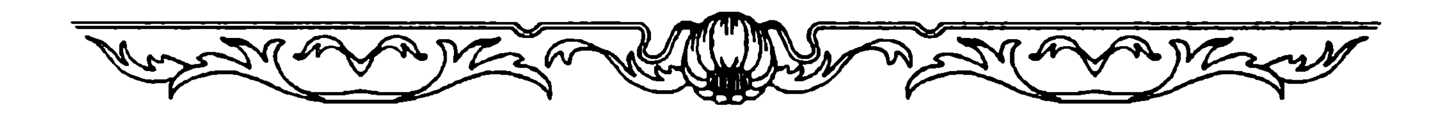
* * *

١ . سورة التوبة، الآية: ٧٣.

٢ . سورة النساء، الآية: ٥٩.

الفصل الثاني:

حقيقة الانتظار



انتظار الفرج

لم يزل ولا يزال فرج صاحب العصر ﷺ أحد أكبر آمال أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو سبب فتح باب الأمل على المستقبل، والوسيلة إلى الحركة والسعي والدوام على النشاط والحيويّة اللازمة في المجتمع الإسلامي. والاعتقاد بحتميّة ظهوره ولزوم الانتظار أمر هامّ في طريق تحقّقه. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أنّ أفضل أعمال المسلمين هو انتظار الفرج: «**أفضل أعمال أُمّتي انتظار الفرج من الله (عزّ وجلّ)**».[1] كما أنّ أهل البيت عليهم السلام اعتبروا أنّ أكمل مصداق لهذا العنوان الكلّي هو انتظار فرج صاحب العصر ﷺ؛ لأنّ ظهوره يمثّل نقطة انطلاق وتحرّر جذري لعباد الله الصالحين في الأرض.

---

١ . كمال الدين ٢: ٣٥٧، الباب ٥٥، وبحار الأنوار ٥٢: ١٢٨، الباب ٢٢.



قال عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الحسني: دخلت على سيّدي محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأنا أُريد أن أسأله عن القائم ما هو: المهدي أو غيره؟ فابتدأني فقال لي: **«يا أبا القاسم، إنّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر في غيبته، ويُطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي. والذي بعث محمّداً بالنبوّة وخصّنا بالإمامة، إنّه لو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت جوراً وظلماً. وإنّ الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلةٍ، كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً، فرجع وهو رسولٌ نبي»**. ثمّ قال عليه السلام: **«أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»**.[1]

الانتظار في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

فقد تبيّن: أنّ ظهور المنجي في آخر الزمان عقيدة عالميّة يعيش البشر جميعاً على أمل تحقّقها. ومع الغضّ عن أنّ الآخرين عقدوا آمالهم على هذا المنجي، فإنّ الأُمّة الإسلاميّة ـ انطلاقاً من تعاليم نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله ـ لا تؤمن بظهور منجٍ عدا الوجود المبارك للمهدي عجل الله فرجه. إلاّ أنّ هناك من حفظ من هذه الأُمّة درس المهدويّة في مدرسة عترة نبي الإسلام، كما كان هناك في المقابل من أخذ العلم من غير أهله، فكانت عقيدته بتراء.

ثمّ إنّ هناك اختلافاً كبيراً بين عقيدة الانتظار لدى أتباع أهل بيت العصمة والطهارة وبين عقيدة الانتظار لدى غيرهم؛ وذلك أنّ الفرقة الناجية في حال

١ . كمال الدين ٢: ٤٩، الباب ٣٦.



انتظار بزوغ شمس الموجود المستور، وأمّا الآخرون فينتظرون منتظراً معدوماً. ففي عقيدة الإماميّة الحقّة المهدي الموعود عليه السلام موجودٌ، بينما يؤمن الآخرون بأنّ المهدي موعودٌ، إلاّ أنّه غير موجود. وعليه يكون الاختلاف بين معنيي الانتظار حسبما تقدّم كالاختلاف بين الوجود والعدم، فلا يمكن تحديد حدود الاختلاف بينهما بحدٍّ؛ نظراً إلى أنّ أحدهما كحّل ناظريه بجمال وجود البدر، فيما اكتفى الآخر بالنظر إلى السماء الخالية من ضياء القمر.

أفق أيّها القلب المعذّب في كلّ آنٍ
فيك الداء لا في المرآة، فعليك بإصلاح نفسك أوّلاً
عندما ذهب إلى غيابة الجبّ رأى القمر بازغاً
فناداه القمر: هاهنا أنا، فلا تعجل
لا ترقب البدر في قعر الظلمات؛ إذ لا وجود للعدم
كما لا ترقب اللوز والسكّر بعد غرس الحنظل العلقم[1]

وليعلم: أنّ في المقام أخباراً متعدّدة وردت في تبيين المعنى الحقيقي للانتظار. فمنها ما رواه أبو بصير عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «**ليُعِدَنَّ أَحدُكُم لخروج القائم ولو سهماً...**».[2] ويُستفاد من هذه الرواية أنّ من أراد أن يكون منتظراً

---

١ . ديوان شمس التبريزي، رقم ١٣٣٨.

يقول: دلا خود را در آيينه، تو كژ بينى هر آيينه
تو كژ باشى نه آيينه، تو خود را راست كن اول
يكى مى رفت در چاهى، چو در چه ديد او ماهى
مه از گردون ندا كردش من اين سويم، تو لاتعجل
مَجو مه را درين پستى كه نبود در عدم هستى
نروید نیشکر هرگز، چو کارد آدمی حنظل

٢ . الغيبة (النعماني): ٣٢٠، الباب ٢١، وبحار الأنوار ٥٢: ٣٦٦، الباب ٢٧.

حقيقيّاً للوجود المبارك للمهدي ﷺ، فعليه أن يعدّ العدّة لذلك الظهور، ولو أعدّ لذلك سهماً.

ومع التأمّل في هذه الرّواية الشريفة يمكن أن يُستفاد أيضاً بأنّ الإنسان ما لم يكن أهلاً للقتال والجهاد، فلا يمكن أن يعتبر نفسه من زمرة المنتظرين لظهور الحجّة ﷺ، وإليه الإشارة فيما ورد في الأدعية النوريّة في ليالي شهر رمضان المبارك من القول: «**وقتلاً في سبيلك مع وليّك فوفّق لنا**».[١]

فقد ظهر: أنّ من رغب في أن يعدّ من زمرة المريدين لظهور صاحب العصر ﷺ والآملين في تحقّق الإصلاح على يد ذلك المصلح العالمي، إلاّ أنّه ليس من أهل الجهاد والمجاهدة، فهو كمن يجري خلف السراب، فهو بعدُ ليس من المنتظرين الحقيقيّين. والوجه فيه: أنّه يتوهّم أنّه في حال انتظار ظهور إمام العصر ﷺ من دون أن يدفع ثمن الصعاب والآلام المترتّبة عليه؛ لأنّه لايرغب في حدوث ألمٍ أو مشقّةٍ له في هذا الطريق، مع أنّ الانتظار الحقيقي للظهور بمعنى الاستعداد وإعداد العدّة اللازمة على جميع الأصعدة، بما في ذلك النواحي العسكريّة والقتاليّة والجهاد في سبيل الله.

مع أنّه لايخفى: أنّ الإمام الحجّة ﷺ سيخوض بعد الظهور حروباً، فمن كان له القدرة على القتال كان من أنصاره وأعوانه، وأمّا من لا دراية له في القتال والجهاد فلن يقدر على نصرته، ولن يكون في حضوره نفعٌ، بل قد يكون عالةً على غيره.

وعلى صعيد الجهاد العلمي يُلاحظ أنّ من لوازم الانتظار التسلّح بسلاح القلم والخطابة، وفي المجال العملي ينبغي التسلّح بمختلف فنون القتال وأحدث

---

١ . إقبال الأعمال: ٣٨١، الباب الخامس، وبحار الأنوار ٩٥: ١١٧، الباب ٦.

طرقها. أمّا من جمع بين فنون هذين الميدانين وتسلّح بكل ما يناسب هذين الحقلين من سلاحٍ وعدّةٍ، فقد نال أجر هذين الجهادين: ﴿طُوبَى لَهُم وَحُسنُ مَآب﴾.[1] ولا يخفى أنّ جزءاً هامّاً من النصر الذي سيتحقّق على يد صاحب العصر ﷻ مرهون بالتقدّم الفكري والثقافي للمجتمع البشري.

والحاصل: أنّه يلزم توافر أتباع أهل البيت عليهم السلام على المعنى الحقيقي لانتظار الموجود الموعود، كما ينبغي التسلّح بسلاحي العلم والإيمان لغرض المجاهدة في سبيل الله.

ثمّ إنّ لهذه العبادة العظيمة مصاديق متعدّدة تتجلّى في كلّ مجالٍ من مجالات الانتظار بتجلّ خاصّ وتظهر بنحو مختلف عن ظهورها في المجال الآخر. ولعلّ ظهور هذه العبادة أوضح في المجال الثقافي الذي يشكّل الأرضيّة الممهّدة لبزوغ شمس المهدويّة والعامل المؤثّر في إنجاز الوعد الإلهي. ومن هذا المنطلق يكون لوجود فهم صحيح للانتظار في هذا السياق دورٌ كبيرٌ في تصحيح ثقافة الانتظار.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**رحم الله عبداً حبس نفسه علينا. رحم الله عبداً أحيا أمرنا**».[2]

وهذا الكلام النوري مثالٌ واضحٌ لتجلّي الانتظار الحقيقي في المجال الثقافي؛ لمكان أنّ الإنسان المنتظر عليه الالتزام بدائرة الأوامر والنواهي الإلهيّة والتقيّد عمليّاً بما جاء به القرآن والعترة.

---

١ . سورة الرعد، الآية: ٢٩.

٢ . المحاسن ١: ٢٧٨، الباب ٣٨، كمال الدين ٢: ٦٤٤، الباب ٥٥، وبحار الأنوار ٥٢: ١٢٦، الباب ٢٢.



وينبغي ـ مضافاً إلىٰ أهمّيّـة سعي المنتظرين الحقيقيّين لبقيّة الله ﷺ ـ أن نؤكّد أيضاً علىٰ ضرورة إحياء معارف ومآثر القرآن والعترة عليهم السلام. والغرض: أن يحيي المنتظر العارف بوليّ الله الأعظم ﷺ نفسه علىٰ أساس معرفته وأن يحبس نفسه ضمن دائرة أوامر العترة؛ حتّىٰ ينال الفيض الإلهي في باطنه، ثمّ يتجلّىٰ ذلك في ظاهره.

شروط تحقّق الانتظار بمعناه الحقيقي

لا يسعىٰ الإنسان إلىٰ انتظار شخص أو شيء إلاّ إذا كان يترقّب منه أمراً مّا؛ ونظراً إلىٰ أنّ ما كان مجهولاً لديه يعدّ بالنسبة إليه أمراً غريباً، فلا يتعلّق به قلبه بسهولةٍ. وفي المقابل بقدر ما تكون المعرفة أجلىٰ وأصوب، بقدر ما يكون انتظار ذلك أعمق وأقوىٰ وحقيقته أعلىٰ.

والناس في عصر غيبة الوجود المبارك لصاحب العصر ﷺ إمّا أن يكونوا من زمرة المنتظرين وإمّا أن يكونوا من جملة غير المنتظرين، أعني: من المتحيّرين في وادي الضلالة والجاهليّة.

نعم، لاشكّ أنّ الأرض مستنيرة بنور مصباح الهداية وضياء الإمام المعصوم عليه السلام، وأنّ الخلائق في ضيافة مائدة الرحمة وواسطة الفيض ـ أعني: الإنسان الكامل ـ بلا انقطاع. وقد أشارت جملةٌ من الروايات إلىٰ هذا الأصل الأصيل. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادلٍ**».[1] لقد كان الوجود المستمرّ للإمام المعصوم والخليفة الإلهي مورد تأكيد في أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام حتّىٰ قال صاحب العصر

---

١ . الكافي ١: ١٧٨، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّةٍ.

والزمان ﷺ: **«لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت»**.[1] وقال أيضاً: **«لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّةٍ لله فيها: ظاهرٍ مشهورٍ أو غائبٍ مستورٍ. ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّةٍ لله فيها. ولولا ذلك لم يعبد الله»**.[2]

وعلى هذا الأساس يرتكز الاعتقاد الراسخ لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام على هذا المبنى الحاكم، أعني: أنّ الأرض لا تخلو من حجّةٍ، وأنّه في كلّ عصرٍ هناك إمامٌ معصومٌ يعيش بين عباد الله، ويكون خليفةً لله وحجّةً له على عباده. ولذا تشكّل ولادة الحجّة الغائب المهدي الموعود و وجوده عقيدةً راسخةً وعميقةً عندهم. كما أنّ وجه الاختلاف بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم من المؤمنين بظهور المنجي الموعود ـ كما تقدّم سابقاً ـ في أصل وجود الموعود، وإلاّ فإنّ من عداهم يعتقد أيضاً بالمنجي الموعود.

ثمّ إنّه بعد الاعتقاد بوجود الموعود، يلزم معرفته وعرض الإنسان روحه ونفسه عليه وعلى خدمته؛ لغرض تعميق حقيقة الانتظار. وإليه الإشارة فيما أفاده رسول الله ﷺ من أنّ حياة وموت من لا يعرف إمام زمانه حياةٌ وميتةٌ جاهليّةٌ: **«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً»**.[3] والسرّ فيه: أنّ الموت عصارة الحياة، وكلّ فرد يموت على وفق ما حيي عليه، ومن مات ميتةً جاهليّةً يكون قد عاش كذلك؛ إذ لا يمكن لمن يعيش حياةً عقليّةً أن يموت ميتةً جاهليّةً. وتشير الآيات القرآنيّة إلى جملة من التعاليم التي تؤكّد على ضرورة أن يعيش المسلم حياةً عقليّةً، فاطماً نفسه عن الحياة والموت الجاهليّين.

---

١ . الكافي ١: ١٧٩، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّةٍ.

٢ . كمال الدين ١: ٣١٤، الباب ٢١.

٣ . الكافي ٢: ٢١، باب دعائم الإسلام.

لقد أوصى الأنبياء الناس جميعاً بالموت على الإسلام، كما ورد في القرآن الكريم على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام ويعقوب عليه السلام. قال تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا ابرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَـبَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصطَفَى لَكُم الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَانتُم مُسلِمُون﴾[١]. كما يوصي الله المؤمنين بأن لا يموتوا إلاّ مسلمين: ﴿يَـأَيُّهَا الذِّينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنَّ إِلاَّ وَانتُم مُسلِمُون﴾[٢] فمن لم يعش في ظلمات الجاهليّة بل عاش حياةً طوبى عقليّة، فقد عرف إمام زمانه معرفة صحيحة، و أدرك أنّه مظهرٌ لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت﴾[٣] فيكون زمام تمام الأمور بيده بإذن الله. وفي ظلّ هذه المعرفة ينجو من الحياة والموت الجاهليّين، وينال حياةً عقليّةً، كما ينال الموت على الإسلام، فيكون في حياته منتظراً حقيقيّاً لإمام زمانه.

وممّا يجدر ذكره ـ كما تقدّم سابقاً ـ :أنّه ليس المراد بمعرفة الخليفة الإلهي وإمام كلّ عصر مجرّد المعرفة الأوّليّة القائمة على أساس معرفة حسبه ونسبه إلى جانب المعرفة التاريخيّة له، فيكون المرء على معرفة باسم الإمام ونسبه وتاريخه، فيتوهّم أنّه نال المعرفة الباعثة على الحياة والإحياء المنجية من الموت الجاهلي. بل الحياة العقليّة ثمرةٌ لمعرفة الإمامة والاعتقاد بالولاية ومعرفة الشخصيّة الحقيقيّة للإمام مع طاعته، وإلاّ فإنّ الحكّام الذين انتخبوا في السقيفة وطواغيت الشام وأعداء الإنسانيّة الذين مهّدوا لفاجعة كربلاء وحكّام الجور وسفّاكي الدماء من المروانيّين والعبّاسيّين و... كانوا أعلم من غيرهم بالجهات السطحيّة و الشؤون الفرعيّة لأئمّة عصورهم.

---

١ . سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
٢ . سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
٣ . سورة الرعد، الآية: ٣٣.



مع أنّ لحقيقة الانتظار التي هي من أعظم العبادات انسجاماً مع الأمل وافتراقاً عن الرجاء المذموم المحض. لقد صرّح القرآن الكريم بأنّ الأمنية من الخرافات: ﴿لَيسَ بِأَمَانِيِّكُم وَلاَ أَمَانِيِّ أَهلِ الكِتَابِ﴾.[١] والأُمنية هي ذلك الرجاء الذي لا يرافقه عملٌ وسعي دؤوبٌ. وأمّا الرجاء فهو ثمرة قابلة للنموّ منسجمة مع المقدّمات، من قبيل رجاء أُمّ في نموّ ورشد ابنها و رجاء غارس شجرةٍ في ازدهار زرعه ؛ فإنّ من انعقد لها هذا الرجاء لم تقصّر في إرضاع ابنها ومدّه بوسائل النموّ اللازمة أو تعهّد هذه النبتة الطريّة بما يساعد على اشتداد عوده على النموّ والرسوخ ومدّها بجميع ما تحتاجه من سماد وماء وعناية. قال رسول الله ﷺ: «**الأمل رحمةٌ لأُمّتي. ولولا الأمل ما رضعت والدة ولدها ولا غرس غارسٌ شجراً**».[٢]

قيمة الانتظار وكرامة المنتظر

ترتبط قيمة الانتظار بقيمة المنتظر، وحرمة الترقّب بمقدار تأثير المترقّب، مع أنّ لصاحب العصر عليه السلام تأثيراً أعمّ من معارف الوجود والعدم، كما أنّ المسائل الباحثة عن ما ينبغي وما لا ينبغي وما يتوسّط بينهما أعمّ من الإنسان وغيره، ونصاب قدرته هو تغيير الظلم والجور الذي لوّث العالم بالعدل والقسط، واستحالة جهنّم الحارقة بنار القوى التي كانت سبباً في امتلاء حياة البشر بغبار الظلم ودخان الطغيان بيد الإنتقام الإلهي إلى نار هامدة، لتبنى على أنقاضها جنّة مشفوعة بالمساواة والعدل والأُخوّة والإنصاف. ومعه تكون ساحة انتظار المنتظرين شاملة لدائرة البشريّة جمعاء؛ وذلك أنّ جميع البشر يعيشون على شعاع أمل بزوغ شمس العدل والحرّيّة، وقد عال صبرهم على مشاهدة هذا الطلوع.

---

١ . سورة النساء، الآية: ١٢٣.

٢ . أعلام الدين ٢٩٥، فصل من كلام سيّدنا رسول الله ﷺ، وبحار الأنوار ٧٤: ١٧٣، الباب ٧.

متىٰ كانت المعرفة في قديم الدهر حجاباً مانعاً؟
أنت وإن كنت غائباً عنّي، إلاّ أنّني أنظر إليك
أنت أملي، بل أنت غاية رغبتي
فلن أفقد الأمل بك حتّىٰ أعلق بذيلك[1]

أفضل الطرق أرقى الانتظار

إنّ أسمىٰ نحوٍ من أنحاء الانتظار هو ما كان ممتزجاً مع روح المنتظِر بحيث يسري في كلّ كيانه، إلىٰ أن يغلب عليه نور العقل الذي يرفع عنه كلّ أشكال ظلمات الغفلة أو الذهول عن الظهور، ومعه يسلّم قلبه إلىٰ من يحوّل هذا القلب بإذن الله علىٰ سنّة قوله تعالىٰ: ﴿يَهدُونَ بِأمرِنَا﴾.[2] إنّ مثل هذا المنتظر الواعي يشعر بحلاوة السعي في طريق الانتظار، فلا يؤثّر في قلبه أيّ حادث يحصل له في هذا الطريق العذب في الدنيا قبل الآخرة: ﴿أَلاَ إِنَّ أَولِيَاءَ الله لاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُون﴾[3].

ولعلّ أفضل طريق لنيل هذا المقام العظيم أن يكون الإنسان مترقّباً لأمر غيبي لعلّه يصيب نسيماً عليلاً يكشف عن ستار عالم الشهادة، فينال شهود ما وراء الستار.

لقد كشف أولياء الله عن ستار الغيب، ثمّ أشاروا لنا إلىٰ ما يوجد من علم مغيّب عنّا، وهو ما كان عليه أئمّتنا عليهم السلام، إلاّ أنّه لايمكن لنا ـ نحن العاجزون ـ

---

١ . ديوان سعدي، رقم ٤٠٦.

يقول: معرفتِ قديـم را، بُعد حجاب كى شود؟ گرچه به شخص غايبى، در نظرى مقابلم
آخرِ قصد من تويى، غايت جهد و آرزو تـا نرسـم، ز دامنت دستِ اميـد نگسلم

٢ . سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

٣ . سورة يونس، الآية: ٦٢.

أن ننال هذا الكشف والشهود بأنفسنا. نعم، غاية ما يمكننا فعله أن تكون لنا عيون مفتوحة، وأن نبتعد عن نوم الغفلة، وأن نقبع قبالة الستار؛ لعلّنا نصيب نسيماً يرفع من أمامنا هذا الستار، لنشهد ما يقع خلف الستار: «**إنّ لربّكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها**».[1]

شهود إمام الزمان عجّل الله فرجه ومشهده

إنّ شهود جمال طلعة المهدي البهيّة عجّل الله فرجه أمل المشتاقين ورجاء المنتظرين جميعاً. فمن أجهد نفسه وتحمّل ألوان المشاقّ والرياضات ليلاً ونهاراً في سبيل الوصول إلى نيل هذه السعادة القصوى، قال بلسان الحال و المقال: «**اللّهمّ أرني الطلعة الرشيدة**».[2] إلاّ أنّ من المشتاقين من كان من ذوي المعرفة، فيتوجّه وجهه لشهود الإمام عليه السلام، فيكون مشهوداً لوجوده المبارك حتّى ينال مقام: «**ترانا ونراك**».[3] والسرّ فيه ما تقدّم من: أنّ الإمام المعصوم عليه السلام لـمّا كان مظهراً لجميع الصفات العليا والأسماء الإلهيّة، كان مظهراً لاسمي البصير والشهيد.

وليُعلم: أنّ النظر لدى الذات الإلهيّة المقدّسة على نحوين ومرتبتين:

الأولى: النظرة العامّة، وإليها الإشارة في جملة من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿**بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾[4] و ﴿**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[5] و ﴿**بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[6]

---

١ . عوالي اللآلي ٤: ١١٨، الجملة الثانية، وبحار الأنوار ٦٨: ٢٢١، الباب ٦٦.

٢ . البلد الأمين: ٨٣، الصلاة في يوم الجمعة.

٣ . إقبال الأعمال: ٦٠٧، دعاء آخر بعد صلاة العيد... .

٤ . سورة الملك، الآية: ١٩.

٥ . سورة المائدة، الآية: ١١٧.

٦ . سورة البقرة، الآية: ٢٩.

و﴿لاَ يَعزُبُ عَنهُ مِثقَالُ ذَرَّةٍ﴾.[١] وعلىٰ هذا الأساس لا يوجد شيءٌ في العالم خارجٌ عن سيطرة الله تعالىٰ وعن بصره ونظره.

الثانية: النظرة الخاصّة التي يفيض بها علىٰ أوليائه دون غيرهم؛ وذلك أنّ الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ من غضب عليهم: ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُم اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيهِم يَومَ القِيَـٰمَةِ﴾.[٢] ولعلّ إلىٰ هذه النظرة الإشارة فيما نطلبه من الذات المقدّسة في الأدعية المختلفة: «**وانظر إلينا نظرة رحيمة**».[٣]

وإذ تقرّر: أنّ الوجود المبارك لإمام العصر عجّل الله فرجه مظهر تامّ لله سبحانه، فله هاتان المرتبتان من النظر. وفي ضوء النظرة العامّة يرىٰ الحجّة عجّل الله فرجه جميع أعمالنا بإذن الله، بما في ذلك أعمال الجوارح والجوانح؛ لمكان أنّه قلب القلوب وروح الأرواح. إلاّ أنّ هذا الوجود المبارك وإن اطّلع علىٰ كلّ شيء، إلاّ أنّه لا ينظر إلىٰ المغضوب عليهم، ولذا فهو يمثّل مظهراً لتجلّي قوله تعالىٰ: ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيهِم﴾.

فمن رأىٰ نفسه في محضر الإمام عليه السلام ومشهده، سعىٰ جاهداً إلىٰ أن يكون لائقاً بنيل نظرة تشريف منه عليه السلام، وهذا المقام هو الذي يضمن النجاة من الوقوع في الزلاّت والعثرات. وينال من حصل علىٰ هذه النظرة نحواً من التوفيق والتسديد، وإلاّ فإنّ مجرّد رؤية جماله لا تضمن نيل السعادة. كما أنّ عدداً كثيراً من الصحابة رأوا نبي الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو غير واحدٍ من الأئمّة الكرام عليهم السلام واستمعوا إلىٰ كلامهم، إلاّ أنّهم لم ينالوا شيئاً من ذلك الفيض.

---

١ . سورة سبأ، الآية: ٣.

٢ . سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

٣ . إقبال الأعمال: ٦٠٨، دعاء آخر بعد صلاة العيد. . . .

ومنه يتبيّن: أنّه أن يكون الإنسان مشهوداً لنظرة المعصوم الرحيمة أفضل من أن يرىٰ وجهه فقط؛ وذلك أنّ النظرة من طرف واحد لا تفضي إلىٰ نيل النظرة الشريفة لهؤلاء الطيّبين الطاهرين عليهم السلام، ولا تحقّق الجذب والانجذاب المنشود، كما لا يكون لها أثر عملي مطلوب.

العقل دليل الانتظار الحقيقي

لاشكّ: أنّ الانتظار الحقيقي يمهّد الطريق إلىٰ ظهور صاحب العصر عجل الله فرجه، كما أنّ هذا الانتظار جديرٌ بالإنسان أن يسعىٰ إلىٰ طلبه وتحقيقه. وفي إطار التمهيد لبزوغ شمس الظهور يكون للمحافظة علىٰ مصباح الوحي مضيئاً مع الدفاع عن حريمه النصيب الأكبر، ولا يتحقّق هذا الهدف المنشود إلاّ بالسعي إلىٰ إنارة الأرواح بمصباح العقل. وعليه يجب أن يتسلّح غير واحد بسلاح العقل للدفاع عن ثقافة الوحي وردّ حملات المغرضين علىٰ هذا الحريم، من خلال إنارة عقول الشباب وقلوبهم، وإقامة البراهين العقليّة القطعيّة، وقطع الطريق علىٰ من يسعىٰ إلىٰ نشر الأوهام من قبيل القول بالقراءات المتعدّدة للدين وإلقاء الشبهات والمغالطات.

إنّ العقل أقوىٰ وسيلةٍ، بل هو حجّة الله علىٰ العباد، كما يشير إلىٰ ذلك الرواية الواردة عن ابن السكّيت حين سأل الإمام الرّضا عليه السلام عمّا لو ادّعىٰ غير واحدٍ لنفسه الإمامة والخلافة والولاية، فمن يكون حجّة الله علىٰ الناس؟ فأجابه الإمام الرضا عليه السلام بأنّه العقل. وعندها قال ابن السكّيت في محضر الإمام عليه السلام: هذا والله هو الجواب.[1]

---

١ . الكافي ١: ٢٥، كتاب العقل والجهل.



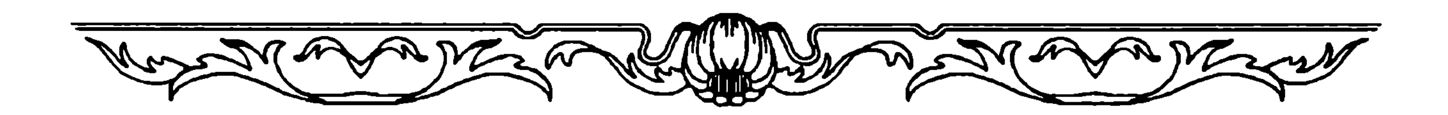
والغرض: أنّه يلزم علىٰ المنتظرين الحقيقيّين لبقيّة الله ﷺ أن يكونوا من أُولي الألباب وأُولي البصائر والأبصار حتّىٰ يكونوا ﴿أُولُو بَقِيـةٍ﴾.[1] والمراد من أُولي بقيّة أصحاب البقاء، وهم الذين ثبّتت الذات الإلهية المقدّسة بقاءهم، أعني: العلماء العاملين.

* * *

١ . سورة هود، الآية: ١١٦.

الفصل الثالث:

المنتظر



أرجحيّة انتظار أهل العلم والثقافة

من عرف حقيقة الانتظار كان منتظراً حقيقيّاً، فتعلّق قلبه بصبح اللقاء بإمام زمانه وأجهد نفسه في طريق ومسير الإعداد إلى ظهوره. إلاّ أنّ هناك امتيازاً لانتظار رجال العلم والثقافة على سار أطياف المنتظرين؛ فهم في حال انتظارٍ دائمٍ واعٍ لإمامهم، فإن ظهر كانوا تحت إرادته التامّة؛ لغرض المساهمة في تحقيق الأهداف الإلهيّة المنشودة؛ حتّى يقام على أيديهم بناء صرح التحوّل المهدوي العظيم.

كما أنّ هؤلاء يقتدون بإمامهم في العلم والعمل، فتتعالى في كلّ لحظة أفكارهم العلميّة ودوافعهم العمليّة بمسارٍ تصاعدي، وصولاً إلى استعدادهم التامّ لعصر الظهور، ولذا ينحون منحى ورغبة تسوقهم جميعاً إلى القسط والعدل، وتصفو أرواحهم، فتستغني عمّا سواه، وتتكامل علومهم وعقولهم.



وهؤلاء العلماء المنتظرون تلامذة الوجود المبارك لصاحب العصر ﷺ، وهم الذين تعلّموا في مدرسته ونالوا من فيضه وعناياته ما لم ينله غيرهم.

مراحل الكمال لدى المنتظرين

من أراد أن ينجوَ بنفسه من ميتة الجاهليّة إبّان ظلمات عصر غيبة إمام عصره وأن ينال حياةً عقليّةً، فيندرج في زمرة السعداء، ليس له إلاّ أن ينال المعرفة بوجود إمامٍ معصومٍ في زمانه. ومعه فلو أحاط بالإمامة وبإمام زمانه في إطار معرفة التوحيد والنبوّة، أدرك سرّ برنامج الحكومة والدولة الكريمة لإمام زمانه، فيعرف حينئذٍ أيّة وظيفة وتكليف ينتظرانه في ظلّ هذه الحكومة.

ومن أحاط علماً بتكليفه في إطار تحقّق حكومة إمام زمانه، سعى جاهداً إلى إحياء أمر هذا الإمام باطناً وظاهراً، كما سعى إلى تهيئة نفسه ومجتمعه لظهور إمام زمانه. ومعه ينال هذا الفرد الأهليّة ليسير على سنّة قوله تعالى: ﴿يَهدُونَ بِأمرِنَا﴾[1] ومجرىً لفيض عنايات وليّه، فيستنير قلبه بنور المعرفة والإيمان، وإذ ينال القلب الهداية، تبعه القالب في المسير نفسه.

نجاة المنتظرين من اليأس

لا شكّ: أنّ الوجود المبارك لإمام العصر ﷺ يمثّل الصراط المستقيم والخروج القويم من الجاهليّة إلى الحياة العقليّة والعقيدة الحقّة، وعلى هذا الأساس يكون انتظار هذا الوجود المبارك محيياً للنفوس.

ومن نال فؤاده الحياة إثر هذا الانتظار المحيي للنفوس والقلوب، لن يُصاب قلبه بأيّ نحو من أنحاء اليأس؛ وذلك أنّ هذا القلب سمع الوعد بالنصر الإلهي

---

١ . سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.



وسلّم به، فلن يدعه أمل تحقّق ذلك الوعد أن يتوقّف عن الحركة والنشاط؛ لأنّه يدرك أنّ الله لا يخلف وعده وأنّ الوعد ناجزٌ قطعاً. ومنه يتّضح أنّ الفرد طالما أصلح نفسه المتعلّقة بإنجاز بالوعد الإلهي، كان لائقاً بنيل هذه البشارة الواردة في قوله تعالى: **﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُم الَّذِي ارتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمناً يَعبُدُونَنِي لاَ يُشرِكُونَ بِي شَيئا﴾**.[1]

لقد وعد الله سبحانه أهل الإيمان والعمل الصالح بالنصر، وبشّرهم بخلافة عباد الله الصالحين السابقين عليهم، وعليه كان هؤلاء مطمئنين بالنّصر الإلهي ومستبشرين ببشارة القرآن، ولذا فهم مبرّؤن من اليأس، مع استنارة قلوبهم بنور الأمل.

إنّ روح الأمل والثقة بنصر الله تعالى جوهرة ثمينة سعى جميع الأنبياء والأولياء عليهم السلام إلى تعزيزها والحفاظ عليها، ولذا دأب كلّ نبي على التبشير بمن يلحقه، وانعقدت هذه السيرة، إلاّ أنّه لوحظ التأكيد على البشارة بنبوّة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ثمّ بشارة كلّ إمام بإمامة خاتم الأئمّة عجل الله فرجه.

إنّ ثمرة هذا البشارة تقوية الأمل وطرد اليأس والقنوط عن قلوب المشتاقين والمنتظرين، والأُمّة المتحلّية بهذا الأمل الموقنة بأنّ الله ناصرها وظهيرها لن تضعف ولن تقصّر في أداء وظائفها، كما يكون النصر حليفاً لها.

فضائل المنتظرين

إنّ المنتظرين لصاحب العصر عجل الله فرجه حقّاً هم العارفون بولاية الأولياء الإلهيّين

---

١ . سورة النور، الآية: ٥٥.



ممّن نالوا فيض ﴿إِحدَى الحُسنيَين﴾.[١] إذ لا يخلو أمرهم من أن ينالوا شرف رؤية وإدراك ظهور إمام زمانهم ﷺ أو فخر منزلة من جاهد في سبيل الله معه.

ومن الواضح أنّ درجات ومراتب المنتظرين لإمام العصر ﷺ تختلف باختلاف درجاتهم في المعرفة والإيمان وانتظار ظهوره؛ إلاّ أنّ جميعهم نالوا فخر مقام ﴿إِحدَى الحُسنيَين﴾[٢].

وقد بيّن الإمام الباقر عليه السلام فضائل المؤمنين المنتظرين في حديثٍ له قائلاً: «العارف منكم بهذا الأمر المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمّد ﷺ بسيفه». ثمّ قال: «بل والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه». ثمّ قال: «بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ في فسطاطه. وفيكم آية من كتاب الله». قلت: أيّ آية جُعلت فداك؟ قال: «قول الله (عزّ وجلّ): ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِم لَهُم أَجرُهُم وَنُورُهُم﴾».[٣] ثمّ قال: «صرتم والله صادقين شهداء عند ربّكم».[٤]

لقد عبّر القرآن الكريم عن هؤلاء الأفراد بأنّهم من مصاديق المؤمنين بالغيب، كما ذكرهم نبي الإسلام بكلّ خيرٍ: «يغيب عنهم الحجّة لا يسمّى حتّى يظهره الله، فإذا عجّل الله خروجه يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً». ثمّ قال ﷺ: «طوبى للصابرين في غيبته! طوبى للمقيمين على محجّتهم! أُولئك وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ﴾[٥] وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُون﴾[٦]».[٧]

١و٢ . سورة التوبة، الآية: ٥٢.

٣ . سورة الحديد، الآية: ١٩.

٤ . بحار الأنوار ٢٤: ٣٨ ـ ٣٩، الباب ٢٦، وتأويل الآيات: ٦٤٠، سورة الحديد.

٥ . سورة البقرة، الآية: ٣.

٦ . سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

٧ . بحار الأنوار ٥٢: ١٤٣، الباب ٢٢. وانظر أيضاً كفاية الأثر: ٥٦.



محبّوا الإمام الغائب ومنتظروا الإمام القائم

لا ريب: أنّ ظهور إمام العصر عليه السلام وإيجاد حكومة العدل المهدوي عليه السلام سيرافقها حروبٌ ومنازعاتٌ عديدة؛ نظراً إلىٰ أنّ حكّام الجور والظلم لن يسلّموا بسهولة لراية سلطان العدل والحقّ علىٰ يد صاحب العصر عليه السلام، بل سيواجهونه ويحاربونه، وعندها تبدأ ثورة القائم عليه السلام بالمجاهدة والإيثار والبذل والعطاء.

وليس المنتظرون الحقيقيّون في عصر الغيبة إلاّ أهل معرفة وفكر وذكر ودعاء، فيصدق عليهم قوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ**﴾.[1] ومن ناحية أُخرىٰ فهم مصداقٌ للحديث القائل: «**ليعدّنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً**»[2] فيكونون علىٰ أهبّة الاستعداد للجهاد والشهادة والإيثار والبذل والعطاء.

إنّ الزهّاد والعبّاد ونحوهم ممّن لا يقترن زهدهم وعبادتهم بالجهاد والشهادة ومحاربة الأعداء ليسوا ـ شاؤوا أم أبوا ـ إلاّ من أنصار الغائب لا القائم، فعندما يظهر الحجّة القائم بالحقّ يكون هؤلاء الأفراد أوّل من يعارضه ومن ينكر عليه طلب القتال واقتحام المخاطر. والسرّ فيه: أنّ ما يطلبونه هو غائب آل محمّد صلى الله عليه وآله، لا قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله.

وأمّا الذين جمعوا إلىٰ جانب الزهد والتقوىٰ نصيباً من الجهاد وطلب الشهادة في النواحي العلميّة والعمليّة وهيّؤوا في أنفسهم كلّ ما يساهم في حفظ إمامهم (ولو بإعداد سهمٍ) دفاعاً عن حريم الدين والقرآن والعترة ولا يخشون إلاّ الله،

---

١ . سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

٢ . الغيبة، النعماني: ٣٢٠، الباب ٢١.



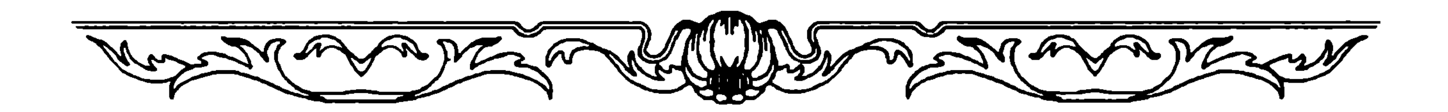
فكانوا دوماً قابضين على الزناد، وكانوا من أهل الذكر والمناجاة، فهم بحقٍّ المنتظرون الحقيقيّون لصاحب العصر والمشتاقون بصدقٍ إلى قائم آل محمّد ﷺ.

والغرض: أنّ من أراد أن يمتحن صدق انتظاره، فعليه أن ينظر: هل إنّه متطلّعٌ إلى الإمام الغائب أم إنّه مشتاقٌ إلى الإمام القائم؛ لينتهي إلى معرفة أنّه منتظرٌ حقيقي لإمام العصر، أم إنّه أطلق على نفسه بلا حقٍّ عنوان انتظار الحجّة؟

* * *

الفصل الرابع:

الانتظار: أبعاده وتكاليفه



آثار الانتظار

١ ـ الأمل بالمستقبل

لانتظار ظهور صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف آثارٌ وثمارٌ مختلفةٌ في المجالين الفردي والاجتماعي، كما أنّ الأمل بمستقبلٍ مشرقٍ يساهم بوضوح في السعي نحو بذل الجهود الفرديّة والاجتماعيّة. ومن تلك الآثار التي كانت مورد تأكيد على لسان العترة الطاهرة عليهم السلام تحت عنوان الانتظار ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: «**انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله؛ فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله (عزّ وجلّ) انتظار الفرج**».[١] ونحوه ما ورد على لسان سيّد الساجدين عليه السلام حين قال: «**انتظار الفرج من أعظم الفرج**».[٢]

---

١ . الخصال: ٦١٦، علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد... .

٢ . كمال الدين ١: ٤٣٧، الباب ٣١.

٢ ـ الإصلاح في المجالين الفردي والاجتماعي

من يرىٰ بأنّ السعي لإصلاح الأُمور في زمن غيبة وليّ الله لا فائدة ولا قيمة له، لن يجد الرغبة في مجابهة الطاغوت ومقاومته وتحمّل المشاقّ. وأمّا أهل الانتظار الحقيقي فهم ذوو القلوب المفعمة بأمل ظهور إمامهم المؤمنين بأنّ الصالحين ـ طال الزمان أو قصر ـ سيحكمون الأرض، فيعود الحقّ إلىٰ أهله، فيقضىٰ الله تعالىٰ علىٰ كلّ ألوان الظلم والجور الحاكم علىٰ المجتمع البشري، ويصلح أمورهم، ما يدفعهم إلىٰ إصلاح أنفسهم والسعي إلىٰ إصلاح أُمور المجتمع؛ بقصد الوصول به إلىٰ مستوىٰ المجتمع الذي يناهض الظلم ويمهّد لأرضيّة خصبة لإيجاد وتشكيل تلك الدولة الكريمة.

وعلىٰ هذا الأساس فالمنتظر الحقيقي للمصلح العالمي صالحٌ ومصلحٌ في آنٍ واحدٍ، وهو ممّن يقتدي بدعاء مولاه ويدعو ربّه بهذا الدعاء قائلاً: «**اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولةٍ كريمةٍ، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ به النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك**».[1]

ولعلّه إلىٰ هذا المعنىٰ أشار الإمام المعصوم عليه‌السلام محدّداً واجب الشيعة في عصر الغيبة بقوله: «**عليكم بالدعاء، وانتظار الفرج**».[2] وذلك أنّ انتظار الفرج ناظر إلىٰ البعدين الفردي والإجتماعي أو قل: هو ناظر إلىٰ إصلاح النفس وإصلاح المجتمع.

٣ ـ السعي والنشاط الدائم على جميع المستويات

من كان من المنتظرين الحقيقيّين لحجّة الله، كان في حال سعي دائمٍ وبحثٍ

---

١ . الكافي ٣: ٤٢٤، باب تهيئة الإمام للجمعة وخطبته... .

٢ . مهج الدعوات: ٣٣٢، ومن ذلك ما يُدعىٰ به زمن الغيبة.



دؤوبٍ لغرض الوصول إلى الفكر المهدوي الصافي، والانتقال من الخبر إلى العيان، ومن السعي إلى التحقّق. ومن هذا المنطلق يكون كلّ من له تخصّص ممّا في مدرسة الانتظار خالياً من أيّ قصور فيما يرتبط بعمله واختصاصه.

فإن قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ليعدّنّ أحدكم لخروج القائم، ولو سهماً...**»[1] ـ أي: إنّ منتظر ظهور الحجّة عجل الله فرجه مستعدّ لقيامه ولو بإعداد سهمٍ ـ فهو من باب التمثيل لا التحديد؛ إذ من كان له اهتمامٌ بالنواحي الحربيّة كان مكلّفاً بالاستعداد في مجال فنون القتال، ومن كان له اهتمامٌ بالمجال الاقتصادي كان مكلّفاً بتقديم حلٍّ لمعضلات التضخّم وحلّ مشكلة البطالة وتحقيق توازنٍ بين العرض والطلب وتقليل الفوارق الاجتماعيّة والقضاء على الإسراف والترف والدعة، فيما يكون على المجتهد في المجال الفقهي أو الحقوقي أو السياسي أن يحارب الجهل، ويقف في وجه الاستلاب الثقافي والحضاري، إلى جانب التبيين والتعليل والدفاع العلمي عن المباني الاعتقاديّة بعد بيانها وتفسيرها وتحليلها علماً وعملاً.

٤ ـ التحلّي بالفضائل النفسانيّة

إنّ من عرف حقّاً أنّ إمامه موجودٌ وأنّه مظهرٌ لقوله تعالى: ﴿**هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[4] أدرك أنّه في محضر خليفة الله وإمامه المعصوم، كما يدرك حضور الله

---

١ . الغيبة، النعماني: ٣٢٠، الباب ٢١.

٢ . سورة البقرة، الآية: ٢٩.

٣ . سورة الإسراء، الآية: ١.

٤ . سورة سبأ، الآية: ٤٧.

تعالىٰ علىٰ مستوىٰ أعلىٰ ومرتبة عليا، وعند ذلك ـ كما ورد في تعاليم القرآن الكريم ـ يكون في محضر الله سبحانه وخليفته. وهذا الحضور يجعله يشعر بحياءٍ وخشيةٍ دائمةٍ، فيسعىٰ إلىٰ أن يكون قلباً وقالباً في مشهد الحقّ وإمامه، فيبتعد عن المعاصي والرذائل. ولا يخفىٰ: أنّ هذا النحو من الانتظار يوجب تنزيه روحه واستنارة قلبه أيضاً.

٥ ـ الاستعداد للظهور

للانتظار الحقيقي جملةٌ من الآثار المطلوبة الباعثة علىٰ الشعور بالأمل والرغبة في الإصلاح، ما تدفع المنتظر الصادق في هذا الاتّجاه؛ باعتبار أنّ وقت الظهور مجهولٌ، ومعه ينبغي أن يكون دوماً واجداً لشروط ظهور المهدي الموجود الموعود ﷺ ولوازمه. وهذا الاستعداد المزدان بالابتعاد عن التسويف والتأخير تجاه إصلاح الفرد أو المجتمع يساهم في تعزيز الفكر الفردي والعقل الجمعي.

٦ ـ استحقاق نظرة أهل البيت عليهم السلام الرحيميّة

من كان من المنتظرين الحقيقيّين لإمام العصر ﷺ ـ لمكان تأدّبه بالأخلاق الإلهيّة ـ لا تشوب أعماله شوب الحرام، ولا يقع في مخمصة المعصية، بل يسعىٰ إلىٰ أداء الواجبات والابتعاد عن المحرّمات، فيكون متأسّياً بتعاليم الإسلام الخالية عن أيّ قصورٍ أو تقصيرٍ. فهو يقوم بالواجبات، ويتجنّب المحرّمات، ويسعىٰ إلىٰ فعل المستحبّات وترك المكروهات، فيحقّق مطلوب مولاه، ما يستحقّ عناية إمامه الخاصّة وفيض العترة الطاهرة عليهم السلام.

٧ ـ تفتّق القدرات الفكريّة

ومن أسمى أهداف الوجود المبارك لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف إثارة دفائن العقول وكشف كنوز الفكر الإنساني، كما أشارت إليه الروايات الواردة في ظهور الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف من بلوغ العلم والوعي أبّان الظهور أعلى درجاته.[١]

ثمّ إنّ السير الطبيعي للعلوم من جهة والسعي الدؤوب للعلماء وأرباب العقول والفكر من جهة أُخرى من الأسباب المؤدّية إلى تطوّر البحوث والمعارف العلمية إلى جانب اتّساع دائرة التطوّر الفكري وتفتّق الذهن البشري. وهذه الحركة العلميّة التي تظهر بصورة تأليف كتاب أو فعاليّات علميّة وفكريّة يقوم بها العلماء باعتبارهم جنوداً واقعيّين ومنتظرين صادقين لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف تؤدّي إلى إخماد الفتن التي تحرّكها الأهواء النفسانيّة الخبيثة بقصد إطفاء نور العلم. وعليه تكون هذه الحركة العلميّة سبباً لتعالي الفكر والثقافة.

٨ ـ الوصول إلى مقام الثقة

إنّ الإنسان المنتظر الموقن بحضور الذات الإلهيّة المقدّسة المدرك لمحضر إمام عصره المبادر إلى القيام في ميدان الجهاد الأوسط والأكبر لمحاربة الشيطان الداخلي والخارجي يمكنه أن يواصل هذا السير ليصل إلى درجة يذكره الإمام المعصوم عليه السلام في أثناء الكلام؛ بقصد الثناء عليه وتشجيع سائر الأصحاب على

---

١ . عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم» (الكافي ١: ٢٥). وقال أبو عبد الله عليه السلام: «العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، لم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين. فإذا قام القائم أخرج الخمس والعشرين حرفاً، فبثّها في الناس وضمّ إليها الحرفين حتّى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً» (منتخب الأنوار: ٢٠١. وأنظر أيضاً بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٦).

اتّباع سيره وسلوكه، كما أشار الإمام الباقر عليه السلام بحضور أصحابه إلى كلام أبي ذرّ رضي الله عنه . فعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**كان في خطبة أبي ذر** رضي الله عنه ...».[١] وأبو ذر وإن لم يكن مع جلالة قدره معصوماً ليكون كلامه ككلام المعصوم عليه السلام، إلاّ أنّ المعصوم عليه السلام نقل كلامه، ما يكشف عن أنّ كلامه حقّ.

ومع أنّ الإمام المعصوم لا يحتاج إلى نقل قول غير المعصوم، إلاّ أنّه أراد بفعله هذا أن يرسم لأصحابه صورةً للقدوة الحسنة، فرغب أن يعلّمهم أنّ الإنسان إثر مجاهدة النفس وإدراك حضور الله تعالى ووليّ الله في عصره يمكنه أن يصل إلى أعلى المراتب، فينال ثقة الإمام عليه السلام الذي ينقل قوله كشاهد صدقٍ على أمر مّا.

٩ ـ الوصول إلى المنزلة الرفيعة (منّا أهل البيت)[٢]

إنّ المقام الشامخ للعترة الطاهرة ـ الذي هو مقام محمود عند الله[٣] ـ يمثّل أعلى مراتب القرب الإلهي، وهو أمل كلّ مؤمن ذي معرفة. والاستقرار في هذا المقام ـ أي: في مقام ورتبة العترة الطاهرة عليهم السلام ـ وإن كان غير ميسور ومقدور للأفراد العاديّين؛ باعتبار أنّ لحقيقة كلّ موجود مراتب، إلاّ أنّ الورود إلى ذلك المقام متيسّرٌ بحسب المرتبة الوجوديّة لكلّ سالك صادق.

والمنتظرون الصالحون الصادقون لظهور الحجّة المنتظّر عجّل الله فرجه هذّبوا أنفسهم في طريق الجهاد الأوسط والأكبر، فنالوا رضى أهل البيت عليهم السلام، فشملتهم نظرتهم الرحيمة، وأحالت كيمياء العترة الطاهرة معادنهم إلى معدنٍ نفيسٍ، ما

---

١ . المحاسن ١ : ٣٥٧، الباب ١٥، وبحار الأنوار ٢ : ٥١ ـ ٥٢، الباب ١١.

٢ . الكافي ١ : ١٨١، كتاب الحجّة، باب معرفة الإمام والردّ عليه.

٣ . كامل الزيارات: ١٧٧، الباب ٧١.

جعلهم ينالون شرف المرتبة الوجوديّة لمقام أهل البيت المحمود ويوشّحون صدورهم بوسام الفخر (منّا أهل البيت) كما اتّفق ذلك لغير واحدٍ من الأعاظم. فمن وصل إلى هذا المقام الشريف: كفضّة الخادمة وأبي ذرّ وسلمان وغيرهم إثر ارتباطهم الصادق الواعي بإمام زمانهم، نالوا هذا الفخر وذلك الشرف الكبير.

لقد كان لفضّة (رحمها الله) خادمة البيت النوري العلوي الفاطمي معدن مستعدّ تحوّل إثر اتّصاله بكيمياء العترة إلى معدنٍ نفيسٍ، فنالت بذلك مقاماً رفيعاً؛ لأنّها من جملة ﴿وَيُطعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1] وببركة مشاركتها لأوليائها في إطعام الطعام نالت فخر مقام (منّا أهل البيت).

تكاليف المنتظرين ووظائفهم

١ ـ معرفة الإمام

أشار الدعاء الملكوتي الوارد عن الإمام الصّادق عليه السلام ـ كما مرّ بيانه ـ إلى أوّل واجبٍ من واجبات أهل الانتظار: «اللّهمّ عرّفني نفسك؛ فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك. اللّهمّ عرّفني رسولك؛ فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك. اللّهمّ عرّفني حجّتك؛ فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني».[2]

إنّ أوّل ما يجب على المؤمن من أهل الانتظار الالتزام به معرفة الإمامة والإمام معرفةً ترتكز على أساس معرفة التوحيد ومعرفة النبوّة. والوجه فيه: أنّنا إذا أدركنا أنّ النبي خليفة الله الذي يلزم علينا أن نعمل على أساس وحي كلامه،

---

١ . سورة الإنسان، الآية: ٨.

٢ . الكافي ١: ٣٣٧، باب في الغيبة.

لزم علينا أن نعرف الإمام على ضوء معرفة النبي، وإلاّ قد ينتهي بنا القول إلى أنّ الإمامة يمكن أن تتشكّل تحت لواء السقيفة.

وإذ لم تكن الإمامة سوى نيابةٍ عن الرسالة وأنّ النائب لا يقوم بغير ما يريده المنوب عنه، فمن عرف المنوب عنه نال معرفة نائبه. فإن وصل إلى هذه المرتبة، استطاع أن يحلّ جميع مشكلاته العلميّة والعمليّة. أي: لو أحاط علماً بهذه الحقيقة النوريّة، فسوف يرتبط بالتوحيد عبر مسار الإمامة والنبوة، فلن يتمسّك بغير الدين في الفكر والعمل، وستتمركز مجالات حياته حول فلك الدين. ففي المجال الاجتماعي لن يتبنّى الأنظمة غير الدينيّة، بل سيلتزم بالقانون المتمحور حول أمر الله لا أمر الناس، ومن هذا المنطلق لن يسلّم إلاّ بالقانون الإلهي الذي يسعى مقام النبوّة والإمامة الشامخ إلى بيانه وتفسيره.

٢ ـ النشاط والسعي المطلوب

يقتضي الإدراك الصحيح لمعنى الانتظار أن يكون للمنتظِر حركة دائمة وسعي دؤوب بقصد تهيئة نفسه ومجتمعه لظهور الإمام المنتظّر ﷺ. والحديث الملكوتي الوارد عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام القائل: «**ليعدّنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً**»[١] مصباح ينير هذا الطريق الرحب.

ثمّ إنّ اللحظة السعيدة لظهور الغائب تبعث فينا الأمل لنعيش لحظات الانتظار على أحرّ من الجمر بانتظار الطلعة البهيّة لوجوده المبارك. وهذا الانتظار يدفعنا عقلاً في ضوء الكلام النوري لصادق آل محمّد ﷺ نحو السعي والحركة الدؤوبة لإعداد العدّة وتهيئة الأرضيّة المناسبة لظهوره، ولو كان ذلك بإعداد سهمٍ. وهذا السهم تارةً يكون سهم بيانٍ وبنانٍ وأُخرى يكون سهماً في المجال

---

١ . الغيبة، النعماني: ٣٢٠، الباب ٢١.

العلمي والعسكري. وإن شئت قلت: إمّا أن تكون لنا القدرة على شرح وبيان المعارف الإلهيّة وبسطها ونشرها وتبليغها، مع تمييز العقل عن الحسّ والقياس والوهم والاستحسان والخيال والمغالطة؛ سعياً إلى صيانة هذا المصباح المنير، وإمّا أن نسخّر قوانا وملكاتنا في مختلف الفنون الصناعيّة والمجالات العلميّة، لاسيّما في مجال الدفاع الحربي والاستعداد لمواجهة ومجابهة الذين يتوهّمون أنّ مصباح الهداية الوحياني قد خمد وانطفأ، وإن كان الأولى الجمع بين هذين السلاحين.

ومن حسب نفسه أنّه في حال انتظار دون أن يحرّك ساكناً قصد إعداد العدّة وطيّ مسير المجاهدة ـ متوهّماً أنّ من لا يعدّ العدّة يمكن أن يكون من بين منتظري الموعود الموجود ـ فقد وقع في خيالٍ باطلٍ، وليس لانتظاره ثمرةٌ عمليّة منشودةٌ.

٣ ـ التحلّي بمكارم الأخلاق

لا شكّ: أنّ منتظري الوجود المبارك لصاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف ممّن تخرّج في مدرسة الانتظار قد تعلّموا بكلّ صدقٍ درس الصلاح والإصلاح، فعليهم مضافاً إلى قراءة دعاء الفرج بألسنتهم قصد تعجيل فرج إمامهم أن يذكروا ذلك بلسان حالهم مع إعداد العدّة له. وعلى هذا الأساس فمن كان انتظاره حقيقيّاً وترقّبه صادقاً، أمكنه أن يسأل الله سبحانه من أعماق فؤاده بلسان الحال والمقال تعجيل الفرج السعيد الميمون لإمام زمانه.

ولنيل هذه المرتبة ينبغي على المنتظِر أن يعمل بما لديه من علمٍ ومعرفةٍ، وأن يستفهم ما أشكل عليه فهمه، كما يلزم عليه أن يرجو الخير لسائر عباد الله من دون أن تكون له أيّة ضغينة تجاه غيره؛ وذلك أنّ القلب المشوب بالحقد لايليق لأن ينال بذرة معرفة صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف و محبّته.



كما ينبغي على المنتظر الحقيقي أن لا يتّكل إلاّ على الله، ولا يعقد على غيره الأمل، كما عليه أن يراقب فضاء قلبه، فلا يبيع هذه البضاعة النفيسة بثمن بخس في قبال الشهوة والغفلة؛ إذ إنّ من عرض هذا الثمن وتعرّض له ما كان إلاّ عدو الإنسان، أي: ابليس؛ لوضوح أنّ هذه المعاملة لا تهدف إلاّ إلى الاستئثار بالثمن والمثمن، فلا يعود للإنسان سوى الخسران والغبن والضرر.

ومن باع أخلاقه ودينه من الشيطان، استحوذ على تمام هويّته الإنسانيّة، ومن كان كذلك، سعى إلى سلوك طريق ومسير مشفوع بالخسران والفساد، فيكون مصداقاً بارزاً لقوله تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنيَا وَالأَخِرَة﴾.[1]

ثمّ إنّ ترك التعلّق بالمظاهر الدنيويّة المذمومة مقدّمة لإيجاد الأرضيّة الملائمة لطهارة الروح وصفاء الضمير بالنسبة إلى المنتظِر، وعند ذلك يصير بلطفٍ من الله صاحب شامّة يشمّ بها عطر حضور مولاه[2]. ولا يحصل بهذه الشامّة استشمام الروائح العطرة فحسب، بل تستكشف الروائح العفنة الناشئة عن الميول الدنيويّة وحبّ الدنيا والنفاق والتفرقة بين المتحابّين، فتنجي صاحبها من الوقوع في هذه المهالك.

٤ ـ سموّ الفكر وحسن التدبير والشهامة والشجاعة

اتّضح: أنّ المعنى الحقيقي للانتظار يكمن في توفير شروط حضور وظهور صاحب العصر عليه السلام، فمن لم يجاهد نفسه في هذا السير، لا يعقل أن يكون انتظاره متعنوناً بحقيقة الانتظار المنشود.

---

١ . سورة الحجّ، الآية: ١١.

٢ . وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بابا طاهر في القسم الأوّل من ديوانه قائلاً:

سحر از بسترم بوي گل آيو

أي: لقد هبّ أريج الورد من مرقدي (عندما أقبل المحبوب بطلعته).

ويُستفاد من الروايات الواردة في بيان الوقائع والأحداث السابقة علىٰ عصر الظهور أنّ يد اللطف الإلهي ستنال الأمّة، فتكتمل عقولهم، وتستعدّ لتلقّي الفيوضات. وهذا التطوّر والتكامل ليس أمراً هيّناً ليُقال بأنّه لا حاجة إلىٰ تهيئة الأرضيّة له؛ إذ معه ينقلب المرء من جهلٍ مطبقٍ إلىٰ ذي علمٍ غزيرٍ. إنّ تعالي مستوىٰ الفكر والتعقّل والفهم العامّ أوّل خطوة في طريق تهيئة الأرضيّة اللازمة لغرض إدراك رسالة الإنسان الكامل وظهور وليّ الله المطلق، وهذا الأمر الجليل من أعلىٰ وأسمىٰ واجبات ووظائف منتظري الإمام عليه السلام. والسرّ فيه: أنّ المجتمع الذي يكون له مستوىٰ فكري رفيع يتمكّن من أن يدرك حقيقة المعارف الإلهيّة التي يفيض بها الإمام عليه السلام، ويكون أقدر علىٰ الوقوف في وجه أمواج الجهل والتجاهل والحسد والرذيلة.

وإلىٰ جانب ذلك يجب علىٰ أهل الانتظار أن يعزّزوا في أنفسهم روح التدبير علىٰ أتمّ وجهٍ ويسعوا إلىٰ تنظيم الأُمور الاجتماعيّة وتنمية ملكات الشهامة والشجاعة؛ إذ إنّ الدين وتطبيق أحكامه بحاجة إلىٰ هذه العناصر الأربعة. وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام في روايةٍ إلىٰ جملة من خصائص أتباع صاحب العصر والزمان عجّل الله فرجه من قبيل الشجاعة والصلابة والقدرة علىٰ إجراء الأحكام الإلهية: «**أجرى من ليث، وأمضى من سنان**».[1] وعندما يبلغ المجتمع الإسلامي درجةً من الوعي والتعالي الفكري والثقافي من جهة وعلوّ الهمّة والشجاعة والشهامة والتدبير من جهة أُخرىٰ، تتهيّأ الأرضيّة لظهور حجّة الله المطلقة.

٥ ـ الاقتداء بسنّة النبي والأئمّة عليهم السلام وسيرتهم

وليعلم: أنّ إمام العصر عجّل الله فرجه محيي تعاليم القرآن الكريم النوريّة ومعارف

---

١ . بصائر الدرجات: ٢٤، الباب ١١، وبحار الأنوار ٥٢: ٣١٨، الباب ٢٧.

النبي الأكرم وأئمّة الهدىٰ عليهم السلام، فسيرة إمام العصر هي السيرة النابعة من الإسلام الأصيل والمعارف السامية للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله التي هي من خزائن الله. وقد كان الأئمّة المعصومون عليهم السلام الواحد تلو الآخر يبيّنون هذه الحقيقة النوريّة ويحافظون علىٰ هذه السيرة الكريمة.

وعليه فليس طريق إمام العصر عجل الله فرجه سوىٰ طريق القرآن والعترة، وعلىٰ منتظر إمام العصر عجل الله فرجه أن يكون علىٰ اطّلاعٍ وإحاطةٍ بالقرآن الكريم وبتعاليمه من جهة وبسيرة وتعاليم العترة من جهة أُخرىٰ؛ ليتمكّن من التعرّض لنفحات الأنوار القدسيّة والاقتداء بأئمّة الهدىٰ والاستعداد لحضور إمام الزمان عجل الله فرجه وخدمته.

الارتباط بإمام الزّمان عجل الله فرجه

ضرورة الارتباط بإمام العصر عجل الله فرجه

ترتبط الحياة الإنسانيّة العقليّة للبشر أشدّ الارتباط بالحقائق الوحيانيّة للقرآن الكريم. كيف لا؟ والوحي هو القانون الوحيد لحياة البشر، كما أنّ إطاعة تعاليم وأوامر القرآن الكريم تمثّل الوسيلة إلىٰ تحقيق الحياة العقليّة الطيّبة، كما يشير إلىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾[2].

ثمّ إنّ العترة الطاهرة التي هي إحدي الثقلين اللّذين تركهما الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عدل القرآن الكريم، وعلىٰ هذا الأساس فالأحكام الثابتة للقرآن

---

١ . سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

٢ . سورة النحل، الآية: ٩٧.

الكريم ثابتةٌ في حقّهم أيضاً. ولذا يكون الارتباط بإمام العصر ﷺ أيضاً عاملاً للإحياء ومفتاحاً للوصول إلى الحياة العقليّة الطيّبة. والسرّ فيه ما تقدّم عن النبي الأكرم ﷺ من: أنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً. فمن كانت عدم معرفته باعثةً على الميتة الجاهليّة، لم تكن معرفته طريقاً إلى الحياة العقليّة، ومن نال فهم المعرفة والولاية، كان في معرض الارتباط مع إمام زمانه المعصوم.

والارتباط بمقام الولاية الشامخ واتّصال روح وقلب الإنسان بإمام عصره ﷺ لا يضمن الحياة العقليّة فحسب، بل يساهم أيضاً في التخلّص من نقائص البشر ورذائله؛ كيف لا وهو الكعبة الحقيقيّة وحقيقة الكعبة، مع أنّ الكعبة الأرضيّة محاذية للبيت المعمور المقابل لعرش الله. لقد أمر الله تعالى خواصّ ملائكته ببناء البيت المعمور لكي يتمكّن سائر الملائكة ـ الذين لم يدركوا أنّ مقام الإنسانيّة وصل إلى مرتبة الخلافة وتوهّموا أنّ تقديسهم وتسبيحهم كاف لنيل مقام الخلافة الإلهية، وبعد تنبيه الله لهم أحاطوا علماً ومعرفة بالمقام الشامخ للإنسان الكامل ـ من ترميم نقص عملهم وعبادتهم بالطواف حول البيت المعمور.

كما أنّ الطواف حول الكعبة لأجل التنزيه عن النقص والقصور، أعني: الغفلة عن مقام الإنسانيّة والسهو والنسيان أو عصيان خليفة الله في الناس[1]. ومن هذا المنطلق يكون الطواف أفضل وسيلة للطائفين الغافلين والحجّاج الذاهلين والمعتمرين الساهين حتّى يجبروا جهلهم وغفلتهم عن معرفة أنفسهم ومعرفة المقام الشامخ للإنسان الكامل وخليفة العصر بقيّة الله ﷺ، فيكون طوافهم كطواف الملائكة مقبولاً وسعيهم مشكوراً.

---

١ . الكافي ٤: ١٨٧ ـ ١٨٨، باب البيت والطواف.

نحو الارتباط بإمام الزمان ﷻ

لابدّ في التشرّف المباشر أو غير المباشر بالمحضر النوري لإمام الزمان ﷻ من التوفّر على لياقة وأهليّة خاصّة؛ ولذا لا يمكن إلاّ للأوحدي من المؤمنين الموحّدين أن ينال التشرّف بمحضره المطهّر.

وليعلم: أنّ كلّ خرقٍ للعادة أو كرامةٍ حادثةٍ بواسطة شخصٍ مجهولٍ إنّما يتحقّق إثر حصول فيضٍ من الناحية المقدّسة، وكلّ فيضٍ يصل إلى الآخرين إنّما هو نابع من فيض إمام العصر ﷻ. إلاّ أنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّ ذلك المجهول هو الوجود المبارك لصاحب العصر ﷻ، بل يمكن أن يكون من ضمن تلامذته الصالحين الذين تلقّوا الأمر منه لحلّ عقدة الآخرين، فيكونوا واسطةً في وصول فيض الإمام إليهم.

ثمّ إنّ ما هو مطلوبٌ ومقدورٌ للجميع هو إيجاد وحفظ الارتباط الروحي والمعنوي معه ﷻ، وهو ما يحصل إثر رعاية أدب الحضور والارتباط معه.

وعليه فالقيام بالمستحبّات والتزوّد بالأعمال الصالحة نيابة عنه وإهداء ثوابها إلى الأرواح الطيّبة للعترة الطّاهرة عليهم السلام من أفضل السبل لتعزيز الارتباط مع وجوده المبارك، كما أنّ أرقى سبيل لهذه النيابة أن لا يطلب من الإمام مقابل عمله أمراً لنفسه؛ لأنّ ذلك ينقص من قدر عمله. والوجه فيه: أنّ طلبنا بقدر إدراكنا، كما أنّ إدراكنا في أكثر الأحيان محجوبٌ بحجاب أُمنيّاتنا، ما يكون معه مطلوبنا المترقّب بذلك محدوداً. وعليه فالأرجح من باب الأدب أن لا نطلب من ذلك الوجود المبارك أمراً خاصّاً؛ لوضوح أنّه من تلك السلالة التي سجيّتهم الكرم[1]. ومعه فمن اللائق أن نوكل إليهم مسألة العطاء؛ نظراً إلى أنّ ما تقتضيه

---

١ . حسبما جاء الزيارة الجامعة الكبيرة التي ورد فيها أنّ الأئمّة عليهم السلام عادتهم الإحسان وسجيّتهم الكرم (البلد الأمين: ٣٠٢، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٥).

سجيّة الكريم في العطاء أن يكون عطاؤه مستمرّاً وافراً.

ولا يعني ذلك: أنّ الإنسان إن كانت له مشكلة خاصّة، فإنّه يلزم عليه أن لايعرض مسألته على إمامه وبيان حاجته وتحديد طلبه بها ألرّبه وأهمّه، بل المقصود من ذلك أن لا يقترن القيام بأعمالٍ صالحةٍ نيابةً عن الإمام بطلبٍ أو اقتراح، بل يترك العطاء لهم وفق ما يرونه صالحاً، لا أن يحدّده بأفقه المحدود. ولـمّا كان عطاء الأئمّة عليهم السلام عطاءً لائقاً بمقامهم، كانوا هم الذين يحدّدون القابليّة والسعة إلى جانب المقبول ومحلّ السعة. ثمّ إنّهم وإن أعطوا فرداً مّا عطاءً، إلاّ أنّ ظهور وفضل عطائهم يعمّ المجتمع، كما حصل مع زكريّا بن آدم تلميذ الإمام الرضا عليه السلام حين استجازه للخروج من قم، فأمره الإمام أن يبقى في قم؛ لأنّ الله تعالى يدرأ ببركة بقاءه هناك العذاب عن أهل قم، كما يدرأ الله ببركة مزار أبيه الإمام الكاظم عليه السلام العذاب عن أهل تلك المنطقة.[1] إنّ هذه الأمثلة من العطاء لـمّا كانت لطفاً إلهيّاً توجب أن يكون وجود قبر هذا الشخص في أرضٍ مّا مصدر عطاءٍ لكل سكّان الأرض.

ومن جملة الآداب الحسنة تجاه محضر إمام العصر عجل الله فرجه أدب القيام احتراماً له عجل الله فرجه، وهي سنّة قديمة شائعة بين محبّي وأتباع أهل بيت العصمة عليهم السلام.

ادّعاء البابيّة والسفارة عن صاحب العصر عجل الله فرجه

ولايخفى: أنّ الارتباط بإمام الزمان عجل الله فرجه أمل كلّ منتظرٍ وموضع فخرٍ لكلّ من له معرفة، إلاّ أنّ هذه البضاعة ثمينة عظيمة القدر والمنزلة. ويلاحظ أنّ الأولياء كانوا ينزّهون أنفسهم عن أيّ ادّعاء لاستنارة قلوبهم بنور هذه الشمس. إلاّ أنّ هناك مدّعين اتّخذوا من الارتباط بقلب العالم وسيلةً للوصول إلى أهدافهم

---

١ . راجع الاختصاص: ٨٧، زكريّا بن آدم... .



الحسنة أو السيّئة، فاحتالوا ـ من حيث يشعرون أو لا يشعرون ـ على بعض المؤمنين المشتاقين المتعطّشين إلى سماع خبرٍ عن رؤيةٍ أثر لروح أرواح العالم.

إنّ على كلّ منتظرٍ عاقلٍ أن يحيط بالسبل الحقيقيّة للارتباط بصاحب العصر عجل الله فرجه من جهة، وبمعرفة من يدّعي الارتباط بالحجّة عجل الله فرجه من جهة أُخرى؛ حتّى يقوا أنفسهم ومجتمعهم من الوقوع في وادي الوهم والخرافة الذي لا يخلّف إلاّ الانحراف.

لقد أُطلق لفظا (البابيّة) و(السفارة) على من يدّعي الارتباط بإمام العصر عجل الله فرجه ومن يدّعي وصول أمر له من الإمام عليه السلام[1]، أي: الذين كانت لهم صلة بالإمام المعصوم عليه السلام وحصلوا على جملة من التعليمات من لدنه. ومعه تكون هذه التعاليم حجّة شرعيّة وحكماً إلهيّاً عليه وعلى من يستمع ـ ممّن يقع واسطةً بين الإمام عليه السلام وبين الآخرين ـ تلك التعاليم. هذا هو المعنى الحقيقي لدعوى السفارة، وإن لم يصرّح مدّعوا الارتباط بصاحب العصر عجل الله فرجه بها.

وجديرٌ ذكره: أنّ التشرّف بزيارة الوجود المبارك لصاحب الأمر عجل الله فرجه الذي يعبّر عنه باللقاء غير ادّعاء البابيّة أو السفارة. ولا شكّ أنّ اللقاء به وزيارته ليس أمراً محالاً، كما نال هذا الشرف عباد صالحون في عصر الغيبة، كما أنّ نيل الهداية الباطنيّة من جانبه عليه السلام ممّا لا شكّ فيه، وبابه مفتوح أمام اللائقين به. والوجه فيه: أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام مجرى الفيض الإلهي، كما أنّ الذات الإلهيّة المقدّسة تمنح الفيض اللائق لكلّ مستفيضٍ بواسطة خلفائها وأوليائها.

وهناك فرقٌ كبيرٌ بين هذين المعنيين، أعني: بين اللقاء والارتباط بالإمام المعصوم وبين ادّعاء البابيّة والسفارة، وهو لا يخفى على أهل البصيرة. ولعلّ

---

١ . راجع: فرهنگ فرق اسلامى (معجم الفرق الإسلاميّة): ٨٨.

هداية إمام العصر الباطنيّة للشيخ المفيد رحمه الله وتصحيح فتواه[1] مثال بارز لهذه الإفاضات. إلاّ أنّه لا ينبغي الغفلة عن أنّ هناك تفاوتاً ـ كالتفاوت بين السماء والأرض ـ بين حصول هذه الهداية وبين ادّعاء البابيّة والسفارة.

وعلى أساس حكم العقل والنقل كان من وظائف محبّي ومنتظري الظهور الحقيقيّين تكذيب مدّعي السفارة وتلقّي الأحكام من قبل الإمام[2]؛ وذلك أنّ فتح الباب أمام ادّعاء المدّعين يخلق جوّاً من شأنه أن يجعلنا نسمع كلّ يومٍ بل كلّ لحظةٍ ظهور من يدعو إلى نفسه ويدّعي أنّ له رسالةً يجب إيصالها إلى البشر، ممّا قد يفسح المجال لمن يدّعي التغيير في الأحكام والفرائض، فيفضي إلى رواج الهرج والمرج. وعلى هذا الأساس لا يكون تكذيب هذا المدّعي واجباً فحسب، بل يحرم كلّ ما من شأنه أن يقوّي ويجرّئ هؤلاء المدّعين؛ بدليل العقل وحرمة الإعانة على الإثم.

وفي عصر الغيبة الكبرى لصاحب العصر عجّل الله فرجه يلزم على الأُمّة الإسلاميّة لغرض الفرار عن دعوى غياب التكاليف والأوامر الصادرة عن أئمّة الهدى عليهم السلام إمّا إطاعة الفقيه الجامع للشرائط في فروع الدين عن درايةٍ وإمّا الاستناد إلى رأي أهل الخبرة والدراية من ذوي الأمانة والعدالة ممّن له القدرة على استنباط الأحكام الشرعيّة عن طريق الأدلّة العقليّة والنقليّة لتنظيم حياة الفرد والمجتمع.

ثمّ إنّه لا اعتبار بالمنامات والرؤى أو دعاوى الارتباط وتلقّي الأوامر من

---

١ . راجع: زندگى دانشمندان (قصص العلماء): ٣٨٤.

٢ . حسبما ورد ذكره في التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة: **«سيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة. ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذبٌ مفترٍ»**. (كمال الدين ٢: ١٩٣ والاحتجاج ٢: ٥٥٦، مع اختلافٍ يسيرٍ).



الإمام المعصوم عليه السلام في تحديد التكليف العملي للمجتمع تجاه إمام العصر عجل الله فرجه؛ إذ لم تُؤمر الأُمّة الإسلاميّة أوّلاً باتّباع هذه الظنون، كما لا توجد ثانياً أيّة ضابطة أو قانون لإثبات صدق الرؤيا أو الادّعاء، حتّى يمكن تشخيص الصحيح من السقيم منها. وإلاّ فلو قلنا بجواز أن يدّعي كلّ فرد رؤية الإمام أو تلقّي أمر يحدّد له وظيفته الشرعيّة ونحوها من المسائل، فلا يخفى على أيّ عاقل بأنّ دين الله في هذه الحالة لن يبقى مصوناً من التغيّر والتبدّل، كما أنّ المسلمين المنتظرين لن يتمكّنوا من متابعة سيرهم الملكوتي في طريق الانتظار بصورة سليمة؛ إذ لن يبقى للإسلام أساس، بل ينهار النظام الفقهي والاجتماعي للإسلام والمجتمع حينئذ.

والذي لاينبغي الذهول عنه: أنّ باب السفارة والنيابة الخاصّة في عصر الغيبة الكبرى قد انسدّ نهائيّاً ولن يدّع ذلك إلاّ «**كذّابٌ مفترٍ**»، كما أنّ ارتباط المحبّين المنتظرين بالإمام المنتظر لا يتحقّق إلاّ عن طريق العمل بفتاوى النوّاب العامّين له. إلاّ أنّه ينبغي كذلك الحذر من الوقوع في الإفراط في محبّة النوّاب العامّين، ما يؤدّي إلى سراية حكم النائب الخاصّ إلى النائب العامّ؛ إذ الإفراط والتفريط لاينشئان إلاّ عن الجهل: «**لا ترى الجاهل إلاّ مفرطاً أو مفرّطاً**».[1]

فتبيّن في هذا البحث أُمور:

الأوّل: أنّ كتاب الله والعترة الطاهرة بحسب البرهان العقلي مصدران معرفيّان لكافّة المسائل الاعتقاديّة والفضائل الأخلاقيّة والأحكام الفقهيّة والحقوقيّة.

الثاني: أنّ لتهذيب النفس طريقاً مشروعاً ينيره العقل القطعي والنقل المعتبر.

---

١ . نهج البلاغة، الحكمة ٧٠.

الثالث: أنّ الأدعية والمناجاة والأذكار المأثورة والزيارات الواردة طرق مشروعة، ولها فوائد جمّة وآثار عظيمة.

الرابع: أنّه يلزم الاقتداء بالأفراد الصالحين المتشرّعين والفقهاء المأمونين والحكماء المتديّنين والمتكلّمين الحاذقين والمحدّثين الماهرين.

الخامس: أنّ المدّعين كذباً للبابيّة والسفارة والإمامة قد لا يقلّ عددهم عن الكذّابين المدّعين للنبوّة الذين يقال لهم متنبّين، ونحوهم مدّعوا الألُوهيّة كذباً كفرعون وأضرابه.

تكاليف المنتظرين في ضوء الدعاء المهدوي

إنّ الإمام الموجود الموعود المنتظر ﷺ أفضل معلّم للانتظار الصادق، كما أنّ الأدعية المأثورة عن الإمام الغائب عن الأنظار والبيانات النوريّة الواردة عنه تمثّل درساً تربويّاً يساعد السالكين طريق الانتظار والنصرة الساعين إلى الوصول إلى المقصد ونيل المقصود. إنّ الدعاء المأثور القائل: «**اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة**»[١] ـ الذي هو من الأدعية الواردة عن هذا الإمام الهمام ﷺ ـ يبيّن جملة من الواجبات الفرديّة والاجتماعيّة للمنتظِر. كما أنّ هذا الدعاء درسٌ عظيمٌ صدر عن حالة تضرّع، واشتمل على جملة من الأوصاف المطلوبة في آخر ذخيرة إلهيّة، فعلى كلّ منتظرٍ صادقٍ أن تكون له لياقة التحلّي بتلك الفضائل. ويمكن القول بأنّ هذا الدعاء يتضمّن سائر الصفات المطلوبة في المنتظرين الصادقين للحجّة ﷺ. ويحتوي هذا الدعاء المبارك أيضاً على جملة من صفات الفرد والمجتمع المهدوي المطلوب ونحوها ممّا سنسعى في هذا المقال إلى تبيينها وتوضيحها.

---

١ . البلد الأمين: ٣٥٠، دعاء آخر مروي عن المهدي ﷺ.

وإليك نصّ الدعاء الشريف:

«اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية، وصدق النيّة، وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهّر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفف أيدينا عن الظلم والسرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، وأسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وتفضّل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلّمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتّباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفّة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة، وعلى الغزاة وبالنصر والغلبة، وعلى الأُسراء بالخلاص والراحة، وعلى الأُمراء بالعدل والشفقة، وعلى الرعيّة بالإنصاف وحسن السيرة، وبارك للحجّاج والزوّار في الزاد والنفقة، وأقض ما أوجبت عليهم من الحجّ والعمرة، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين».

الوظائف الشخصيّة للمنتظِرين

النواحي الشخصيّة

الأوّل: على المنتظر أن يكون ممّن له ارتباطٌ وثيقٌ بالله تعالى وممّن يسعى إلى التحلّي بالصفات العليا والفضائل الأخلاقيّة التالية:

أ ـ توفيق الطاعة: إنّ المنتظر الصادق من أهل الطاعة لله والنبي ﷺ والإمام المعصوم عليه السلام، فيطلب دوماً من الله تعالى أن يوفّقه لهذا النحو من الطاعة. **«اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة»**.

ب ـ البعد عن المعصية: إنّ المعاصي موانع في السير إلى الله تعالى، وهي أهمّ عامل في سقوط الإنسان. ولذا يجب على المنتظر الحقيقي لإمام العصر ﷺ أن يطلب توفيقاً إلهيّاً لترك المعاصي، كما عليه أن يسعى إلى تحقيق هذا الأمر في نفسه. وجدير ذكره: أنّ الذنوب وإن وقع تقسيمها إلى صغيرةٍ وكبيرةٍ، إلاّ أنّ كلّ عصيان لأمر الله معصية كبيرة. «**وبعد المعصية**».

ج ـ النيّة الخالصة: إنّ إصلاح النيّة وخلوصها إلى أعلى قدر الإمكان يحول دون الوقوع في شائبة الشرك والرياء في سائر مراتبه، فلا يقوم العبد المنتظر إلاّ بما يكون طاعة لله ورضى للحقّ تعالى، وهذه هي وظيفة أهل الانتظار. «**و صدق النيّة**».

د ـ معرفة ما حرّم الله: لا يمكن للعبد أن يترك المعاصي ما لم يعرف ما حرّم الله سبحانه على عباده ومعرفة حكمته البالغة من وراء ذلك. وإذ كان الحرام بمعنى ما لا يصحّ أن نقتحمه ونكشف عنه الستار: سواء أكان ذلك حقّاً أم ديناً أم قانوناً... فالمنتظر الذي يجهل المحرّمات الإلهيّة ولا يدرك حريمها، لن يأمن من عدم الوقوع في ارتكابها. ومن هذا المنطلق يلزم معرفة المحرّمات الإلهيّة. «**و عرفان الحرمة**».

الثاني: على الإنسان الذي يكون في حال ترقّب ظهور أكرم أهل عصره أن يطلب من ربّه الكريم المنّان أن يزيده في حفظ كرمه ومنحه أسباب الكرامة، كما عليه أن يسعى إلى اكتساب الطرق الباعثة إلى تلك الكرامة: «**وأكرمنا بالهدى**».

فمنها: طلب الهداية التكوينيّة: إنّ أساس كرامة النفس الإنسانيّة الاهتداء بنور الدين الإلهي ومراعاة التقوى، فمن لم يسلك مسير الطاعة والهداية وقع في ظلمات الجهالة والانحراف، فيكون محروماً من الكرامة الإلهيّة الخاصّة بالإنسان. فعلى المنتظر أن يبذل جهده العلمي والعملي ليحقّق الأرضيّة المناسبة لتعزيز الهداية التكوينيّة في نفسه.



ومنها: طلب الاستقامة في مسير الهداية: قد ينال الإنسان حظّاً من الهداية الإلهيّة، إلاّ أنّه قد يغفل بعدها عن الحقّ تعالىٰ، فيميل إلىٰ أهوائه وميوله، فينحرف عن جادّة الحقّ، ويقع في مستنقع الضلالة، فينطفئ نور الهداية لديه ويلفّه ظلام ليل الانحراف عن الحقّ. فعلىٰ المنتظرين الصادقين أن يستقيموا في مسير الهداية الذي عرّفه الله لهم مع التمسّك بالعلم والإيمان لاتّقاء كلّ ميلٍ أو انحرافٍ عن الطريق المستقيم؛ لتشملهم أعلىٰ درجات الهداية التي هي ثمرة الاستقامة في مسير الهداية. «**و الاستقامة**».

الثالث: اللسان ترجمان عقل الإنسان وفكره، فعلىٰ أهل الانتظار الالتزام بالقول الحسن وصيانة اللسان من الزلل. ويُستفاد ممّا ورد من تعاليم في هذا الدعاء الشريف أنّه يجب علىٰ المنتظرين الصادقين السعي إلىٰ صون ألسنتهم ممّا لا ينبغي قوله:

أ ـ القول الصائب: يجب علىٰ المنتظرين الصّادقين أن لا يقولوا إلاّ الحقّ وأن يبتعدوا عن القول المخاطب للصواب (في الجدّ والهزل). «**و سدّد ألسنتنا بالصواب**».

ب ـ الكلام الحكيم: ليس من الحكمة الكلام فيما لا نفع فيه: دينيّاً كان أو دنيويّاً، كما أنّ ما ليس بحكيم من القول من اللغو الذي ينبغي علىٰ أهل الإيمان الإعراض عنه. فمن اللائق بأهل الانتظار أن لايتكلّموا إلاّ عن حكمةٍ وأن يصونوا لسانهم عن اللغو. «**و الحكمة**».

الرابع: أنّ قلب الإنسان المنتظر وعاء لا يليق أن يرتسم فيه ما شاء من علوم ومعارف... وقد ورد في هذا الدعاء الشريف من العلوم والمعارف الحقّة التي يلزم أن تنتقش في قلب المؤمن، كما أنّ من واجب المنتظرين الصادقين أن يتناولوا هذا الموضوع بالبحث:

أ ـ كسب نور العلم: إنّ اكتساب نور العلم والخروج من ظلمة الجهل من آكد وظائف منتظري ظهور إمام العصر ﷺ، و لـمّا كانت العلوم الكسبيّة لاتتيسّر من دون تعليم وتعلّم، يجب على المنتظرين الصّادقين أن يسعوا جاهدين إلى كسب العلم الحصولي وتهذيب القلوب لإدراك الحقائق بالعلم الحضوري. **«واملأ قلوبنا بالعلم»**.

ب ـ كسب نور المعرفة: المعرفة أخصّ من العلم، ولذا تطلق على العلم الحاصل بإدراك الآثار وتمييزها عن غيرها إلى جانب إدراك خصوصيّات الأمر المعلوم. وعلى المنتظرين الصادقين أن لا يكتفوا بتحصيل العلم، بل عليهم أن يتعمّقوا ويوسّعوا من دائرة معارفهم وصولاً إلى المعرفة الحقّة. وعليه فكلّ معرفةٍ علمٌ، وليس كلّ علم معرفة. **«والمعرفة»**.

النواحي الاجتماعيّة

دائرة الأمن الإقتصادي

من وظائف أهل الانتظار أن تكون لديهم نشاطات اقتصاديّة مشروعة تدرّ عليهم ما يساعدهم على تأمين معاشهم ووسائل رزقهم. ثمّ إنّ النّشاط الإقتصادي المشروع يساعد الفرد والمجتمع على تأمين احتياجاته، وأمّا ممارسة النشاطات غير المشروعة فيضعّف من مكانة الفرد والمجتمع ويؤدّي إلى ضياع الأمن الإقتصادي.

وهذا الجانب الهامّ إنّما يتحقّق في ضوء الاهتمام فيما ورد في هذا الدعاء الشريف:

أ ـ الابتعاد عن كسب المال الحرام الّذي لا يحوم إلاّ حول هتك خطوط الأحكام الإلهيّة والظلم والإجحاف بحقّ الآخرين. **«وطهّر بطوننا من الحرام»**.

ب ـ اجتناب الأموال الّتي يختلط فيها الحلال والحرام بنحو لا يمكن تحديد الحلال منها. «و **الشبهة**».

دائرة الأمن الإجتماعي

يتحقّق الأمن الاجتماعي والأخلاقي للمجتمع الإسلامي من خلال مراعاة الجهات الستّ التالية:

الأُولىٰ: رعاية حقوق الآخرين التي تمّ بيانها في هذا الدعاء الشريف ضمن عنوانين كلّيين:

أ ـ أنّ تضييع حقوق الآخرين أو عدم إعطاء أصحاب الحقّ حقوقهم يعدّ مصداقاً للظلم: سواء أكان الحقّ حقّ الشخص نفسه أم كان حقّ الآخرين، وسواء أكان الحقّ حقّ الله أم حقوق المخلوقات، وسواء أكان الحقّ مادّياً أم معنويّاً. فمن وظائف المؤمنين المنتظرين أن: «**اكفف أيدينا عن الظلم**».

ب ـ لو أقدم شخص عن قصدٍ وعلمٍ علىٰ أخذ شيء ـ مادّياً كان أو غير مادّي ـ من حقوق الآخرين خفية بلا مبرّر شرعي، عدّ هذا الفرد سارقاً. إنّ أهل الانتظار الحقيقيّين لا يحافظون علىٰ هويّة الآخرين وحقوقهم فحسب، بل لا يقدمون علىٰ سرقة أيّ حقّ من صاحبه. «**والسرقة**».

الثانية: أنّ غضّ البصر يجعل العيون الطاهرة لائقةً للنظر إلىٰ مظاهر جمال الحقّ، وأمّا العيون غير الطاهرة فهي مفتاح حصول الرجس والدرن في القلب وحرمانه من النظر إلىٰ مظاهر التجليّات النوريّة للحقّ. وعلىٰ هذا الأساس يلزم صيانة العين من أمرين:

أ ـ أنّ الإعراض عن العمل بمقتضىٰ التقوىٰ واعتدال الأخلاق الإنسانيّة موجب لظهور الفسق والفساد وارتكاب الفجور والموبقات. وللفجور معنىٰ



ينسجم مع كلّ شيء بحسبه: ففجور العين أن يرىٰ بها مناظر تخالف رؤيتها مقتضىٰ التّقوىٰ. وعليه فاجتناب هذه المناظر من وظائف من تعلّق قلبه بانتظار آخر ذخيرة إلهيّة. «**واغضض أبصارنا عن الفجور**».

ب ـ الخيانة هي العمل ـ ولو مع القصد القلبي ـ علىٰ خلاف عهد تكويني أو تشريعي يلزم بالعمل بمقتضاه. والخيانة كالفجور لها معنىٰ ينسجم مع كلّ شيء تعلّق به بحسبه. وعلىٰ هذا الأساس فخيانة العين هي أن يستعملها علىٰ خلاف إرادة أوامر خالقها. وعليه فاجتناب خيانة العين من وظائف أهل الانتظار. «**والخيانة**».

الثالثة: أنّه لا يكون لقول الحقّ أو كلام الله ثمرة في القلب ما لم توجد أذن لها قابليّة الاستماع، ولو كان الكلام في مقام الفاعليّة التامّة. فيجب علىٰ الفرد و المجتمع الذي يعيش حالة انتظار وليّ الله في زمانه أن ينزّه كلامه حتّىٰ تكون لها قابليّة تامّة، وذلك إنّما يتحقّق إثر مراعاة الأمرين التاليين:

أ ـ أنّ كلّ فعل أو قول لا ثمرة فيه ولا يرتكز علىٰ أُسس فكريّة يعدّ لغواً يوقع المرء في العبث وينسيه ذكر ربّه. فيجب علىٰ المنتظرين الصادقين لإمام العصر أن يحفظوا أسماعهم من اللغو. «**وأسدد أسماعنا عن اللغو**».

ب ـ أنّ الغيبة هي ذكر المسلم بما يكره، وإذ كان لهذه المعصية الكبيرة دورٌ في كدورة روح الإنسان وتضييع قابليّة الهداية لديه، كان خليقاً بالمؤمنين المنتظرين أن يجتنبوا الاستماع إلىٰ هذا النحو من الكلام. «**والغيبة**».

وظائف مختلف أطياف المجتمع

نشير في الفقرات التالية إلىٰ وظائف سائر أطياف المجتمع والفرق المختلفة المكوّنة له؛ إذ تارةً يقسّم المجتمع علىٰ أساس العلم وأُخرىٰ علىٰ أساس المستوىٰ



الاقتصادي، وثالثة على أساس المكانة السياسيّة، ورابعة على أساس المراحل العمريّة أو الجنس. فلنشرع في الإشارة بشكل منفصل إلى وظائف كلّ فئة منها:

١ ـ وظائف العلماء:

يقف العلماء ـ لاسيّما علماء الدين وحماة حريم الدين ـ في الصفّ الأوّل لقافلة الإصلاح وسداد الأمّة. وعلى هذا الأساس تقع على عاتقهم مسؤوليّة كبيرة في مجال تهيئة الأرضيّة اللازمة لظهور آخر حجّةٍ إلهيّةٍ ﷺ. والشروع في الإشارة إلى وظائف هذه الفئة قبل سائر الفئات مرجعه إلى أهمّيّة وخطورة وظيفة هذه الفئة بالقياس إلى سائر الفئات وإلى دور هذه الطبقة الريادي المؤثّر في إصلاح ثقافة الانتظار وهداية المنتظرين. إنّ من أهمّ مايقع على عاتق هذه الفئة مايلي:

أ ـ الزهد: إنّ أخطر آفة تواجه العلماء هي طلب الدنيا والميل إلى التعلّقات الدنيويّة[١]. فعلى العلماء أن يسعوا إلى تقوية ملكة الزهد لديهم والإعراض عن زينة الحياة الدنيا الحقيقيّة والاعتباريّة إلى درجة تجعل باطنهم لا يميل إلى الدنيا أو التعلّق بها أبداً، فلا تكون الدنيا لهم سوى طريقٍ لتشييد بناء الآخرة، وبهذه الملكة يندفعون إلى إصلاح أنفسهم وتصحيح سلوك الأُمّة المنتظرة. «**وتفضّل على علمائنا بالزهد**».

ب ـ النصيحة: النصح بمعنى الخلوص التامّ والنزاهة عن الشوائب والرياء. لقد ورد في هذا الدعاء الشريف أنّ على العلماء أن ينزّهوا فكرهم وقولهم وفعلهم من شوب الكدورات، وأن يخلصوا في إرادة الخير لهذه الأُمّة، فلا يفكرون ولا يقومون إلاّ بما فيه الخير لهم وما فيه صلاحهم. ومن اتّصف بهذه

---

١ . راجع: غرر الحكم: ٤٨ وبحار الأنوار ٢: ٥٢، الباب ١١.

الصفات كان جديراً بالانتماء إلى زمرة المنتظرين الصادقين؛ نظراً إلى أنّ إمامهم المنتظر أفضل الناس في زمانه زهداً ونصيحة، و لا يمكن لمن ليست له سنخيّة مع إمامه أن يكون من جملة أوليائه ومنتظريه. «**والنصيحة**».

٢ ـ وظائف طلبة العلوم

الفئة الثانية الّتي لها تأثيرٌ عميقٌ في هداية الأُمّة الإسلاميّة هي فئة الطلبة، وبالأخصّ طلبة العلوم والمعارف الإلهيّة. هناك جملة من الوظائف الّتي تقع على عاتق هذه الفئة لغرض تهيئة الأرضيّة لتأسيس ثقافة الانتظار والإصلاح والتمهيد للظهور، وهي كما يلي:

أ ـ السعي لطلب العلم: بذل الجهد لايعني إلاّ تسخير جميع القدرات وتمام الجهود البشريّة للوصول إلى المقصود. إنّ الفرد أو المجتمع الفاشل لا يتمكّن من استيعاب مراتب الانتظار الحقيقيّة، ولا يمكنه أن يساهم في إيجاد الأرضيّة لظهور إمام يمثّل خزانة العلم الإلهي[1]. ومن هذا المنطلق فالسعي إلى تحصيل وطلب العلم من آكد وظائف المنتظرين الحقيقيّين لذلك الإمام الهمام ﷺ، ولا سيّما طلبة العلوم الدينيّة وطلبة الجامعات. «**وعلى المتعلّمين بالجهد**».

ب ـ الرغبة في كسب العلم: الرغبة هي الميل الشديد، وهي صفة أُخرى يمتاز بها الطلبة المنتظرون من الذين لهم ميل شديدٌ الى كسب العلم والوقوف على آخر الابتكارات العلميّة والفكريّة وإنتاج العلم والمعرفة. ومنه يتّضح: أنّ على الطلبة المنتظرين أن يسعوا ويجتهدوا في تحصيل العلم بكلّ شغفٍ ورغبةٍ؛ نظراً إلى أنّ السعي بلا رغبةٍ وشوقٍ لايفضي إلاّ إلى الجمود والخمول، فتتوقّف وتنطفئ شعلتها. «**و الرغبة**».

---

١ . حسبما أُشير إليه في الزيارة الجامعة، فراجع من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٠٩.

٣ ـ وظائف المستمعين

وأمّا الأفراد الذين لا ينتمون إلى طبقة العلماء ولا إلى زمرة المتعلّمين فيطلق عليهم لنكتة خاصّة تسمية المستمعين؛ لإفهامهم بأنّ من لم يكن من العلماء والمتعلّمين فليس له من طريق للسعادة إلاّ الاستماع واتّباع طريق العلماء العاملين. إنّ الدور الخطير لهذه الفئة ينحصر في هذين العنوانين الكلّيّين:

أ ـ الاتّباع: يفيد الاتّباع الحركة المترافقة مع الميل والإرادة خلف شخص أو شيء، فيتبعه في العلم أو الفكر والنظر. وعلى هذا الضوء فالاستماع أوّل خصائص أهل الانتظار الحقيقيّين، وهو إنّما يتحقّق عن ميلٍ ورغبةٍ في اتّباع العارفين بالدين والعلماء الربّانيين الذين يحيطون علماً بمقصد ومقصود أوامر المعصوم عليه السلام، فيتحرّكون على سنّة القرآن الهادي والعترة الطاهرة، ولا ينحرفون عنهما. «**وعلى المستمعين بالاتّباع**».

ب ـ الموعظة: الموعظة هي الإرشاد إلى الحقّ عن طريق التذكير النافع المؤثّر، إلاّ أنّه بقرينة المقام إلى جانب جملة من القرائن اللفظيّة كالمستمعين و الاتّباع يمكن أن نفهم أنّ المقصود من الموعظة الاتّعاظ، أي: قبول الإرشاد. وعلى هذا الأساس فعلى المنتظرين المستمعين أن يفتحوا قلوبهم تجاه كلام العلماء الربّانيين النابع من معارف القرآن والعترة السامية. «**والموعظة**».

٤ ـ كبار السنّ

لكبار السنّ في كلّ مجتمعٍ تأثيرٌ كبيرٌ في حركة وتربية الأجيال بما لها من خبرات كبيرة ودروس قيّمة في الحياة، وتربية المجتمع المنتظر لا تخرج عن هذه القاعدة. و لذا فمن اللائق أن تتّصف هذه الفئة بأمرين وردت الإشارة إليهما في

الدعاء الشريف بعنوان أنّهما وصفان محبوبان عند الله، لتكون هذه الفئة من أهل الانتظار الحقيقي وتكون قدوةً عمليّة للآخرين:

أ ـ حفظ الوقار: الوقار بمعنى الرزانة والثبات قبال الخفّة. ويُستفاد ممّا ورد في هذه الفقرة من الدعاء الملكوتي لصاحب العصر عليه السلام أنّ على كبار السنّ أن يحافظوا على رزانتهم وحلمهم في العمل والفكر، مع اجتناب كلّ عمل ينقص من قدرهم أو من تقدير الناس لهم ومن مكانتهم لديهم. «**وعلى مشايخنا بالوقار**».

ب ـ حفظ السكينة: السكينة هي الاستقرار والطمأنينة البدنيّة والروحيّة، وهي الصفة الثانية التي ينبغي على الشيوخ وكبار السنّ أن يتّصفوا بها. ثمّ إنّ طبع الكبار وإن كان يقتضي قلّة الصبر وعدم الثبات، إلاّ أنّ على الشيوخ المنتظرين أن يتجنّبوا الغضب أو الوقوع في الاضطراب وفقدان التوازن قولاً وفعلاً وسلوكاً، بل عليهم أن يحافظوا على طمأنينتهم واتّزانهم. «**والسكينة**».

والمجتمع الذي يتمتّع شيوخه بتلك الأوصاف الحسنة من التعامل مع أُمور الحياة ومشاكلها بوقار وسكينة، لن يجد شبابه في كبار السنّ إلاّ صدراً رحباً وملجأ مطمئنّاً يفيض عليهم بالشفقة، مع استلهام إرشادات العلماء في السير في طريق الهداية والاستعانة بكلّ الإمكانات المادّيّة اللازمة وسبل التكامل المعنوي.

٥ ـ الشباب

الشباب رأس مال المجتمع أوّلاً ومستقبل ذلك المجتمع ثانياً، فلهم دورٌ كبيرٌ في نشر الفكر الديني السليم. وفي ضوء الأهمّيّة والمكانة الخاصّة لفئة الشباب يلزم عليهم اجتناب الوقوع في حبائل الآفات الروحيّة والوساوس الشيطانيّة. ولذا فالحيويّة والنشاط الكبير الذي يتمتّع به الشباب من أفضل الطرق الموجبة



لرقيّهم إلى أسمى المراحل الماديّة والمعنويّة. إلاّ أنّهم لو لم يخضعوا لإرشادات العقل، وقعوا في مستنقع الفساد، فتضيع طاقاتهم وتذهب ملكاتهم هدراً.

إنّ ارتباط الشباب الدائم بالله تعالى ومراقبتهم الدائبة لسلوكهم أنجح طريق لحماية نعمة الشباب. وما ورد في فقرات هذا الدعاء حول سمات الشباب المنتظرين يمثّل أفضل الطرق الباعثة على صيانة هذه النعمة الإلهيّة:

أ ـ الإنابة: وهي الاستغناء عمّا سوى الله والتوجّه التّام إليه سبحانه. يجب على الشباب المنتظر أن يتسلّحوا بالتهذيب وتزكية النفس؛ ليتمكّنوا من تنزيه فكرهم وميولهم عن التعلّق بما سوى الله تعالى والإعراض عن كلّ مقصد لا يوصل إلى المقصود الحقّ، فييمّموا وجوههم إلى الله تعالى مع الإخلاص التامّ. **«وعلى الشباب بالإنابة»**.

ب ـ التوبة: إنّ طبيعة الشباب الحماسيّة و ورح الاندفاع لديهم عرضة للوقوع في أحابيل الشيطان وفي مستنقع الذنوب. ومن هنا يجب على الشباب المنتظر أن يراقبوا بشكل مستمرّ أعمالهم وأفكارهم، فإن وقعوا في ارتكاب الذنوب على إثر الغفلة، كان عليهم أن ينيبوا إلى الله تعالى ويسقوا أرواحهم من بحر الرحمة الإلهيّة اللامتناهي، ويغسلوا ذنوبهم بماء التوبة ليتطهّروا من أدران تلبيسات إبليس. **«والتوبة»**.

وجدير ذكره: أنّ الإنابة والتوبة وإن كانا أمرين ضروريّين لسائر فئات المجتمع على اختلاف مكانتهم وأعمارهم، إلاّ أنّ مرحلة الشباب تتطلّب أكثر من غيرها الاهتمام بهذين الأمرين.

٦ ـ النساء

النساء جزءٌ هامٌّ من المجتمع الإسلامي، فيقع على عاتقهنّ مسؤوليّة توفير

السكينة والأمن النفسي للمجتمع، وهي وظيفة لا مثيل لها في الأهمّيّة و الخطورة. كما أنّ صلاح النسل الحاضر وسداد الأجيال القادمة يتوقّف على صلاحهنّ وسداد هنّ. والآفة الكبرىٰ التي يمكن أن تمنع من أن تكون هذه الفئة من المجتمع منتجةً مثمرةً ـ مع التسليم بقدرتهنّ علىٰ إضفاء السعادة علىٰ الفرد وعلىٰ المجتمع، وإن أمكن أن تكون أداة وسبباً لانحطاطهنّ وانحطاط مجتمعهنّ ـ هي فقدانهنّ للصفات التي أشار إليها إمام العصر ﷺ ممّا يلزم علىٰ نساء الأُمّة المهدويّة مراعاتها وطلبها من ساحة العزّ الربوبي:

أ ـ الحياء: الحياء بمعنىٰ مراقبة النفس خشية الوقوع في الرذائل والمساوئ والعيوب. إنّ النساء المنتظرات أمينات علىٰ مظهر أسماء الجمال الإلهي، فيجب عليهنّ أن يحافظن علىٰ هذه الأمانة الإلهيّة ويحفظن أنفسهنّ من الوقوع في أحابيل ووساوس الشياطين الظاهرة والباطنة ونحوها ممّا يسعىٰ إلىٰ خرق حريم الشرع والعقل والأخلاق وتضييع هذه الأمانة الإلهيّة الكبرىٰ. فعلىٰ النساء أن يتجنّبن كلّ قولٍ أو فعلٍ يخالف موازين تعاليم القرآن والعترة ويفضي إلىٰ كدورة أو ظلمة لأرواحهنّ، فيقعن في قبضة الشيطان. «**وعلى النساء بالحياء**».

ب ـ العفّة: إنّ النساء اللواتي ينتظرن آخر حجّة لله ﷺ حرس حريم العفّة. والعفّة ـ التي تعني حفظ النفس عن اتّباع الميول والشهوات النفسانية ـ من أسمىٰ صفات النساء من أهل الإنتظار. ومع أنّ الجاهليّة المعاصرة ربطت بين الحياة وبين الميول وأهواء النفس و تزيين الشهوات، إلاّ أنّه يجب علىٰ النساء المنتظرات اللواتي يحرسن حريم العفّة السعي لتمهيد الأرضيّة لسموّ أرواحهنّ واتّقاء الوساوس النفسانيّة والشيطانيّة، وعليهنّ أن لا يبدين أيّة زينة خارج أرواحهنّ، ولا يلحظن أيّ فخر ووسام غير جوهر وجودهنّ الإلهي. «**والعفّة**».



تنبيه: إنّ إفراد هاتين الصفتين وتخصيص النساء المنتظرات بها لا يعني بالضرورة اختصاص هذه الفضائل بالنساء، بل من الجدير بكلّ فرد أن يتحلّىٰ بهذه الأوصاف، أعني: الحياء والعفّة، وإن كان اتّصاف النساء بها أجمل.

٧ ـ الأغنياء

الأغنياء هم الأُمناء علىٰ مال الله ومجرىٰ بعض العطايا والمواهب الإلهيّة. وهناك فارقٌ كبيرٌ بين أغنياء المجتمع الإسلامي الذين يعيشون علىٰ أمل انتظار المهدي الموعود الموجود ﷺ، وبين الذين يتنافسون علىٰ تكاثر المال، فيحبّون أموالهم وتجارتهم أكثر من حبّهم لله[١]. والوجه فيه: أنّ الأغنياء المنتظرين يتحلّون بمكارم الصفات التالية:

أ ـ التواضع: الاستكبار والإحساس بالعظمة ممّا يوجب وقوع الإنسان في الغفلة ومظنّة الهلاك، كما يزداد خطر الابتلاء بهذه الآفة حينما يؤدّي امتلاك الفرد لنعمة المال والعطايا الإلهيّة إلىٰ تحوّله إلىٰ قارون أو فرعون زمانه، فيتوهّم أنّ حصوله علىٰ هذه الثروة علىٰ إثر جهده الشخصي وحسن تدبيره. ومن هذا المنطلق يجب علىٰ الغني الذي يعيش علىٰ أمل انتظار آخر حامل للواء الفكر التوحيدي أن يسعىٰ إلىٰ اكتساب أعلىٰ درجات التواضع، أي: أن يحسّ في باطنه وظاهره الذلّ الذي يطلق عليه الفقر المحض في قبال الله العزيز الغني، كما يعتقد بأنّ ثروته عطيّة ونعمة إلهيّة، فعليه أن يضع نفسه إلىٰ سائر عباد الله جنباً إلىٰ جنب، فلا يتميّز عنهم بشيء. «**وعلى الأغنياء بالتواضع**».

ب ـ السعة في العطاء: علىٰ الأغنياء المنتظرين أن يؤدّوا شكر النعمة والفضل الإلهي ببذل شيءٍ من هذه النّعم الإلهيّة علىٰ المستحقّين قصد رفع وحلّ مشاكل

---

١ . إشارة إلىٰ ماورد في سورة التوبة، الآية: ٢٤.



إخوانهم وأخواتهم في الإيمان. وعليهم أن لا يكتفوا بأداء حقوقهم الشرعيّة كالخمس والزكاة و... بل عليهم أن يسعوا إلى جانب ذلك إلى الإغداق على المحتاجين قصد مساعدتهم على تجاوز صعوبات الحياة، ما يكون لديهم تأثير إيجابي في المجتمع الإيماني. «**والسعة**».

٨ ـ وظائف الطبقة الفقيرة

كما أنّ على أغنياء الأُمّة الإسلاميّة التواضع والسعة في العطاء لينتفع أهل الإيمان من الطبقات الفقيرة المحرومة، فإنّ على الفقراء والمحرومين أن يتّصفوا بصدقٍ بالصفات التالية الموجبة لحفظ الاستغناء في أنفسهم والاستعداد للانتظار الحقيقي:

أ ـ الصّبر: الصبر حفظ النفس عن الجزع والحيرة، لا البرود والإحجام عن أيّ ردّ فعل. يجب على هذه الفئة من المنتظرين الحقيقيّين لإمام العصر عجّل الله فرجه ـ أعني: ممّن لا ينتمون إلى طبقة الأغنياء ـ أن يتجنّبوا الوقوع في الجزع والحيرة الباعث على الوقوع في مستنقع الانحراف، بل يجب عليهم أن يتحلّوا بالسكينة والطمأنينة في النفس، والاتّكال على الله القادر، والصبر على بلاء المعيشة وضيق الرزق: «**وعلى الفقراء بالصبر**».

ب ـ القناعة: إنّ نار الرغبة في زيادة الرزق والطمع حين تلتقي مع حرقة الفقر والحاجة تحرق الإيمان وتدفع الإنسان إلى حافّة الكفر[1]. أمّا القناعة التي هي العيش بحسب القدرة المتوفّرة والامكانات المتاحة فهي كنز لا يفنى، فتنقذ الفرد من الإحساس بالحاجة وتهيّء الأرضيّة لتعالي الإنسان وارتقائه سلّم الكمال. ولذا ينبغي على الفقراء الّذين تعلّقت قلوبهم بانتظار إمام زمانهم عجّل الله فرجه

---

١ . قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كاد الفقر أن يكون كفراً**» (الكافي ٢: ٣٠٧).



أن يعيشوا بقناعة مع حفظ ماء الوجه وعزّة النفس، كما عليهم أن يهيّؤوا في أنفسهم الأرضيّة للظهور.« **والقناعة**».

٩ ـ وظائف الحكّام والقادة

إنّ للحكّام والقادة الذين يضطلعون بمسؤوليّات كبيرة سياسيّة أو اقتصاديّة أو ثقافيّة أو اجتماعيّة في المجتمع الإسلامي دوراً هامّاً في تهيئة الأرضيّة لظهور إمام العصر ﷺ، كما لهم تأثيرٌ كبيرٌ فيه. ولذا بيّن هذا الدّعاء الشريف الوظائف التي ينبغي الاضطلاع بها كما يلي:

أ ـ العدالة: العدالة بمعنى الحركة التي تتوسّط الإفراط والتفريط بنحو لا يعتريها نقص أو زيادة. إنّ مراعاة العدالة في تمام شؤون إدارة المجتمع الإسلامي من آكد وظائف قادة الحكومة الإسلاميّة في عصر الغيبة «**وعلى الأُمراء بالعدل**».

ب ـ الشفقة: الرأفة والمداراة الناشئة عن التفريط والتشدّد الناجم عن الإفراط من آفات إدارة المجتمع. فعلى الحكّام من أهل الانتظار أن يختاروا سلوكاً يجمع بين الرحمة والتسامح وبين الصلابة والحزم والقدرة؛ لغرض سوق المجتمع نحو ظهور دولة المهدي ﷺ.«**والشفقة**».

١٠ ـ وظائف القوّات المسلّحة

القوات المسلّحة هي الحافظ لثغور الأُمّة الإسلاميّة وحدودها والمدافعة عن كيان النظام الإسلامي، وقد حددّ الدعاء الشريف وظائفها على النحو التالي:

أ ـ النصر: من منظار الفكر التوحيدي لا يكون النصر إلاّ من عند الله: ﴿**وَمَا النَّصرُ إلاَّ مِن عِندِ الله العَزِيزِ الحَكِيم**﴾[1] كما أنّ الله في نصرة من نصر دين الله

---

١ . سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

بالحفاظ عليه والتبليغ له: ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1]. وعلى هذا الأساس فمن أولى واجبات القوات المسلّحة السعي إلى تقوية النظام والدفاع عن كيان الدين حتّى يتحقّق لهم نصر الله تعالى. «**وعلى الغزاة بالنصر**».

ب ـ الغلبة: التفوّق على الجاحدين للفكر التوحيدي إحدى آمال بقيّة الله ﷻ. وعلى أساس الفقرة الواردة في الدعاء الشريف يلزم على القوّات العسكريّة في زمن الغيبة تحصيل القدرات التكتيكيّة والفنّيّة والنظم الدفاعيّة إلى جانب السعي إلى تعزيز الإيمان والصبر والاستقامة، كما تشير إلى ذلك جملة من آيات الذكر الحكيم كقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُم مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً﴾[3].

١١ ـ وظائف الرعيّة

وللأُمّة الإسلاميّة بدورها دورٌ هامٌّ، وهو النصيحة لحكّامها في عصر غيبة وليّ الله الأعظم ﷻ، فلو عملت الأُمّة والقادة بحسب ما تمليه عليه واجباتهم تجاه بعضهم الآخر، لم يطمع الأعداء في سلب هويّتهم و غصب حقوقهم. ويمكن تلخيص وظائف الرعيّة كما وردت في الدعاء الشريف فيما يلي:

أ ـ الإنصاف: أوّل مايلزم مراعاته على الرعيّة تجاه بعضهم الآخر وتجاه الحكومة الإسلاميّة رعاية الاعتدال والمساواة في أداء الحقّ، وهو ما يسمّى بالإنصاف. إنّ الأُمّة التي تتعامل مع قادتها بالإنصاف: إمّا أن تتصرّف معهم

---

١ . سورة محمّد، الآية: ٧.

٢ . سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

٣ . سورة الأنفال، الآية: ٦٥.



بنحوٍ من الإفـراط فتعتـبرهم حكّامـاً مـستبدّين، وإمّـا أن تنحـوَ معهـم منحـىٰ التفريط فتساهم في إضعافهم وتخلية الساحة من أمثالهم.

ولا يخفىٰ: أنّ لقوّة أو ضعف الحكّام غـير المعـصومين ـ وإن كـانوا عـادلين ـ تأثيراً كبيراً مباشراً في مختلف شؤون المجتمع. فلو أعانت الرعيّة رعاتهـا وقادتهـا بمراعاة الحقّ والإنصاف، استطاعت أن تساهم في تعزيز جانب الإصلاح فـيهم وسدّ النقص والضعف في حكومتهم. وعلىٰ هذا الأساس فالإنـصاف مـن اَكـد وظائف الرعيّة المنتظرة. «**وعلى الرعيّة بالإنصاف**».

ب ـ حسن الـسلوك: ومـن وظـائف عامّـة أفـراد الرعيّـة المنتظـرين حـسن السلوك مع النأي عن الحبّ أو الكره بلا مبرّرٍ والبعد عن الرذائل و الفـواحش، ما يؤدّي إلىٰ إصـلاح الحكّـام وإضـفاء الأمـل في قلـوب العـاملين في الحكومـة الإسلاميّة وزرع اليأس في الأعداء وإلىٰ تعزيز روابـط الاتّحـاد والانـسجام بـين أفراد الاُمّة. ثمّ إنّ حسن السيرة بين الأفراد تجاه بعضهم الآخر وإن كـان واجبـاً علىٰ كافّة المسلمين، إلاّ أنّ هذه الخصلة بقرينة قوله: «**وعلى الأمراء**» وورود لفـظ الرعيّة بعدها توضّح أنّ الإمام في مقـام بيـان الوظـائف المتبادلـة بـين الحكومـة والاُمّة الإسلاميّة. ومع الأخـذ بعـين الاعتبـار الامكانـات والقـدرات المتاحـة المساهمة في مؤازرة الدولة الإسلاميّة علىٰ طريق تحقيق التقدّم ورفـع النقـائص في المجتمع الإسلامي يتّضح أنّ من مـصاديق العمـل بهـذه الوظيفـة هـو: «**حـسن السيرة**».

سائر وظائف المنتظرين

وبالإضافة إلىٰ ما ذكر فهنـاك فقـرات وردت في الـدعاء الـشريف لايـوحي ظاهرها بأنّها تتحدّث عن واجبات المنتظرين، إلاّ أنّه مـع التأمّـل فيهـا يتبـيّن أنّ

تحقّق الأهداف التي هي من أهمّ مقاصد إمام العصر ﷺ لا يتمّ إلاّ بعد القيام بهذه الوظائف، ما يهيّء الأرضيّة لتحققّها. ولـمّا كان السعي إلى تحقّق أهداف الإمام المعصوم عليه السلام من وظائف أنصار الحجّة كانت تهيئة الأرضيّة لتحقّقها أيضاً من جملة واجبات المنتظرين. وإليك نزراً منها:

الأوّل: أنّ الارتقاء بالمستوى الصحّي العامّ وسائر الخدمات الصحّيّة (من قبيل التأمين الإجتماعي) من واجبات أفراد الأُمّة والحكومة الإسلاميّة؛ إذ إنّ أسباب الشفاء والعافية من الله. **«وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة»**.

الثاني: أنّ تذكّر الموتى وطلب الرأفة والرحمة الإلهيّة لهم من الأهداف المطلوبة لدى الإمام ﷺ ومن واجبات المنتظرين أيضاً. ويمكن القول بأنّ هذا العمل ـ مضافاً إلى أبعاده المعنويّة غير المادّيّة وآثاره الوفيرة ـ يذكّر بالموت وبالمعاد ويعزّز العلاقة العاطفيّة بين الأخلاّء الأحبّاء الذين انتقلوا إلى رحمة ربّهم، كما أنّ التذكّر وسيلة لمواساة أحبّاء الميّت. فهذه جملة من الموارد التي يمكن الإشارة إليها في ضوء قوله: **«وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة»**.

الثالث: أنّ إطلاق الأسرى والسجناء من الأهداف المطلوبة لدى إمام العصر ﷺ. ويمكن القول: إنّ العمل على تحقيق الأمن الاجتماعي وتقليل الأسباب المؤدّية إلى الجريمة والجناية التي تفضي إلى أسر الإنسان مضافاً إلى العمل على مساعدة هؤلاء الذين كانوا ضحيّة للأسر بدفع الدية عنهم أو السعي إلى إطلاق أسرهم من قبضة العدوّ الآسر... من الأُمور التي يجب أن تنهض بها الأُمّة والمجتمع المنتظر. **«وعلى الأُسراء بالخلاص والرّاحة»**.

الرابع: أنّ التأكيد على الحجّ والعمرة دليلٌ على الأهمّيّة الكبرى لهذا البرنامج العبادي السياسي. ويمكن أن نذكر من لوازمه تيسير مقدّمات سفر الحجّ والعمرة وإيجاد الأرضيّة اللازمة للقيام بأعمال الحجّ على النحو الأكمل؛ باعتباره

وسيلة لتعلّم المعارف الحقّة وأسرار الزيارة، وهو ما يدخل في وظائف الحكومة الإسلاميّة: «**وبارك للحجّاج والزوار في الزاد والنفقة، واقض ما أوجبت عليهم من الحجّ والعمرة**».

تذكير

الأوّل: أنّ هذا الدعاء الذي يبيّن واجبات المنتظرين اشتمل أيضاً على بيان برنامج الحكومة المهدويّة ﷺ؛ إذ إنّ المراتب الكماليّة من الفضائل المذكورة إنّما تتحقّق إثر حسن تدبير الإمام عليه السلام في زمان حكومته الإلهيّة.

الثاني: أنّه قد تتحقّق جميع هذه الأوصاف في فردٍ أو مجتمعٍ، إلاّ أنّه لا يُترقّب أن تتوفّر هذه المكارم والفضائل مجتمعةً من كلّ منتظرٍ.

الثالث: أنّه يجب على كلّ منتظر ـ مع الأخذ بعين الاعتبار ما يمكنه القيام به ـ أن يسعى إلى التحلّي بالفضائل المذكورة في الدعاء واحدة بعد أُخرى، ولاسيّما ما كان منها مورد ابتلاء له حتّى تنتقش في روحه هذه الفضائل من خلال أداء وظائف المنتظرين الحقيقيّين لوليّ الله الأعظم ﷺ.

الرابع: أنّه لا مجال للركود أو التوقّف في طريق اكتساب الفضائل، بل ينبغي التحرّك والسعي نحو تحقيق أعلى مراتب هذه الفضائل والمكارم بالاستلهام من الفيض الإلهي وبركات دعاء إمام العصر ﷺ وعناياته.

دعاء العهد من وظائف المنتظرين الحقيقيّين

قد تقدّم منّا غير مرّة: أنّ التضرّع والدعاء سلاح المؤمن الحقيقي: «**اغفر لمن لا يملك إلاّ الدعاء**»[1]؛ نظراً إلى أنّ جوهر الدعاء هو الاعتراف بالفقر والحاجة

---

١ . إقبال الأعمال: ٧٠٩، الباب التاسع، فصل فيما نذكره من الدعاء والقسم على الله... .

إلىٰ الغني المطلق؛ إذ ليس ما سوىٰ الله إلاّ الفقر المحض: ﴿أَنتُم الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾.[١] ومضافاً إلىٰ اضطلاع المؤمن المنتظر بالوظائف العمليّة الممهّدة لظهور إمام العصر ﷻ، ينبغي عليه أن لا يغفل عن الدعاء للإمام الغائب عن الأنظار عليه السلام.

ودعاء العهد أحد الأدعية الشريفة الواردة عن الإمام الصّادق عليه السلام، وهو بالإضافة إلىٰ مضامينه وإرشاداته القيّمة يعدّ أحد أهمّ الأدعية المخصوصة بمنتظري الإمام المهدي الموجود الموعود ﷻ. والدّعاء يتضمّن جملة من المعارف التوحيديّة ويؤكّد علىٰ ضرورة الارتباط الدائم بإمام العصر ﷻ ولزوم الاستقامة واستمرار الدفاع عنه مع الإشارة إلىٰ الخطوط العريضة لبرنامج حكومة إمام العصر ﷻ ونحو ذلك من المعارف السامية الواردة في هذا الدعاء الشريف.

وقد وردت في الفقرة الأُولىٰ من هذا الدعاء الملكوتي كلمة التوحيد والثناء علىٰ الله والإقرار بربوبيّته وبإرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الأديان الإلهيّة التي هي من تجلّيات ربّ العزّة. ثمّ يبدأ التوسّل بعظمة الأسماء الإلهيّة وسرمديّة ذات الباري وطلب إبلاغ الإمام القائم بأمر الله الصلاة والسلام عليه. وهذا المقطع يبرز مدىٰ الترابط بين الإمامة والتوحيد إلىٰ جانب انحصار طريق معرفة الإمام في الارتباط بهذا المقام المنيع. والوجه فيه ما تقدّم من: أنّ من لم يعتقد بتوحيد الله وربوبيّته، لا يمكنه أن يعرف الإمام أو أن يرتبط به.

ثمّ أُشير في الفقرة اللاحقة من هذا الدعاء الشريف إلىٰ عقد الداعي المنتظر العهد مع إمامه وإشهاد الله عليه؛ لغرض توكيد هذا العهد الذي علىٰ أساسه

---

١ . سورة فاطر، الآية: ١٥.



يكون الداعي في كلّ زمانٍ ومكانٍ من أنصار إمام العصر وأتباعه الذابّين عنه والعاملين بسنّته وسلوكه، سائلاً الله أن يسدّده ليبذل مهجته في هذا الطريق. ثمّ يطلب الداعي من الله تعالىٰ أن ينال زيارة مظهر الجمال والجلال الإلهي مع الإشارة إلىٰ ظهور الفساد في البرّ والبحر وطلب تعجيل فرج حجّة الله وظهوره.

إنّ هذه الفقرات من الدعاء التي تصف حالات المنتظرين الحقيقيّين ترشد السالكين إلىٰ جوانب أُخرىٰ من أبعاد الانتظار الحقيقي وتوضّح أنّ حياة المجتمع رهينة ظهور آثار إمام العصر وعناياته ﷺ. وأمّا الفقرات الأخيرة من هذا الدعاء فهي ناظرة إلىٰ برنامج حكومة الإمام الحجّة، وفيها إشارة إلىٰ جملة من الأُمور التي سيقوم بها آخر حجّة إلهيّة حين ظهوره.

وإليك نصّ الدعاء الشريف:

«اللّهمّ ربّ النور العظيم وربّ الكرسي الرفيع وربّ البحر المسجور ومُنزل التوراة والإنجيل والزبور وربّ الظلّ والحرور ومُنزل الفرقان العظيم وربّ الملائكة المقرّبين والأنبياء والمرسلين. اللّهمّ إنّي أسألك باسمك الكريم وبنور وجهك المنير وباسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون. يا حيّاً قبل كلّ حيّ، يا حيّ لا إله إلاّ أنت. اللّهمّ بلّغ مولانا الإمام الهادي المهدي القائم بأمرك ـ صلّى الله عليه وعلى آبائه الطّاهرين ـ عن جميع المؤمنين والمؤمنات ـ في مشارق الأرض ومغاربها، برّها وبحرها، سهلها وجبلها ـ وعنّي وعن والديّ وولدي وإخواني من الصلوات زنة عرشك ومداد كلماتك وما أحصاه كتابك وأحاط به علمك. اللّهمّ إنّي أُجدّد في صبيحة يومي هذا وما عشت فيه من أيّامي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول. اللّهمّ اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابّين عنه والمسارعين في حوائجه والممتثلين لأوامره ونواهيه والمحامين عنه والمستشهدين بين يديه. اللّهمّ فإن حال بيني وبينه الموت الذي

جعلته على عبادك حتماً مقضيّاً، فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرّداً قناتي، ملبّياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي. اللّهمّ أرني الطلعة الرشيدة والغرّة الحميدة، وأكحل ناظري بنظرةٍ منّي إليه، وعجّل فرجه، وأوسع منهجه، واسلك بي محجّته، وأنفذ أمره، وأشدد أزره، وقوّ ظهره، وأعمر اللّهمّ به بلادك، وأحي به عبادك؛ فإنّك قلت وقولك الحقّ: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِي النَّاس﴾.[1] فأظهر اللّهمّ وليّك وابن وليّك وابن بنت نبيّك، المسمّى باسم رسولك صلواتك عليه وآله في الدنيا والآخرة؛ حتّى لا يظفر بشيءٍ من الباطل إلاّ مزّقه، ويحقّ الله به الحقّ ويحقّقه. اللّهمّ واجعله مفزعاً للمظلوم من عبادك، وناصراً لمن لا يجد له ناصراً غيرك، ومجدّداً لما عُطّل من أحكام كتابك، ومشيّداً لما ورد من أعلام سنن نبيّك، واجعله اللّهمّ ممّن حصّنته من بأس المعتدين. اللّهمّ وسرّ نبيّك محمّداً ﷺ برؤيته ومن تبعه على دعوته، وارحم استكانتنا من بعده. اللّهمّ اكشف هذه الغمّة عن هذه الأُمّة بحضوره، وعجّل اللّهمّ ظهوره؛ إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، برحمتك يا أرحم الرّاحمين. (ثمّ تضرب على فخذك الأيمن بيدك ثلاثاً وتقول:) العجل العجل العجل يا مولاي يا صاحب الزمان».[2]

* * *

---

١ . سورة الروم، الآية: ٤١.

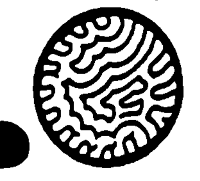
٢ . البلد الأمين: ٨٣ ـ ٨٤. الصلاة في يوم الجمعة، وبحار الأنوار ٩١: ٤٢ ـ ٤٣، كتاب الصلاة، الباب ٤٥.



الباب الثالث:

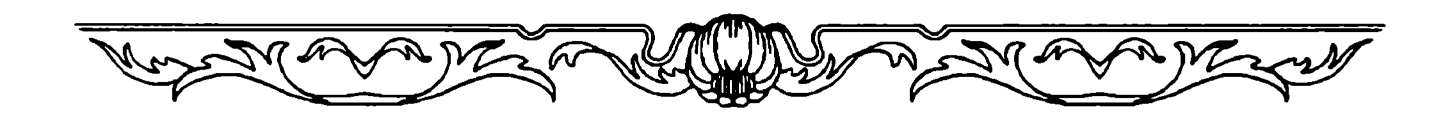
من الظهور إلى المدينة الفاضلة





الفصل الأوّل:

حتّى ظهور الشمس



ضرورة الظهور

إنّ معيّة القرآن والعترة أصل حاكم لا يعتريه الخلل، ويدلّ على إثباته حديث الثقلين المتقدّم. ويمكن في ضوء هذا البيان الاستدلال على ضرورة ظهور آخر إمام ومنج للبشريّة ﷺ من خلال ضرورة وجود القرآن وظهوره في عالم الطبيعة.

وتوضيح ذلك يحتاج إلى بيان أُمور:

الأوّل: أنّ إنزال القرآن الكريم يضمن تحقيق جملة من الأهداف السامية من قبيل هداية الناس ﴿**هُدًى للنَّاس**﴾[1] وحضّهم على إقامة حكومة العدل: ﴿**لِيَقُومَ**

---

١ . سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

النَّاسُ بِالقِسطِ﴾[١] علىٰ اعتبار أنّ من المتعذّر قيام عامّة البشر بالعدل في ظلّ غياب حكومة الحقّ، إلىٰ جانب إخراج البشر من ظلمة الجهل إلىٰ نور الهداية: **﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾**[٢].

الثاني: أنّ هذه الأهداف إنّما تتحقّق عند نزول هذا الكلام الشريف إلىٰ عالم الطبيعة، فيلزم أن يكون الوجود الكتابي تحت اختيار عامّة الناس، وإلاّ فإنّ إنزال القرآن من مقام اللوح المحفوظ الذي هو **﴿مِن لَدُن حَكِيم عَلِيم﴾**[٣] إلىٰ البيت المعمور في ليلة القدر المباركة: **﴿إِنَّا أَنزَلنَاهُ فِي لَيلَةِ القَدرِ﴾**[٤] كما ذهب إليه بعضهم[٥] إن لم يتحقّق ظهوره في عالم الطبيعة في قالب وجود كتابي بين أيدي الناس ـ مع الغضّ عن هدايته وتنويره قلوب المطهّرين الذين يتمكّنون من الوصول إلىٰ البيت المعمور ـ لن يساعد علىٰ تحقيق الأهداف العامّة للقرآن التي يلحظها المجتمع الإنساني بلحاظ كلّي. وعليه فلابدّ من نزول الكلام الإلهي في عالم الطبيعة.

والإمام المعصوم في كلّ عصر عِدل القرآن الكريم، فالأهداف التي حدّدها الله تعالىٰ لنزول القرآن هي الأهداف السامية المنشودة للإمام المعصوم عليه السلام، ما يترتّب عليه ضرورة نصب الإمام واختياره.

ولو فرضنا نصب الإمام لإمامة الأُمّة الإسلاميّة من وراء حجاب الغيبة وغياب ظهوره لعامّة الناس ـ أي: دون أن يكون له بروز مشهود ـ لم يمكن أن

---

١ . سورة الحديد، الآية: ٢٥.

٢ . سورة إبراهيم، الآية: ١.

٣ . سورة النمل، الآية: ٦.

٤ . سورة القدر، الآية: ١.

٥ . راجع جامع البيان ٢: ١٩١ ـ ١٩٢، تفسير سورة البقرة.

تبلغ تلك الأهداف العامّة للإمامة مستواها العملي الفعلي. وعليه يبقى عموم الناس محرومين من الحضور الدائم لإمام العصر ﷻ حال غيبته، وإن كان يقضي حوائج أوليائه الذين ارتبطوا به واستناروا بفيضه، إلاّ أنّ الأهداف السامية من الإمامة ـ أي: هداية عموم البشر ـ ستبقى غير فعليّة آنذاك.

وعلى هذا الأساس يكون ظهور الوجود المبارك لوليّ الله الأعظم إمام العصر المهدي الموعود الموجود ﷻ أمراً ضرورياً حتمياً. نعم، يبقى أمر غيبته وطول مدّتها، وهو أمرٌ يرجع سبب الحرمان منه إلى قابليّة المجتمعات الإنسانيّة، كما أشار إليه بعضهم بالقول: وعدمه منّا[1].

وفي المقام روايات عديدة أشارت إلى حتميّة ظهور صاحب الأمر ﷻ من قبيل ما رواه عبد الله بن عمر قال: سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول: «**لو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ واحدٌ، لطوّل الله (عزّ وجلّ) ذلك اليوم حتّى يخرج رجلٌ من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً. كذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول**»[2].

كما ورد في بعض الأخبار بأنّ ظهور الحجّة ﷻ من العلامات الحتميّة ما قبل يوم القيامة. فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**قال رسول الله ﷺ: عشر قبل الساعة لا بدّ منها: السفياني والدجّال والدخان والدابّة وخروج القائم وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام وخسفٌ بالمشرق وخسفٌ بجزيرة العرب ونارٌ تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر**»[3].

---

١ . أنظر كشف المراد: ٣٨٨، المقصد الخامس، المسألة الأولى، والمسلك في أصول الدين (المحقّق الحلّي): ١٩٤.

٢ . كمال الدّين ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٥، الباب ٣٠.

٣ . الغيبة (الطوسي): ٤٣٦، ذكر طرف من العلامات الكائنة قبل خروجه ﷻ.



آثار سنة الظهور

١ ـ إحياء الصراط المستقيم

اشتملت سورة الفاتحة على دعاء يدعو به المؤمن بالله تعالى في اليوم أكثر من مرّة: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم * صِرَاطَ الذِّينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾[١]. والصراط المستقيم هو الطريق الّذي ينشده الذين أنعم الله عليهم، كما أنّنا نطلبه من الله العلي القدير.

وتوضّح سورة النساء المباركة أبرز مصاديق الذين أنعم الله عليهم بالقول: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرّسُولَ فَأُولَئِكَ الّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّـلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقا﴾[٢]. وإذ يتمّ تحديد من هم الذين أنعم الله تعالى عليهم، يتمّ بالتبع تحديد حقيقة الصراط المستقيم.

ولاتّباع صراط الذين أنعم الله عليهم لوازم تساهم في اللحوق بهم والوصول إليهم، منها عدم تقديم العون إلى المجرمين. فمن اتّبع صراط الذين أنعم الله عليهم أدرك بأنّ اكتساب النعم الإلهيّة يستلزم عدم تقديم يد العون إلى الظالمين، كما أشار إلى ذلك كليم الله موسى عليه السلام الذي كان من الّذين أنعم الله عليه بالقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَنعَمتَ عليَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِلمُجرِمِين﴾[٣].

وعندما يظهر الوجود المبارك لصاحب العصر عجل الله فرجه، يتمّ إحياء جميع السنن، فيكون الذين أنعم الله عليهم ممّن يسير على سنّة هذه الطرق المستقيمة آمنين من مؤازرة المجرمين الظالمين؛ لأنّهم سعوا بكلّ ما أُوتوا من جهدٍ وقوةٍ لإحياء الحقّ وإماتة الباطل.

---

١ . سورة الفاتحة، الآيتان: ٦ ـ ٧.

٢ . سورة النساء، الآية: ٦٩.

٣ . سورة القصص، الآية: ١٧.

فلا يمكن لهؤلاء بأيّ حالٍ من الأحوال أن يكونوا ظهيراً للمجرمين والظالمين؛ وذلك أنّ مساعدتهم لهم لا تتمّ بالحضور بين ظهرانيهم وتقديم العون لهم في أعمالهم فحسب، بل السكوت عليهم لا يفضي إلاّ إلى إضعاف الحقّ وتقوية الباطل، وهو أحد مصاديق إعانة المجرم، كما أورد ذلك بعض المحدّثين عن خاتم الأنبياء ﷺ بالقول: «**إنّ الساكت عن الحقّ شيطانٌ أخرس**»[1].

٢ ـ الظهور نقطة تحوّل تاريخي

لا شكّ أنّ ظهور صاحب العصر عجّل الله فرجه لايمثّل بداية لمرحلةٍ تاريخيّةٍ وضّاءةٍ فحسب، بل هو نقطة تحوّل تاريخي كبير في تاريخ البشريّة، نظير ما أشار إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث يصف ظهوره ـ كما مرّ غير مرّة ـ بالأوصاف التالية: «**يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي**»[2].

ولعلّ التعبير بنقطة عطف أو نقطة تحوّل الذي كثر استعماله في زماننا الحاضر مأخوذ من هذا البيان النوري. فإذا كان مسير حركة المجتمعات الإنسانيّة عبارة عن خطّ، فلا مفرّ له من أن تتّبع مسيراً يقودها إلى غاية ومقصد مّا. وهناك جملة من الأحداث الواقعة في طيّ تاريخ البشريّة ممّا مثّل نقطة تحوّل فيه؛ لأنّنا نلاحظ أنّ في هذه الحوادث (بقطع النظر عن قيمتها المعياريّة) غيّرت مسير حركة المجتمع، وأدّت إلى أن تتّجه القافلة الإنسانيّة إلى اتّجاهٍ جديدٍ، وكأنّ قبلة هذا المسير انحرفت قليلاً عن قبلة المسير السابق، ويسمّى هذا النحو من الأحداث نقطة عطف أو نقطة تحوّل.

---

١ . فقه السنّة ٢: ٦١١، ووضوء النبي ١: ٢٠٣.

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨.

ولكلّ نقطة عطف جهةٌ خاصّةٌ وامتدادٌ مخصوصٌ، فقد يكون تحوّل مسير المجتمع الإنساني بواسطة هذه النقاط من العدل إلىٰ الظلم ومن العلم إلىٰ الجهل، ومعه لن تكون نقطة التحوّل هذه إلاّ مثالاً لسقوط المجتمع البشري. كما أنّ الذين يحدثون مثل هذا التحوّل في المجتمعات إمّا من المنكرين للوحي المتجاهلين له وإمّا من المستندين إلىٰ أفكارهم وأوهامهم الباطلة، فيعرضون علىٰ المجتمع عقيدةً بلا أساسٍ باعتبارها ديناً لهم، فيكونون مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿يَكتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِن عِندِ الله﴾[١]. وإذ عطفوا الهداية علىٰ الهوىٰ وكلام الله علىٰ آراءهم وأوهامهم، و إذ كان المعطوف تابعاً للمعطوف عليه وفرعاً له، اعتبر هؤلاء أنّ رأيهم هو الأصل، فسعوا إلىٰ تأويل كلام الله حسب رأيهم الباطل وزعمهم الآفل.

وفي المقابل فقد كان لأنبياء الله عليهم السلام وللأئمّة المعصومين عليهم السلام وتلاميذهم تأثيرٌ عميقٌ في تاريخ البشريّة؛ إذ حوّلوا وعطفوا حركة المجتمعات الإنسانيّة من الانحطاط والتشرذم إلىٰ النور والفلاح. إنّ هذه النقاط التاريخيّة المنيرة وإن قادت الناس إلىٰ قبلةٍ واحدةٍ، إلاّ أنّها تختلف فيما بينها بلحاظ سعة تأثير كلّ نقطة منها في دائرة المكان والزمان. وأمّا ظهور الوجود المبارك لإمام العصر عجّل الله فرجه فهو نقطة عطف عالميّة شاملة تعطف مسير المجتمع البشري ضمن دائرة تشمل كافّة الأمكنة والأزمنة نحو الهداية والسموّ والرقيّ.

وإذ كان كلّ من العلم والعمل أو الفكر والدافع من يؤمّن تحوّلات المجتمع الإنساني، كان للوجود المبارك لإمام العصر عجّل الله فرجه تأثير عميق في هذين الجانبين، ما يعدّ معه نقطة عطف نهائيّة. فعلىٰ المستوىٰ العلمي والفكري يثير الإمام دفائن

---

١ . سورة البقرة، الآية: ٧٩.



عقول البشر، فيعود الحسّ والخيال والوهم تحت إدارة العقل. كما أنّ العقل يصير تابعاً وخادماً للوحي، فيهتدي بهدي الكلام الإلهي، فتتحوّل مسارات الإدراك البشري نحو الحقّ لتصل إلى الرقيّ المنشود.

وعلى مستوى الدافع أو العمل تكون الميول والتوجّهات والانجذاب والنفور والشهوة والغضب كلّها تحت إدارة العقل العملي، كما أنّ العقل العملي يكون تحت إمرة الوحي، فيكتمل وينضج، فيتحوّل وينعطف كلّ انحرافٍ نحو طريق الهداية المستقيم، فتتشكّل أكمل نقطة تحوّل وعطف للعالم الإنساني: نقطة عطف يعود فيها هوى النفس إلى الهداية، وآراء البشر إلى محور الوحي، فتتحقّق سعادة المجتمع الإنساني.

٣ـ الظهور يوم طلوع ثمرة جهود المجتمعات الإنسانيّة

يتقدّم المجتمع البشري كلّ يوم خطوة إلى الأمام في مسير تكامله، إلاّ أنّ هذا التقدّم إمّا أن ينصبّ على جانب غير إنساني من قبيل التقدّم الصناعي، وإمّا أن يقتصر على جانبٍ واحدٍ من ضمن مختلف جوانب تكامل الإنسان. ويُلاحظ: أنّ شجرة المجتمع إنّما تثمر حين يجتمع فيها الرأي الصائب على مستوى الفكر والالتزام بمباني الحقّ والعدالة على مستوى العمل والباعث. ولا يتحقّق هذا النحو من الكمال الذي يؤمّن حقيقة الحياة الإنسانيّة إلاّ في ظلّ شمس الوحي والنبوّة وشعاع نور الولاية والإمامة.

وكما أنّ الأرض تشعّ بنور الشمس وتنجو من الظلمات فتكون حياتها رهينةً بهذا الفيض، فإنّ أرض القلوب البشريّة في أمسّ الحاجة إلى النور الإلهي الذي يرفع عنها ظلمات الجهل، فتعمّها أنوار الهداية، ويزول عنها الظلم والجور، وتمتلئ عدلاً وإحساناً، ويضمحلّ عنها الباطل بإشراق شمس الفكر الساطع من شمس الهداية الإلهيّة.



وهذا النحو من الثمار الطيّبة إنّما هو نتاج ظهور وليّ الله الأعظم ﷺ وعناياته وبركاته التي تقضي على آفات الفكر والدوافع البشريّة بإثارة دفائن العقول وإحياء القلوب الميّتة، كما أنّه يطفئ بظهوره كلّ حرب أجّج نارها الطغاة: ﴿كُلَّمَا أَوقَدُوا نَاراً لِلحربِ أَطفَأَهَا الله﴾.[1] وسيتمّ الله به نوره، ويقضي به على من سعى إلى إطفاء نور كلمته وشعاعها: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِؤُوا نُورَ الله بِأَفوَاهِهِم وَالله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَو كَرِهَ الكَـفِرُون﴾[2] فيهيّء نور الله الأرضيّة لحياة البشر: ﴿وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3].

٤ ـ الظهور تجلّ للمنّة الإلهية

المنّة ـ كما تقدّم ـ هي النعمة الإلهيّة التي يمنّ الله بها على الخواصّ من عباده الصالحين، فهي نعمة كبيرة لن يتمكّن إلاّ الخواصّ من تحمّلها. وهي نعمة لا كسائر النعم؛ إذ إنّ النعم وإن وسعت كلّ شيء في السماوات والأرض، إلاّ أنّها غير دائمة مطّردة؛ إذ قد يأتي يومٌ وتزول فيه هذه النعمة، ما لا يليق بشأن التكريم الإلهي حتّى يقال عنه: إنّه منّة. فالشّمس ـ رغم عظمة أنوارها ـ سيأتي يومٌ عليها تنطمس فيه أنوارها وإشراقها، فينطبق عليها حكم قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمسُ كُوِّرَت﴾[4] والقمر رغم تمام جلائه وضيائه سيأتي عليه يومٌ يصير محكوماً بحكم: ﴿وَخَسَفَ القَمَر﴾.[5] وعليه فما كان في الأيّام السالفة مشرقاً ثمّ أتى عليه يومٌ صار فيه مظلماً لا يليق به أن يسمّى منّة؛ إذ المنّة هي العطيّة التي

---

١ . سورة المائدة، الآية: ٦٤.

٢ . سورة الصفّ، الآية: ٨.

٣ . سورة الزمر، الآية: ٦٩.

٤ . سورة التكوير، الآية: ١.

٥ . سورة القيامة، الآية: ٨.



لاتعرف الأُفول، ولا تكون محكومة بالزوال، ولا يعتريها الخسوف أو الكسوف، ولا يطفئ نورها شيء.

لقد أطلق الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ نبوّة رسوله الأكرم ﷺ صفة المنّة التي منّ الله تعالىٰ بها علىٰ المسلمين: ﴿لَقَد مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أنفُسِهِم﴾[1]. نعم، إنّ نبّوة ذلك الوجود المبارك ورسالته مصباحٌ منيرٌ لا يمكن لأحد أن يطفئ نوره، كما أفادت زينب الكبرىٰ عليها السلام في الشام بين يدي الحكومة الأمويّة الفاسدة: «لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا».[2] وهذا السراج المنير كما أنّه لا ينطفئ، فكذلك تكون سائر الأنوار مقهورة لنوره: ﴿واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَو كَرِهَ الكَـفِرُون﴾[3].

ثمّ إنّ الإمامة ـ كما مرّ غير مرّة ـ امتدادٌ لخطّ النبوّة، فهي منّة إلهيّة علىٰ العباد، وظهورٌ تامّ للنعمة الإلهيّة العظيمة، وحين تظهر شمس جمال المهدي الموجود الموعود عجّل الله فرجه بعد غيبتها، ستنير العالم بنور ربّها: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ استُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِين﴾[4].

زمان قيام القائم

وليتفطّن: أنّ وقت ظهور الحجّة القائم بالحقّ عجّل الله فرجه غير معلوم، كما لا يحيط به إلاّ الله تعالىٰ أو من أعلمه الله بذلك. و قد ورد في بعض الأخبار أنّ زمان الظهور كزمان يوم القيامة: «**إنّما مثله كمثل الساعة: ﴿ثَقُلَت فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ**

---

١ . سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

٢ . اللهوف: ١٩٤ المسلك الثالث، وبحار الأنوار ٤٥: ١٣٥، الباب ٣٩.

٣ . سورة الصفّ، الآية: ٨.

٤ . سورة القصص، الآية: ٥.



لاتَأْتِيكُم إِلاَّ بَغتَةً﴾[1]»[2].

فقد ظهر: أنّ زمان الظهور من الأسرار الإلهيّة، فتحديد أيّ وقتٍ له لا اعتبار به، بل نهىٰ الأئمّة المعصومون عليهم السلام عن التوقيت، كما ورد ذلك عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام. عن عبد الرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مِهزَمٌ فقال له: جُعلت فداك، أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظره: متىٰ هو؟ فقال: «**يا مهزم، كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون**»[3]. وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن القائم عجل الله فرجه فقال: «**كذب الوقّاتون. إنّا أهل بيت لا نوقّت**».[4]

ولا يخفىٰ: أنّ عدم تعيين وقت الظهور والتأكيد علىٰ كتمانه لا يعني بالضرورة عدم اطّلاع الإنسان الكامل علىٰ زمانه، بل للإنسان الكامل الذي له إحاطة كاملة بإذن الله بتمام عوالم الإمكان اطّلاع علىٰ نتائج العلم الأزلي وساحة العلم المقرون بالبداء، فلا يُستثنىٰ من ذلك زمان الظهور. إلاّ أنّ مصلحة عدم تحديد وقت الظهور تقتضي كتمان هذا السرّ. ويشهد له ما أفاده الإمام الصّادق عليه السلام لأبي بصير؛ إذ لم يقل له: إنّنا لا نعلم بوقت الظهور، بل قال له: «**إنّا أهل بيت لا نُوقِّت**».

ولا شكّ أنّ يوم ظهور الحجّة عجل الله فرجه أحد أبرز مصاديق أيّام الله، فينبغي علىٰ كلّ مسلم أن ينتظره انتظار واعياً صادقاً.

---

١ . سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

٢ . كفاية الأثر: ١٦٧، وبحار الأنوار ٣٦: ٣٤١، الباب ٤١.

٣ . الكافي ١: ٣٦٨، باب كراهيّة التوقيت.

٤ . المصدر السابق.

المظاهر العامّة لعصر الظهور

ثمّ إنّ وضع العالم قبيل ظهور خاتم الأولياء عليه السلام سيكون كما كان عليه الوضع قبيل ظهور خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: لقد كان للناس ملل متعدّدة ونحل متنوّعة في غفلةٍ عن أُصول الأديان الإلهيّة والقوانين البشريّة وإعراضٍ عن المواثيق الدوليّة، معتبرين الأهواء الفرعونيّة القانون الحاكم السائد بينهم في تمام المناسبات والأحداث، حسبما يُستفاد من قوله تعالى: ﴿**قَد أَفلَحَ اليَومَ مَن استَعلَى**﴾[1].

وعلى أثر القراءات المتعدّدة للدين قد تواجه الكتب الإلهيّة والمعارف الوحيانيّة والمجتمعات الإنسانيّة مشاكل معقّدة لم يشهدها العصر النبوي؛ وذلك أنّ أكبر معضلة كانت تواجه الناس آنذاك هي عبادة الأصنام الخشبيّة أو الحجريّة التي لا يحتاج بيان فسادها وسقمها إلى مؤونةٍ. إلاّ أنّ من المتعذّر على الناس إدراك خطأ بعض التأويلات والقراءات المعاصرة، ما يجعلهم في حيرةٍ من أمرهم: «**القائم عليه السلام يلقى في حربه ما لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاهم وهم يعبدون حجارةً منقورةً وخشباً منحوتة، وإنّ القائم يخرجون عليه، فيتأوّلون عليه كتاب الله، ويقاتلونه عليه**».[2]

وفي ظلّ هذه الأوضاع الحسّاسة التي تكون الإنسانيّة فيها تحت سيطرة الأهواء النفسانيّة والعقل تحت سلطنة الوهم والخيال، كما تؤوّل فيها المعارف الوحيانيّة والكتب السماويّة على أساس الآراء الباطلة، مع أُفول الفضائل و المكارم وغياب احترام العهود والمواثيق، تشتاق قلوب البشر إلى شمس الظهور

---

١ . سورة طه، الآية: ٦٤.

٢ . الغيبة (النعماني): ٢٩٧، الباب ١٧.

وإلى انقشاع ظلمة الليل الديجور، فتتفتّق العقول، وتنكسر القيود التي كانت تكبّل السواعد: **﴿وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَالأَغلاَلَ الَّتِي كَانَت عَلَيهِم﴾**[1].

منطلق الظهور

ويُستفاد من الروايات الواردة عن العترة الطاهرة عليهم السلام: أنّ شمس الجمال المهدوي ستطلع من مدينة مكّة عند الكعبة، فيقف بين الركن والمقام، ويدعو جبرائيل الناس إلى بيعته التي هي بمنزلة بيعة الله، كما أنّه عجل الله فرجه ينادي الناس بقوله: «**أنا بقيّة الله**» مخاطباً جميع البشريّة. قال الباقر عليه السلام: «**فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة... وأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ الله خَيرٌ لَكُم إِنْ كُنتُم مُؤمِنِين﴾**[2] **ثمّ يقول: أنا بقيّة الله في أرضه**».[3] كما ورد أيضاً عن الباقر عليه السلام: «**كأنّي بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام، بين يديه جبرائيل عليه السلام ينادي: البيعة لله**».[4]

كما ورد في روايات أُخرى بأنّ الحجّة عجل الله فرجه يتّكئ على الحجر الأسود، فيعرّف نفسه، وهو لا يتنافى مع الروايات المذكورة آنفاً. قال الصادق عليه السلام: «... **وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره**».[5]

ونُقل أيضاً عن الصادق عليه السلام بأنّ الحطيم (ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة) مهبط جبرائيل عليه السلام بين يدي الإمام عجل الله فرجه حال الظهور، كما أفاد عليه السلام

---

١ . سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

٢ . سورة هود، الآية: ٨٦.

٣ . كمال الدين ١: ٤٤٧، الباب ٣٢.

٤ . الغيبة (الطوسي): ٤٥٣، ذكر طرف من العلامات الكائنة قبل خروجه عجل الله فرجه، وبحار الأنوار ٥٢: ٢٩٠، الباب ٢٦.

٥ . الكافي ٤: ١٨٥، كتاب الحجّ، باب بدء الحجر والعلّة في استلامه.

بأنّ جبرائيل عليه السلام أوّل من يبايع الإمام عليه السلام: **«إذا أذن الله (عزّ وجلّ) للقائم في الخروج، صعد المنبر، فدعا الناس إلى نفسه، وناشدهم بالله، ودعاهم إلى حقّه، وأن يسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويعمل فيهم بعمله. فيبعث الله جلّ جلاله جبرائيل عليه السلام حتّى يأتيه، فينزل على الحطيم، (و) يقول: إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرائيل: أنا أوّل من يبايعك»**.[1]

ثمّ إنّ مكة ليست محلّ الظهور فحسب، بل هي مبدأ قيامه عليه السلام؛ إذ بعد ظهوره يعيّن حاكماً على مكّة، ثم يُقدم على أداء رسالته العالميّة: **«يبايع القائم بمكّة على كتاب الله وسنّة رسوله، يستعمل على مكّة، ثمّ يسير نحو المدينة...»**.[2]

ولعلّ السرّ في ظهور الحجّة عليه السلام عند الكعبة هو أنّ الكعبة محور قيام عموم الناس، امتثالاً لأمر الحقّ، واجتناباً للباطل، وحرباً على الظلم والجور: **﴿جَعَلَ اللهُ الكَعبَةَ البَيتَ الحَرَامَ قِيـَمًا للنَّاس﴾**[3]. إنّ أساس هذا القيام والمقاومة الشعبيّة في مقابل الظلم قوام حياة الكعبة واستمرار أمرها، كما أشار إلى ذلك الإمام الصّادق عليه السلام قائلاً: **«لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»**.[4]

وعلى هذا الأساس تعتبر حياة الكعبة بقاءً للدين، كما أنّ حياة الدين ممّا يوجب حياة البشر حياةً عقليّةً طيّبةً، كما أنّ بزوال الكعبة زوال الدين، فيموت الناس بموت الدين. ولعلّه إلى هذا المعنى تشير الآية الشريفة: **﴿جَعَلَ اللهُ الكَعبَةَ البَيتَ الحَرَامَ قِيـَمًا للنَّاس﴾**. فلا غرابة أن يكون هذا المعنى سرّ بدء القيام العالمي لإمام العصر عليه السلام من عند الكعبة. والوجه فيه: أنّ الكعبة محور قيام وقوام

---

١ . الإرشاد ٢: ٣٨٢ ـ ٣٨٣، باب ذكر علامات قيام القائم عليه السلام... .

٢ . بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨، الباب ٢٦.

٣ . سورة المائدة، الآية: ٩٧.

٤ . الكافي ٤: ٢٧١، كتاب الحجّ، باب أنّه لو ترك الناس الحجّ... .



المجتمعات الإنسانيّة، وظهور الحجّة عجّل الله فرجه وثورته قيام إلهي يشمل كلّ العالم ويعمّ المجتمعات البشريّة كلّها.

وجدير ذكره: أنّ الحجّة عجّل الله فرجه سينال الفيض الإلهي الخاصّ، فيصلح الله أمر قيامه: «**وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله ـ تبارك وتعالى ـ أمره في ليلةٍ واحدةٍ**»[١]، وتطوىٰ له الأرض، وتذلّل له الصعاب، ويجمع الله له أصحابه الثلاثة عشر والثلاث مائة من أقطار الأرض. «**وهو الذي يطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض**».[٢] وحسبما ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام فإنّ الأرض تطوىٰ له، فيصبح تمام العالم وكأنّه في كفّ يده، فيطّلع علىٰ كلّ ما يحدث في العالم: «**إذا تناهت الأُمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله ـ تبارك وتعالى ـ له كلّ منخفض من الأرض، وخفّض له كلّ مرتفعٍ منها، حتّى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته. فأيّكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟**».[٣]

بعض علامات الظهور

١ ـ نزول المسيح عليه السلام

مع ظهور الوجود المبارك لإمام العصر عجّل الله فرجه ستقع جملة من الأحداث والعلامات ممّا يكون لبعضها أهمّيّة أكبر من غيرها، ولعلّ نزول عيسىٰ عليه السلام واقتداءه بصاحب العصر في الصلاة من أهمّ تلك الوقائع الكائنة إبّان خروجه. أفاد الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي رحمه الله: أنّ الروايات الواردة في نزول عيسىٰ عليه السلام

---

١ . كمال الدين ١: ٤٣٣ ـ ٤٣٤، الباب ٣٠.

٢ . منتخب الأنوار: ١٧٦، وبحار الأنوار ٥١: ١٥٧، الباب ٩.

٣ . كمال الدين ٢: ٣٩٢، الباب ٥٨.

مع ظهور المهدي ﷺ من طرق أهل السنّة والشيعة عن النبي ﷺ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام مستفيضة ومشهورة.[١]

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا. فيقول: ألا إنّ بعضكم على بعض أُمراء؛ تكرمةً من الله (عزّ وجلّ) لهذه الأمّة».[٢] كما قال نبي الإسلام ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟».[٣]

ولن يقتدي بإمام العصر ﷺ المسيح عليه السلام وحده، بل سيتّبعه أكثر أهل الكتاب، فيأتمّون بصاحب العصر ﷺ، ويصلّون خلفه، كما يشير إلى ذلك الأُستاذ العلاّمة الطباطبائي رحمه الله ذيل تفسير الآية الشريفة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٤] حيث حكى عن بعضهم ما يلي:

قال الحجّاج لشهر بن حوشب: يا شهر، إنّ آية في كتاب الله قد أعيتني. فقلت: أيّها الأمير، أيّة آية هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. والله، إنّي لآمر باليهودي والنصراني، فيُضرب عنقه، ثمّ أرمقه بعيني، فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يخمد. فقلت: أصلح الله الأمير، ليس على ما تأوّلت. قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره إلاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهدي ﷺ. قال: ويحك أنّى لك هذا، ومن أين جئت به؟ فقلت: حدّثني به محمّد بن علي بن

---

١ . راجع الميزان ٥: ١٤٦، تفسير سورة النساء.

٢ . كشف الغمّة ٢: ٤٧٤، باب ذكر علامات قيام القائم...، بحار الأنوار ٥١: ٨٥ و٩٣، الباب ١، وصحيح مسلم ١: ٩٥.

٣ . تأويل الآيات: ٥٥١، سورة الزخرف، وبحار الأنوار ١٤: ٣٤٤، الباب ٢٣.

٤ . سورة النساء، الآية: ١٥٩.

الحسين بن علي بن أبي طالب (الإمام الباقر عليه السلام). فقال الحجّاج: جئت بها والله من عينٍ صافيةٍ.[١]

٢ ـ حضور أصحاب الكهف

كما أنّ إحياء أصحاب الكهف وحضورهم لدىٰ صاحب العصر عجل الله فرجه من الأحداث والعلامات الأُخرىٰ التي أشارت إليها بعض الأخبار.[٢]

٣ ـ هلاك جيش السفياني

ومن علامات الظهور سقوط جند السفياني الملعون و هلاكهم في الحرب مع إمام العصر عجل الله فرجه.

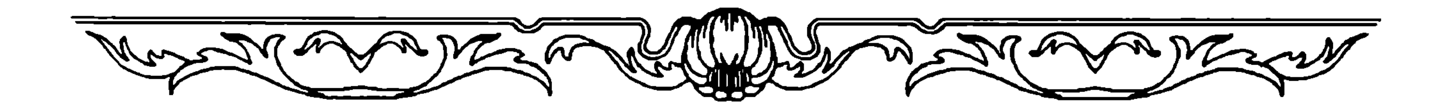
٤ ـ خروج خواصّ الشيعة

ومن علامات الظهور بعث خواصّ الشيعة من أولياء أهل بيت العصمة عليهم السلام: **«فإذا قام قائمنا بعثهم الله، فأقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً»**.[٣] كما ورد عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: **«(حم) حميم و (عين) عذاب و (سين) سنون كسنّي يوسف عليه السلام و(قاف) قذف وخسف ومسخ يكون في آخر الزمان بالسفياني وأصحابه، وناس من كلب ثلاثون ألف يخرجون معه، وذلك حين يخرج القائم عجل الله فرجه بمكّة، وهو مهدي هذه الأُمّة»**.[٤]

* * *

١ . تفسير القمّي ١: ١٥٨، تفسير سورة النساء.
٢ . أُنظر الطرائف ١: ٨٣ و١٧٦، العمدة: ٣٧٣، وبحار الأنوار ٣٦: ٣٦٧ و٣٩: ١٥٠.
٣ . الكافي ٣: ١٣١، باب ما يعاين المؤمن والكافر.
٤ . البرهان في تفسير القرآن ٧: ٦٤، تفسير سورة فصّلت، تأويل الآيات: ٥٢٨، سورة حم عسق، وبحار الأنوار ٢٤: ٣٧٣، الباب ٦٧.

الفصل الثاني:
الدولة المهدويّة الكريمة عجّل الله تعالى فرجه الشريف



أيّام الفرج السعيدة

من الظهور إلى النصر

لا شكّ أنّ النصر النهائي سيكون من نصيب حزب الله: ﴿فَإِنَّ حِزبَ الله هُمُ الغَـلِبُون﴾[1] كما أنّ هذا النصر سيمثّل ارتفاع راية التوحيد عالية خفّاقة بين أفراد المجتمع الإنساني على يد بقيّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف. إلاّ أنّ الوصول إلى فتح الفتوح لن يكون بالأمر اليسير؛ إذ سيواجه هذا الظهور مقاومة من قبل المعاندين والأعداء الألدّاء من أصحاب المنطق الفرعوني، فيقفون في وجه من ينادي بالتوحيد وإحياء العدالة في الحياة الإنسانيّة وتحرير البشريّة من استعباد الظلمة وسوقهم

1 . سورة المائدة، الآية: ٥٦.

إلىٰ عبادة الواحد الأحد وإنقاذ الناس من أطماع واستغلال فراعنة العصر. ولن يتورّع هؤلاء الطغاة عن ارتكاب أيّة جريمة في سبيل إطفاء نور الله، كما لن يتوان الإمام الحجّة ﷺ في القضاء علىٰ هؤلاء الظلمة.

فقد تبيّن: أنّ تحقيق النصر الإلهي يتطلّب تضحيات جسام وحروب وصراعات مريرة، فمن ينتظر بصدق طلوع شمس الحكومة المهدويّة عليه أن يهيّء نفسه لهذه التضحيات والفداء، ولا يتوهّم أحد أنّ الإمام الحجّة عليه السلام سيقوم لوحده ـ بنحوٍ خارقٍ للعادة ـ بإصلاح الأوضاع الفاسدة، فيجلس الناس علىٰ مائدة الفتح، ليتذوّقوا ثمرة الرحمة والعطف المهدوي من دون أن يبذلوا سعياً وجهداً في سبيل الله. فليعلم أنّ هذا التوهّم لا أساس له من الحقيقة، بل هو زعم باطل شبيه بما وقع فيه بعض بني اسرائيل ممّن أراد أن يتحرّر من ظلم فرعون وبطشه من دون أن يكلّف نفسه أيّ عناء وجهد، فكانوا ينشدون النصر دون ثمن، فطلبوا العافية، وقالوا لموسىٰ عليه السلام: **﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾**.[1]

إنّ أُولئك الذين ينتظرون حكومة الإمام المهدي ﷺ إلاّ أنّهم قعدوا عن الاستعداد للجهاد معه ليسوا في الحقيقة إلاّ محبّي الإمام الغائب، لا من منتظري الإمام القائم بالحقّ. ولذا فأوّل من يعارض الإمام ويخالفه سيكون أُولئك الذين يحملون هذا النحو من الفكر القائم علىٰ طلب الراحة والعافية والدعة المبنيّ علىٰ التعصّب والتحجّر.

وفي المقابل كانت هناك فئةٌ من ذوي الشهامة والحرّيّة وهبوا أرواحهم فداءً لانتظار الموعود المنتظر، فحملوا كلام الله في يدٍ والسلاح في اليد الأُخرىٰ،

١ . سورة المائدة، الآية: ٢٤.

واستعدّوا للطواف حول ذلك الوجود المبارك كالفراش المبثوث حول الزهرة؛ لنصرته ومجاهدة العدوّ بأموالهم وأنفسهم.

إنّ هؤلاء هم المنتظرون الحقيقيّون الذين ارتقوا إلى أسمى مراتب الانتظار، ففاضت قلوبهم بنور الشمس المهدويّة. ثمّ إنّ عدد المنتظرين الحقيقيّين من فئة الشباب إلى سائر أصحاب وأتباع الحجّة عجّل الله فرجه من الكثرة بمكان عاد معه الشيوخ مثل كحل العين أو كالملح في الطعام.

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**أصحاب القائم (المهدي) شباب لا كهول فيهم إلاّ مثل كحل العين والملح في الزاد، وأقلّ الزاد الملح**».[1]

إنّ اشتياق الشباب الكبير إلى سنّة الوحي والعترة الطاهرة مع صفاءهم الباطني واستنارة ضمائرهم وتوفّر الأرضيّة اللازمة لديهم لقبول بذرة الهداية من العوامل المؤثّرة في قبولهم الهداية اللائقة بفيض الإمام و بركاته على أساس قوله تعالى: ﴿**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[2] والتحوّل والتغيّر بواسطة ﴿**كن فيكون**﴾. ومعه فلن يتوانوا في السير الحثيث خالصاً لوجهه تعالى في طريق إعلاء كلمة الله وكلمة إمام العصر عجّل الله فرجه الذي سيمثّل ظهوره تحقيق آمال الأنبياء والأولياء، فساروا بسيرة أولياء الله في القول الليّن والعمل الصالح في سائر حالاتهم إلى أن يتحقّق إعلاء راية التوحيد عالية خفّاقة في سماء المجتمع الإنساني.

ثمّ إنّ آثار الرحمة الإلهيّة ستشهد بظهوره تجلّياً آخر، فيتحقّق الوعد القرآني القائل: ﴿**وَلَو أَنَّ أَهلَ القُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحنَا عَلَيهِم بَرَكَـٰتٍ مِنَ السَّمَاءِ**

---

١ . الغيبة (النعماني): ٣١٥، الباب ٢٠، والغيبة (الطوسي): ٤٧٦، فصل في ذكر طرف من صفاته ومنازله... .

٢ . سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.



وَالأَرض﴾[١] فلن يلحظ المسافر من العراق إلى الشام إلاّ المناطق الخضراء: «**لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها... حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلاّ على النبات**».[٢]

وحين يظهر الحجّة ؑ تظهر معه الأمانات والودائع الظاهريّة والباطنيّة للإمامة والرسالة: كقميص يوسف وخاتم سليمان وعصا موسى ولواء رسول الله ﷺ، كما تتجلّى في وجوده الشريف الهيبة الموسويّة والصبر الأيوبي والحكم الداوديّة والجمال والبهاء العيسوي ولباس الولاية العلويّة ؑ... قال تعالى حكاية عن يعقوب: **﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَولاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾**[٣] «**فهو هو ذلك القميص الذي أُنزل من الجنّة**». قلت: جعلت فداك، فإلى من صار ذلك القميص؟ قال ؑ: «**إلى أهله، وهو مع قائمنا إذا خرج**». ثمّ قال ؑ: «**كلّ نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمّد ﷺ**».[٤] و«**إذا ظهر القائم ؑ ظهر براية رسول الله ﷺ وخاتم سليمان وحجر موسى وعصاه**».[٥] «**... منّا مهدي هذه الأُمّة: له هيبة موسى وبهاء عيسى وحكم داود وصبر أيّوب**».[٦] «**وإنّ قائمنا من لبس درع رسول الله ﷺ**».[٧] و«**... إنّ قائمنا أهل البيت إذا قام لبس ثياب علي ؑ، وسار بسيرة علي ؑ**».[٨]

---

١ . سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٢ . الخصال (الصدوق): ٦٢٦، علّم أمير المؤمنين ؑ أصحابه في مجلس واحد... .

٣ . سورة يوسف، الآية: ٩٤.

٤ . كمال الدين ٢: ٣٩١ـ٣٩٢، الباب ٥٨.

٥ . الغيبة (النعماني): ٢٣٨، الباب ١٣.

٦ . بحار الأنوار ٣٦: ٣٠٣، الباب ٤١.

٧ . بصائر الدرجات: ١٩٦، الجزء الرابع، الباب ٤.

٨ . الكافي ١: ٤١١، باب سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم.

الظهور ربيع القلوب

ذكر القرآن الكريم في عددٍ من آياته ومحكماته الأرض وجملة من التطوّرات المستقبليّة المرتبطة بها إلىٰ جانب إعادة الحياة فيها بعد موتها. ويمكن الإشارة إلىٰ مثال منه في قوله تعالىٰ: ﴿**اعلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحيِي الأرضَ بَعدَ مَوتِهَا**﴾.[1]

ويستفاد من ظاهر هذه الآيات: أنّ عود حياة الطبيعة في الربيع بعد انقضاء فصلي الخريف والشتاء وتجدّد العيش فيها من المسائل التي يجدر بالمؤمن أن يذكر فيها الله في مقام الوعظ والإرشاد؛ إذ الربيع بمنزلة الذكرىٰ ليوم القيامة: «**إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور**».[2]

أضف إلىٰ ذلك: أنّ في المقام روايات تقارن بين عود الحياة إلىٰ الأرض بعد موتها وبين الظهور المقدّس لصاحب العصر ﷺ بملاك العدالة التي ستتحقّق علىٰ يد آخر حجّة إلهيّة ﷺ، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

وعلىٰ هذا الأساس يكون للوجود وراء مظهره الخارجي حقيقة باطنيّة لها موت وحياة بنحو آخر تجري فيها فصول السنة. ولعلّ من مراتب هذا المعنىٰ بحسب ظاهره أنّ هاهنا أرضاً وطبيعة متفاوتة وفصولاً مختلفة. أمّا علىٰ مستوىٰ بطون هذه الحقيقة المعنويّة الملكوتيّة فالمراد أرضيّة الحياة ضمن الخلقة البشريّة؛ إذ إنّ موت الأرض وحياتها أمران طبيعيّان ملكيّان، إلاّ أنّ وجود وعدم وجود الأُفق للروح الإنسانيّة حقيقة ملكوتيّة.

وليتفطّن: أنّ الألفاظ وضعت لبيان أرواح وأهداف المعاني، كما أنّ تطبيق

---

١ . سورة الحديد، الآية: ١٧.

٢ . تفسير الحقّي ٩: ٢٢٩ و١٠: ٣٧٣.

المعنىٰ والمفهوم علىٰ المصداق الّذي يمثّل روح المعنىٰ إنّما هو بنحو الحقيقة لا المجاز. ومن هذا المنطلق يكون تطبيق مفاهيم الموت والحياة والأرض علىٰ مصاديق مختلفة عرضيّة أو طوليّة بنحو الحقيقة.

وإن كان المراد من الأرض في الآية هو الأرضيّة، كان ظهور إمام العصر ﷺ من مصاديقها البارزة، ولا حاجة حينئذٍ إلىٰ مزيد توضيحٍ وبيانٍ. وأمّا لو كان المراد من هذا اللفظ معناه الظاهري فلا تكون الآية ناظرة إلاّ إلىٰ الطبيعة وحياة الأرض وموتها الطبيعيّين، ومعه فإنّ انطباق الآية علىٰ ظهور صاحب العصر ﷺ بلحاظ أنّه أكمل المصاديق بحاجة إلىٰ تبيينٍ وتوضيحٍ. فنقول: للإنسان نحوان من الموت والحياة: نحو ظاهري وطبيعي، ونحو باطني وحقيقي. وتختصّ الحياة والموت الظاهريّان بما يقع بين الورود إلىٰ الدنيا والخروج منها وبالمسائل الحياتيّة. وأمّا الحياة والموت الحقيقيّان للإنسان فيتعلّقان بتكامله العقلي والإيماني.

كما لا شكّ أنّ هناك حياةً وموتاً للأرض، إلاّ أنّه ينبغي النظر في نوع حياتها وموتها: هل هو من قبيل الموت والحياة الباطنيّين الحقيقيّين أم لا؟ وإذ إنّنا نقطع بوجود نحوين ظاهري وباطني في الإنسان، فإنّ ما يسبّب موته أو حياته الحقيقيّين يلزم أن يكون مشهوداً في الدنيا. وعليه فيمكن إثبات وجود موت وحياة أُخرىٰ للأرض وراء الشتاء والربيع الطبيعيّين ووراء انفجار فناء الأرض.

ويُلاحظ: أنّ آيات الذكر الحكيم تثبت للمخلوقات نحواً من الإدراك والشعور والفكر. لقد أشار القرآن الكريم إلىٰ أنّ الموجودات طرّاً تسبّح ذات الحقّ المقدّسة جلّ جلاله: ﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.[1] ومن الواضح أنّ

---

١ . سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

التسبيح فعلٌ لفاعلٍ مُدرِكٍ؛ إذ المسبّح لابدّ أن يدرك فعله ويدرك الله الذي يسبّحه إلى جانب إدراك حقيقة التسبيح والتنزيه بما ينسجم مع سعة وجوده وإدراك الصفات السلبيّة والنقص والعيوب التي ينفيها بتسبيحه عن الله وتنزيهه للحقّ. ولا يخفى: أنّ هذا النحو من الإدراك لا يتأتّى لمن لا يملك الشعور أو الإدراك، وعليه فجميع المسبّحين ـ أي: الأرض والسماء والزمان والعالم وآدم ـ لهم نحو من الإدراك بحسب مراتبهم من الفكر. وبالإضافة إلى التسبيح يشير القرآن الكريم إلى شؤون أُخرى في هذا الإطار من قبيل ما يُستفاد من قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ أَسلَمَ مَن فِي السَّمَـوَاتِ وَالأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرضِ ائتِيَا طَوعًا أَو كَرهًا قَالَتَا أَتَينَا طَائِعِينَ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَلله يَسجُدُ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ مِن دَابَّةٍ وَالمَلَـئِكَةُ وَهُم لاَ يَستَكبِرُونَ**﴾[3] فهي تشير جميعاً إلى أُمور تُثبت أنّ لفاعلها نحواً من الشعور والإدراك.

وفي المقام أيضاً جملة من الروايات التي تشهد بوضوح على ما تقدّم؛ إذ تنسب الشهادة والشكوى والشفاعة والموعظة والنصيحة إلى الأرض، ما يدلّ على توفّر نحوٍ من الشعور للأرض. قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنّ للقبر كلاماً في كلّ يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حفر النار**».[4] ولـمّا كان لجميع بلاد الأرض قابليّةٌ لأن تكون مقابر، بل هي في معرض ذلك، أمكن القول بأنّ هذا الكلام كلام سائر بقاع الأرض.

---

١ . سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

٢ . سورة فصّلت، الآية: ١١.

٣ . سورة النحل، الآية: ٤٩.

٤ . الكافي ٣: ٢٤٢، باب ما ينطق به موضع القبر.



وهل من الصحيح بل من الجائز حينئذٍ أن نحمل هـذه الآيـات والروايـات الصريحة علىٰ خلاف ظاهرها فنقول بأنّ التعبير فيها علىٰ نحو المجـاز والتمثيـل؟ وهل هناك من دليلٍ عقلي أو نقلي يثبت أنّ ما ذكرته هذه الآيات والآيات تمثيـلٌ، ما يسوقنا إلىٰ أن نفسّر تـسبيح وسـجود الـسماوات والأرض بأنّـه نحـو تـسبيحٍ وسجود، وأنّها تأتي طائعة إلىٰ الله تعالىٰ مجازاً، وأنّ كلام الأرض مـع سـاكنيها في القبور ضربٌ من التمثيل؟!

إنّ مثل هذا التأويل من قبيل رجلٍ له قامةٌ قـصيرةٌ فلـبس لبـاس رجـلٍ ذي قامةٍ معتدلة، ولـمّـا كان لباس الشخص المتوسّـط أطـول مـن لبـاس صـاحب القامة القصيرة، عمد الأخير إلىٰ قصّه ليناسـب اللبـاس قامتـه، مـع أنّ عليـه أن ينمّي قامته لتتناسب مع لباس ذوي القامة المعتدلة أو يلبس لباساً بحجمه. ومن لم يحط علماً بعمق معاني الآيات والروايات، سـعىٰ إلىٰ هـذا النحـو مـن التأويـل واطّراح تلك المعارف العميقة ليناسب قامة فهمه القصيرة، فيهبط بمستوىٰ هذه المعارف إلىٰ أدنـىٰ مـستوياتها. مـع أنّ عـلىٰ هـؤلاء أن يـسعوا إلىٰ رفـع مـستوىٰ إدراكهم وفهمهم لا التنزيل من قيمة المعارف القرآنية ومراتبها.

قم بتأويل نفسك لا الأحاديث (المحمّديّة)

واتّهم عقلك ولا تتّهم رياضها المونقة[1]

حينما مرّ العارف البصيرة العـالم الخبـير الـشيخ البهـائي ؒ في آخـر حياتـه بمقبرة، سمع منادياً يقول له: احترس لنفسك. فهل عدم سماعنا للنداء دليلٌ علىٰ عدم وجود النداء أم دليل علىٰ ضعف سمعنا؟

---

١ . المثنوي المعنوي، الكتاب الأوّل، البيت ٣٧٤٤.

يقول: خويش را تأويل كن نى اخبار را   مغـز را بـدگـوى نى گـلـزار را

تنبيه

إنّ القبر وإن كان هو البرزخ، والبرزخ هو القبر، فيكون للإنسان ثلاثة عوالم: ١ـ الدنيا ٢ـ البرزخ ٣ـ القيامة، لا أربعة عوالم، فيكون القبر في قبال البرزخ، إلاّ إنّ هناك شواهد نقليّة عديدة تثبت أنّ هذه الأرض التي تضمّ رفات البدن لها نحو من الإدراك والكلام والشهادة و... .

وإذ اتّضح أنّ للأرض إلى جانب حياتها وموتها الطبيعي حياة وموتاً معنويّين استناداً إلى قوله تعالى: ﴿**اعلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحيِي الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا**﴾[1] التي تتحدّث عن إحياء الأرض بعد موتها، يمكن اعتبار مرحلة الظلم والجهل والكفر والنفاق للبشر على الأرض على المستوى العالمي إحدى مراتب الموت المعنوي للأرض، وعلى إثر الظهور المبارك والقيام الملكوتي لآخر ذخيرة إلهيّة سيتحقّق الإحياء المعنوي والربيع الحقيقي للأرض، فيقضي على الظلم والجور، كما أنّ نفس المسيح سيوقظ العالم النائم في الكفر والشرك لتمتلئ الأرض بالعدل وتقوم بالقسط. إنّ هذا الإحياء هو الربيع الحقيقي الذي يُخرج الأرض من خريفٍ وسباتٍ طويلٍ، مع أنّها كانت تنتظره منذ مدّةٍ مديدةٍ ليكتب على صفحات التاريخ بقلم من نور وينير الأرض، بعد ما مرّ عليها زمان حالك مظلم، فتنبعث فيها الحياة والنشاط، وتزول عنها علامات الموت المعنوي، وترتسم عليها علامات الحياة وحيويّة الشباب!

فما أعظم هذا الزمان الذي يظهر فيه نور الحكومة الإلهيّة ويبزغ فيه الفجر الصادق لخليفة الله، فيهزم ظلمة الهجران بتخمّر الرأس بسكر الحضر، ويبدّل مرارة الشيخوخة الميّتة بحلاوة حيويّة الشباب المفعمة بالحياة!

---

١ . سورة الحديد، الآية: ١٧.



لو عاد طائر القدس إلىٰ المنزل مرّةً أُخرىٰ
لغدا الشيب شباباً من جديدٍ
لعلّ انحدار الدمع كقطر المطر
يعقب راحةً من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل
عسىٰ الله أن يردّ إليّ أعتاب أقدامه
فيعقد علىٰ رأسي تاجاً ويكسوني ديباجاً[1]

إنّ هذا الربيع السعيد ماء معين يروي القلوب الميّتة والأرض الجافّة بماء التوحيد والعدل، فيحيي القلوب القاسية، ليتحقّق من جديد شهود تلألؤ الشمس المنيرة لوجه الله.

الرسالة المهدويّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف

إنّ العناصر المحوريّة لرسالة آخر ذخيرة إلهيّة ليست إلاّ تلك العناصر التي جاء بها الأنبياء جميعاً الّتي يمكن تلخيصها بأمرين أساسيّين هما: إيقاد سراج الوحي، والحفاظ علىٰ سلامة مصباح العقل وبصيرة البشر. إنّ العقل والبصيرة في الإنسان بمنزلة العينين له، والمجتمع الذي يفتقد إلىٰ مصباحٍ ينير له الطريق ويجنّبه الوقوع في المزالق بسبب فقدان العقل السليم والعين البصيرة التي تنير الطرق لن يقع في نهاية الأمر إلاّ في جبّ التهلكة.

وليُعلم: أنّ بين العقل والوحي كمال الانسجام والاتّحاد، فلا يمكن للوحي من دون العقل ولا العقل من دون الوحي أن يوصل المجتمع إلىٰ الهدف المشهود. فلا العقل يمكنه أن ينهض بأداء دور الوحي ولا الوحي يمكنه أن

---

١ . ديوان حافظ، غزل ٢٣٦.

يقول: اگر آن طاير قدسى ز درم بازآيد — عمر بگذشته پيرانه سرم بازآيد
دارم اميد برين اشک چو باران که دگر — برق دولت که برفت از نظرم بازآيد
آنکه تاج سر من خاک کف پايش بود — از خدا مى طلبم تا به سرم بازآيد

يجزئ عن دور العقل؛ وذلك أنّ العقل هو الوحي الباطني، كما أنّ الوحي هو العقل الظاهري؛ وعليه فإنّ أحدهما ظاهرٌ والآخر باطنٌ، كما أنّ أحدهما عين قلب المجتمع البشري والآخر مصباح منير لطريق البشريّة، فيجب الاستفادة من كليهما لتصل سفينة البشريّة إلى برّ الأمان. فقد ظهر: أنّ الحفاظ على مصباح الوحي وقّاداً منيراً متفتّقاً والاهتمام بمكانة العقل عنصران أساسيّان في رسالة الحجّة القائم بالحقّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

ومن أراد أن يؤدّي الرسالة المذكورة، فينبغي عليه أن يتوفّر على دعامة أصيلة ويستند إلى عمودٍ من نورٍ، وإلاّ فلن يتمكّن من تحمّل ثقل مسؤوليّة الرسالة. وإذ لا مفرّ لقافلة البشريّة من مواصلة السير للوصول إلى مقصودها، وهو ما لا يتحقّق إلاّ بأداء الرسالة حقّ الأداء، فلابدّ حينئذ من وجود هادٍ ومرشدٍ للمجتمع الإنساني يخرجه من ظلمات الحيرة ويسوقه إلى وادي النور. وهذا الأمر خارج عن نطاق قدرة الآخرين وطاقتهم؛ لأنّهم إمّا لم يصلوا بعدُ إلى حدّ النصاب التامّ للكمال، وإمّا أنّهم فاقدون للأُسس المحكمة الثابتة من رأسٍ. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في خطابه لأهل الكتاب الفاقدين لصلاحيّة الإرشاد والمعروف؛ لفشلهم في أداء مهمّة الرسالة وهداية القافلة البشريّة: ﴿قُلْ يَأَهلَ الكِتَـبِ لَستُم علَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورةَ وَالإنجِيل﴾.[1]

يخاطب القرآن الكريم هؤلاء الجهّال أنّه على أيّ أساس وبأيّ زاد تريدون أن تتقوّوا لإقامة معارف التوراة والإنجيل؟ إنّ إقامة هذه المعارف الوحيانيّة يحتاج إلى نظرة عقليّة ومخزون توحيدي وروح عالية مقتدرة ونفس مطمئنّة، مع أنّهم فاقدون لهذه الكمالات، ما يجعلهم فاقدين للسير على طريق إنجاز هذه الرسالة.

---

١ . سورة المائدة، الآية: ٦٨.



وعلىٰ هذا الأساس يرىٰ الإمام الصّادق عليه السلام بأنّ رسالة إمام العصر عجل الله فرجه صنو رسالة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء، أي: هي هدمٌ لرسوم الجاهليّة وإحياء وتشييد لأركان الإسلام.[١]

تذكير

إنّ التعبير المناسب أن يُقال: إنّ العقل في مقابل النقل لا في مقابل الوحي؛ إذ العقل البرهاني ـ كالنقل المعتبر ـ علم ذهني حصولي، فيمكن أن يطرأ عليه الخطأ. إلاّ أنّ الوحي علم قلبي شهودي مصون عن الخطأ والاختلاف.

وعليه فالعقل والنقل تحت إشراف وسيطرة الوحي المعصوم وبحاجة إليه. ودين الله صراطٌ مستقيمٌ، والعقل البرهاني والنقل المعتبر سراجان لهذا الصراط، فلا يكون لكلّ منهما قانون في حدّ ذاته. ويُراد بالقانون العقلي هنا ما يكتشفه العقل، لا ما يضعه أو يؤسّسه أو يحكم به، نظير ما يُقال من أنّ فهم الطبيب الحاذق كاشف عن الحالة لا مقنّن لها.

هندسة المدينة المهدويّة عجل الله فرجه

قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُم الَّذِي ارتَضَى لَهُم﴾.[٢] وهذا الوعد الإلهي الحتمي إنّما يتحقّق عند تأسيس الدولة المهدويّة الكريمة علىٰ أساس البيعة لله. وتقوم تلك الحكومة علىٰ أساس التوحيد في بنيتها التحتيّة، لتقيم ببنيتها الفوقيّة القسط والعدل. ولذا ورد في لسان الروايات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام تسميتها بدولة الحقّ. ولـمّا كان الحجّة عجل الله فرجه المظهر

---

١ . أُنظر الغيبة (النعماني): ٢٣٠. وراجع أيضاً الكافي ٨: ٣٦ ـ ٤٢، بحار الأنوار ٥٢: ٢٥٦ ـ ٢٦٠.

٢ . سورة النور، الآية: ٥٥.

التامّ لقوله تعالىٰ: ﴿**قَائِماً بِالقِسطِ**﴾[١] كانت الحكومة التي سيشكّلها قائمةً علىٰ أساس العدل والقسط.

ثمّ إنّ الله تعالىٰ سيمنّ علىٰ المستضعفين في الأرض بظهور حكومة المهدي ﷺ، كما منّ علىٰ المؤمنين بالبعثة والرسالة: ﴿**لَقَد مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤمِنِينَ إذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أَنفُسِهِم**﴾[٢] كما يعدهم بوراثة لواء الإمامة الذي هو الميراث الإلهي: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ استُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُم الوَارِثِين**﴾[٣] وحينئذ تعود الحياة إلىٰ الأرض، وتمتلئ عدلاً بعد سبات طويل نشأ من سيادة الظلم والطغيان.

إنّ إنارة مصباح الوحي وإصلاح البصيرة وإحياء العقل البشري من أُولىٰ مهامّ الحكومة المهدويّة الحقّة. ولـمّا كان صاحب العصر وارث مقام الولاية والإمامة وعدل الكتاب الإلهي وترجمانه، فإنّه سيجعل نور مصباح الوحي ساطعاً، فيزيل ستار الغرور عن البصيرة وحجاب الوهم عن صورة العقل؛ حتّىٰ يكتشف الإنسان سعادته بواسطة عين البصيرة والتعقّل في رحاب نور الوحي، فيصلح حركته، ويتّبع الصراط المستقيم، وينال أعلىٰ درجات سعادته. إنّ إثارة دفائن عقول البشر والارتقاء بمستواها وإيجاد روح القناعة والغنىٰ في الإنسان من بين الأمور التي يضعها الوجود المبارك لإمام العصر ﷺ علىٰ رأس برامج حكومته الإلهيّة، كما سيبادر إلىٰ تطبيقها: «**يملأ الله قلوب أُمّة محمّد ﷺ غنى**»[٤].

---

١ . سورة آل عمران، الآية: ١٨.

٢ . سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

٣ . سورة القصص، الآية: ٥.

٤ . كشف الغمّة ٢: ٤٨٣، الباب العاشر، وبحار الأنوار ٥١: ٩٢، الباب ١.



ولعلّ مواجهة الفكر الفرعوني ومحاربة طواغيت عصر الظهور تمثّل نقطة انطلاق البرنامج الرسمي لقيام الحجّة عجل الله فرجه، كما أشار إلىٰ ذلك حال ولادته حين تلا قوله تعالىٰ: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُم الوَارِثِين**﴾.[1] وتلاوة هذه الآية الدالّة علىٰ انتصار مستضعفي بني إسرائيل علىٰ مستكبري آل فرعون يدلّ علىٰ أنّ قيام الحجّة عجل الله فرجه سيتمّ أيضاً عبر المشيئة الإلهيّة ضمن ظروف مشابهة لقيام موسىٰ عليه السلام ضدّ قوىٰ الظلم والجبروت الفرعوني. وكما أنّ قيام أفراد مؤمنين موحّدين مجاهدين من بني إسرائيل ـ مع إيثارهم وتضحياتهم ـ تحت قيادة وليّ عصرهم قد أفضىٰ إلىٰ نجاة المؤمنين من أسر الفراعنة، وانتهىٰ إلىٰ محو فرعون وآله من الوجود، وإقامة دولة حكومة العدل والقسط، ففي مطلع فجر قيام إمام العصر عجل الله فرجه سينطلق المؤمنون المنتظرون اقتداءً بإيثار وتضحيات المجاهدين من السلف الصالح في طريق الحقّ بالاستعانة بتوجيهات وقيادة إمامهم المعصوم للقضاء علىٰ الوجود الفرعوني لذلك العصر وإقامة حكومة الحقّ والعدل علىٰ يد حجّة الله البالغة عجل الله فرجه، وهي حكومةٌ ستقوم علىٰ يد أفضل عباد الله ببركة إراقة الدم الطاهر، لتؤتي الشجرة الإنسانيّة الطيّبة ثمارها بإذن ربّها.

ثمّ إنّ في المقام روايات معتبرة ترسم لنا هندسة المدينة المهدويّة عجل الله فرجه وتصوّر خصائص سكّانها، فتتكلّم عن العدل الإجتماعي إلىٰ جانب الحديث عن غنىٰ قلوب الناس. وبعبارة أُخرىٰ: تستند أُصول القانون الأساسي لحكومة الحجّة عجل الله فرجه المرتبطة بالوحي إلىٰ أُسس العدل وتعزيز روح الغنىٰ والقناعة، كما وصف نبي الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله سنّته وسيرته قائلاً: «**ويملأ الله قلوب أمّة**

---

١ . سورة القصص، الآية: ٥.

محمّد ﷺ غنى ويسعهم عدله».[1] أي: إنّ المهدي الموعود عليه السلام يغني بإذن الله قلوب الأُمّة الإسلامية، وينشر العدل في سائر بقاع العالم.

خصائص المدينة الفاضلة المهدويّة عليه السلام

ثمّ إنّ مفاد قوله تعالىٰ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُون**﴾[2] وعدٌ إلهي غير قابل للتخلّف، أي: إنّ دينه الذي ارتضىٰ سيغلب ويظهر علىٰ جميع الأديان، ويحكم العالم، ويوحّد جميع البشر، فلا يدين البشر إلّا بدين التوحيد، الدين الذي ارتضاه الله لهم، أعني: دين الإسلام: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُم الإِسلاَمَ دِينا**﴾[3]. وإنّما يتحقّق هذا الوعد الإلهي الحتمي حينما يظهر وليّ الله الأعظم عليه السلام.

وعندما تعمّ عقيدة التوحيد كلّ المعمورة، وتزول عقيدة الشرك، فتحرق نار الحقّ كلّ معبود عدا المعبود بالحقّ وتفنيه إلى الأبد: «إنّه لم يجئ تأويل هذه الآية».[4] «**ولو قد قام قائمنا بعده، سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغنّ دين محمّد ﷺ ما بلغ الليل حتّى لا يكون شرك [مشرك] على ظهر الأرض، كما قال الله**».[5] «**فلا يبقى في الأرض معبودٌ دون الله (عزّ وجلّ) من صنمٍ ووثنٍ وغيره إلاّ وقعت فيه نارٌ فاحترق**».[6] فمن اتّخذ آلهةً متفرّقين من خشبٍ أو حجارةٍ كان مصيرها الزوال. وعلىٰ هذا الأساس سيحكم الحقّ تمام العالم حكماً

---

١ . كشف الغمّة ٢: ٤٨٣، الباب العاشر، وبحار الأنوار ٥١: ٩٢، الباب ١.

٢ . سورة التوبة، الآية: ٣٣ وسورة الصفّ، الآية: ٩.

٣ . سورة المائدة، الآية: ٣.

٤ . أي: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلوهُم... وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).

٥ . تفسير العيّاشي ٢: ٥٦، تفسير سورة الأنفال.

٦ . كمال الدين ١: ٤٤٧ ـ ٤٤٨، الباب ٣٢.

مطلقاً، ولن يبق معاندٌ لجوجٌ أو منكرٌ حقودٌ إلاّ وأسلم لحكم العقل أو أُعمل فيه السيف، فلا ناصر له ولا مدافع عنه أمام حكم الحقّ. وعلىٰ هذا الضوء يظهر أنّه لامجال حينئذٍ للتقيّة. وأمّا البيان النوري لصادق آل محمّد ﷺ في تفسير سدّ ذي النورين فناظر إلىٰ التقيّة قبل ظهور صاحب العصر عجّل الله فرجه. عن المفضّل قال: سألت الصّادق عليه السلام عن قوله: ﴿**اجعَل بَينكُم وَبَينَهُم رَدما**﴾[١] قال عليه السلام: «**ما استطاعوا له نقباً. إذا عمل بالتقيّة لم يقدروا في ذلك على حيلةٍ، وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سدّاً لا يستطيعون له نقباً**».[٢] وأمّا بعد ظهور الحجّة عجّل الله فرجه فإنّ كلّ يأجوج وكلّ مأجوج إمّا أن يسكن وإمّا أن يسكت، فلا موقع حينئذ لممارسة التقيّة.

مع أنّ الإمام عليه السلام فسّر الوعد الإلهي الذي يكون سبباً في اندكاك السدّ لقيام آخر حجّةٍ إلهيّةٍ عجّل الله فرجه بيوم الظهور، أي: ذلك اليوم الذي ينتقم فيه الله من أعداءه. وسألته عن قوله تعالىٰ: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعدُ رَبِّي جَعَلَه دَكَّاءَ**﴾[٣] قال عليه السلام: «**رفع التقيّة عند قيام القائم، فينتقم من أعداء الله**».[٤]

إنّ إقامة حكومة العدل والحقّ علىٰ يد آخر حجّةٍ إلهيّةٍ عجّل الله فرجه لاتمثّل خاتمةً للشرك وعبادة الأصنام فقط، بل هي نهاية لحياة البذخ والترف الّتي لاتكون طريقاً إلىٰ السعادة فحسب، بل تذهل عنها، لاسيّما العيش المترف الّذي يحجب العقل عن الفهم الصحيح للدين، كما لا يؤدّي إلاّ إلىٰ الانحراف عن حقيقة الدين الإلهي والاقتصار علىٰ ظاهره وقشوره. كيف لا؟وسعادة البشر مقرونة

---

١ . سورة الكهف، الآية: ٩٥.

٢ . تفسير العيّاشي ٢: ٣٥١، تفسير سورة الكهف.

٣ . سورة الكهف، الآية: ٩٨.

٤ . بحار الأنوار ١٢: ٢٠٧، الباب ٨.

بالتديّن وتعزيز الفهم الصحيح والعمل الصالح والحفاظ على الدين، لا بالرسوم والقشور كتذهيب القرآن وكتابته بماء الذهب وتزيين المساجد بما أفتى الفقهاء بحرمته أو كراهته.

وقد أشار إلى مثالٍ منه مولانا الإمام الصّادق عليه السلام في بيان قوله تعالى: ﴿**خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ**﴾[1] موضّحاً أنّ المراد الإفادة من قدرة الفهم العقلي والإيمان القلبي والعمل البدني. عن إسحاق بن عمّار ويونس قالا: سألنا أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿**خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ**﴾: قوّة [في] الأبدان أو قوّة في القلب؟ قال عليه السلام: «**فيهما جميعاً**»[2]. وعلى هذا الأساس سيلغى الوجود المبارك لصاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف مظاهر البذخ والرسوم البرّاقة ضمن إقامة العدل العالمي في إطار إحياء المعارف الإلهيّة وتقوية دور العقل والإيمان لدى الناس.

لقد وردت الإشارة إلى نشر العدل على يد صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف في البيانات النوريّة الصادرة عن أهل بيت الوحي والعصمة عليهم السلام، لاسيّما فيما بلغنا عن مولانا سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ واحدٌ لطوّل الله (عزّ وجلّ) ذلك اليوم حتّى يخرج رجلٌ من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً، كما مُلئت جوراً وظلماً. كذلك سمعت رسول الله يقول**»[3].

ويُستفاد من هذا الحديث الملكوتي أنّ الوجه في ظهور إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف وإقامة حكومة العدل أن يحقّق المجتمع البشري الهدف المنشود من خلقته، أعني: إقامة العدل وأخذ حقّ المظلوم من الظالم والحيلولة دون تعدّي المجرمين على المظلومين، وهو الميثاق الذي أخذه الله على علماء الحقّ والدين.

---

١ . سورة البقرة، الآيتان: ٦٣ و٩٣ وسورة الأعراف، الآية: ١٧١.

٢ . المحاسن ١: ٤٠٧، كتاب مصابيح الظلم، الباب ٣٣.

٣ . كمال الدين ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٥، الباب ٣٠.

مظاهر العدل في المدينة المهدويّة عجّل الله فرجه

إنّ إحياء العدل من جهة وتعزيز روح الغنى في القلوب البشريّة من جهة أُخرى ركنان أساسيّان وميزتان هامّتان في المدينة المهدويّة عجّل الله فرجه، وهي الحكومة التي لا تقوم إلاّ على العدل، كما أنّ برنامجها الفكري لا يستند إلاّ إلى تربية القلوب وغناء روح البشر، فتنير سبيل السعادة أمام الإنسان الذي ضلّ الطريق، وتعمر له الحياة في الدنيا والآخرة. ولذا يحيى سكّان هذه المدينة في أمن من كلّ حيفٍ وجورٍ؛ إذ ستحيل هذه العدالة العداوة إلى محبّة والنزاع إلى صلح والبغضاء إلى صفاء ومودّة. ولن يقتصر وجود الصفاء والمودّة على البشر، بل سيسود بين الحيوانات أيضاً، فتثمر العدالة أمناً عامّاً في ظلّ الحكومة المهدويّة عجّل الله فرجه، ما يمكن للمرأة أن تسافر لوحدها من العراق إلى سوريا من دون أن يتعرّض لها أحد من البشر أو الحيوان ومن دون خوف أو وجل: «**ويملأ الله قلوب أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله غنى ويسعهم عدله**».[1] «**ولو قد قام قائمنا... لذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام... وعلى رأسها زينتها لا يهيّجها سبع ولا تخافه**»[2].

فلا وجود لأيّ نحو من أنحاء الظلم في ظلّ فضاء العدل الشامل والغنى الكامل في المدينة المهدويّة عجّل الله فرجه في المجالين الاقتصادي والسياسي، وستزول مظاهر الإنفاق المترف والعطاء الزائد الذي يمثّل آفة العدالة والعامل في غياب الإنصاف، بل يعطي كلّ ذي حقّ حقّه بلا نقصٍ أو زيادةٍ: «**إذا قام قائمنا اضمحلّت القطائع، فلا قطائع**»[3].[1]

---

١ . كشف الغمّة ٢: ٤٨٣، الباب العاشر، وبحار الأنوار ٥١: ٩٢، الباب ١.

٢ . الخصال: ٦٢٦، علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد... .

٣ . قرب الإسناد: ٣٩، الجزء الأوّل، ووسائل الشيعة ١٧: ٢٢٢، أبواب ما يكتسب به، الباب ٥٤.

ثمّ إنّ دائرة العدل والقسط المهدوي ﷺ لن تتوقّف عند الأمن والأمان في سائر شؤون حياة الإنسان، بل إنّ تعامل الإمام الحجّة القائم بالحقّ المرافق للعدل يجعله يقف وقفة حازمة أمام كلّ من يحاول الإساءة بالعقيدة والإيمان والنفس والمال والعرض أو التعدّي على حريم الدين الإلهي؛ من أجل الحفاظ على حدود الدين وسعادة العباد من خلال الوقوف في وجه الطواغيت الساعين إلى السيطرة على بيوت الله وتحقيق مكاسب ماديّة. ولذا تراهم باعوا الدين بالدنيا وسعوا إلى التحكّم بإيمان المؤمنين الموحّدين، و انطلقوا لتحصيل لقمة العيش من خلال الارتشاء والغشّ، فوقعوا في حبائل شرّهم وظلمات غرورهم. وهؤلاء هم السرّاق الذين تحدّث عنهم الإمام الصّادق عليه السلام قائلاً: «**أما إنّ قائمنا لو قد قام لقد أخذهم، وقطع أيديهم، وطاف بهم، وقال: هؤلاء سرّاق الله**»[٢].

والأمن النسبي وإن كان مشهوداً في كلّ عصر، إلا أنّ الأمن المطلق التكويني والتشريعي لن يتحقّق إلاّ لأُولئك الذين اتّبعوا مسار العقل السليم والفطرة السليمة وقالوا: (لبّيك) لدعوة إمام العصر ﷺ التوحيديّة واستظلّوا بظلّ شجرته الطيّبة. كما سيشهد العالم في عصر حكومته حالة من الأمن والأمان الّتي أشار إليها مولانا الإمام الصادق عليه السلام جواباً عن سؤال أبي بكر الحضرمي عن

---

١ . القطائع جمع قطيعة بمعنى قطعة الأرض التي تُقتطع من دون حساب أو كتاب وتُهدى إلى أحدهم. وقد وردت في الرواية بعنوان مصداق من مصاديق العطايا التي يبذلها الطواغيت إلى خواصّهم بلا حقّ.

٢ . الكافي ٤: ٢٤٣، كتاب الحجّ، باب ما يُهدى إلى الكعبة، وتهذيب الأحكام ٩: ٢١٣، كتاب الوصايا، باب الوصيّة المبهمة.



قوله تعالىٰ: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾.[1] قال: «مع قائمنا أهل البيت. وأمّا قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾[2] فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقد أصحابه، كان آمناً»[3].

وجدير ذكره: أنّ الخطوط الكلّيّة لحكومة العدل المهدوي وأفعاله القائمة علىٰ أساس العدل النبوي والعلوي المتجلّي علىٰ يديه عجّل الله فرجه والنصر العالمي الموعود من جهة العلّة القابلة رهين وجود تلاميذ وجنود حاذقين واعين صادقين له. فمع وجود جماعة تضمّ طلحة والزبير وأبا موسىٰ الأشعري، لن يشهد العالم إلاّ الجمل وصفّين والنهروان وإن كان قائد تلك الجماعة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؛ وذلك أنّ العلّة الفاعليّة تامّة؛ إلاّ أنّ العلّة القابلة غير تامّة، خلافاً لأصحاب إمام العصر عجّل الله فرجه كالإمام الرّاحل رحمه الله وغيره ممّن يقبّل التراب الذي يمشي عليه. ومن الواضح أنّ هؤلاء الأنصار والأتباع الخلّص يستفيضون مع كمال لياقتهم بفيض الحقّ تعالىٰ عبر المجرىٰ المطهّر لأهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام ويؤدّون حقّ الطّاعة وحقّ التتلمذ، ما يتمكّن معه الحجّة عجّل الله فرجه من بسط عدالته علىٰ كلّ المعمورة؛ ليتجلّىٰ فيه إرادة الله القدير وزينة جماله.

ثمّ إنّه وإن وجد من بين علماء عصر الظهور طائفة فاسدة ستستفيد من كلّ الوسائل المادّيّة لمعارضة الحجّة عجّل الله فرجه علميّاً وعمليّاً، إلاّ أنّ الغلبة والنصر ستكون إلىٰ جانب العلماء الصالحين الموالين للقائم بالحقّ ببركة (كن فيكون)، فيستأصلون ميول وأهواء ذوي القلوب السقيمة ولا يدعونهم يصلون إلىٰ آمالهم الباطلة. . . .

---

١ . سورة سبأ، الآية: ١٨.

٢ . سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

٣ . علل الشرائع ١: ١١٣، الباب ٨١.



كمال العقل النظري والعملي في الحكومة المهدويّة عليه السلام

إنّ سعادة البشر لاتتحقّق إلاّ في ظلّ هداية العقل النظري وإرشاد العقل العملي، وما لم يصل هذان العاملان إلى كمالهما اللائق، فلن تثمر شجرة الإنسانيّة المباركة ثمرها المطلوب. وثمرة شجرة طوبى الإنسانيّة في بعديها النظري والعملي العلم والعدالة. ولذا يُلاحظ: أنّ الهدف النهائي من إنزال الكتب وإرسال الرسل هو ضمان سعادة البشر في مختلف شؤون حياته. والهدف النهائي من تشريع الأديان الإلهية ليس إنزال الوحي وإتمام الحجّة على العباد فحسب، بل ﴿لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[1] من بين الأهداف السامية أيضاً.

ومن الغايات العليا للدين إيجاد مجتمعٍ متحضّرٍ تنمو في ظلّه الشجرة الإنسانيّة لتثمر العلم والتعقّل إلى جانب العدالة الشاملة لكلّ مجالات الحياة لتوصل البشر إلى سعادتهم القصوى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾.[2]

والذي لاينبغي الذهول عنه هو أنّ طلوع الشجرة الطيّبة للحياة البشريّة لم يزل ولا يزال يهدّد الطواغيت ويتوعّد مصالحهم القائمة على الجور والجهل، فلذا كانوا وما زالوا ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفوَاهِهِم﴾[3] و ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفوَاهِهِم﴾.[4]

---

١ . سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

٢ . سورة التوبة، الآية: ٣٣ وسورة الصفّ، الآية: ٩.

٣ . سورة التوبة، الآية: ٣٢.

٤ . سورة الصفّ، الآية: ٨.



إلاّ أنّ شجرة السعادة الإنسانيّة ستؤتي أُكلها بعد قلع شجرة الجهل والجور الخبيثة، ويتنجّز ذلك الوعد الإلهي الحتمي، وتتحقّق إرادة الله القاهرة في إطار حكومة نشر العلم وطمس الجهل، ويستظلّ العالم بظلّ دين التوحيد في جميع شؤون حياة البشر، ويكون آخر الحجج الإلهيّة من يقطف ثمار العلم والعدل والقسط من أغصان شجرة الحياة المتشابكة.

وإثر ظهور شمس الحاكميّة المهدويّة عجّل الله فرجه ينعتق العقل من أسر الهوىٰ، وببركة وجوده المبارك تتمّ إثارة دفائن العقول، لترتوي عندها القلوب العطشىٰ من ماء الوحي. كما تتبدّل رذيلة الخسّة والدناءة في ظلّ هداية المهدي القائم بالحقّ عجّل الله فرجه بملكة الفضل والغنىٰ، وتتحوّل القلوب آنذاك علىٰ يديه المباركتين لتمتلئ أملاً ونشاطاً وإيماناً، وتتقبّل الفكر الصافي، وتتحرّك الدوافع الحيويّة النبويّة العلويّة في إطار التأديب الإلهي والتعاليم الوحيانيّة، فيتمّ بناء مدينة المبادئ الإنسانيّة.

إنّ الأُمّة الّتي تحيىٰ في ظلّ دين واحد وتحت إمامة وولاية آخر حجّة إلهيّة لهي قادرةٌ علىٰ تأسيس مدينة المبادئ البشريّة التي تنمو لتصل إلىٰ قمّة الفكر والعلم بدرجاته السبعة والعشرين، مع أنّ أرقىٰ ما يمكن أن تصل إليه البشريّة قبل الظهور مع تقدّمها العلمي والتقني والاعتماد علىٰ مسار الوحي وأدوات التجربة لايتجاوز درجتين منه فحسب. عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: «**العلم سبعة وعشرون جزءاً. فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الجزئين. فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً، فبثّها في الناس، وضمّ إليه الجزئين حتّى يبثّها سبعة وعشرين جزءاً**»[١]. كما سيرفع

---

١. الخرائج والجرائح ٢: ٨٤١، الباب ١٦، نوادر المعجزات.

الحجّة عجل الله فرجه كلّ ضعف ونقص وذلّ عن شيعته، لتصبح قلوبهم كزبر الحديد، فيكون الرجل في قوّة أربعين رجلاً. عن مولانا علي بن الحسين عليهما السلام قال: **«إذا قام قائمنا أذهب الله (عزّ وجلّ) عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوّة الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً، ويكونون حكّام الأرض وسنامها»**.[1]

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: **«فإذا وقع أمرنا وجاء مهديّنا، كان الرجل من شيعتنا أجرى من ليثٍ وأمضى من سنانٍ»**.[2]

القضاء في المدينة المهدويّة عجل الله فرجه

لاشكّ أنّ فقدان الأمن وشيوع الظلم والعدوان من جملة الآفات التي تهدّد المجتمع الإنساني والتي تنشأ من غياب العدالة. إنّ المجتمع الذي لا يؤخذ فيه حقّ المظلوم ويحارب فيه أصحاب المال والجاه من يحول دون وصولهم إلى أطماعهم الشخصيّة، لن يذوق أفراده الأمن الإجتماعي المطلوب. وعندما يرفرف لواء حكومة الحقّ والعدل المهدوي عالياً خفّاقاً ويعزف نشيد التوحيد ويحكم بالعدل والقسط، لن يبقى أثر لما يهدّد الأمن من الظلم والتجاوز على حقوق الآخرين. والوجه فيه: أنّ الباحثين عن الحقّ من الأُمّة الإسلاميّة ممّن بايع الحجّة عجل الله فرجه ونال ببركته كمال العقل وروح القناعة والغنى لن يكون سيرهم وسلوكهم إلاّ في ظلّ التوحيد والعدل، لينالوا ثمرة عدل المدينة المهدويّة عجل الله فرجه وأمنها: **«فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقد أصحابه، كان آمناً»**[3].

---

١ . الخصال ٢: ٥٤١، إذا قام القائم عجل الله فرجه جعل الله... .

٢ . بصائر الدرجات: ٤٤، الباب ١١.

٣ . علل الشرائع ١: ١١٣، الباب ٨١.



وفي عصر الظهور سيقيم الحجّة ﷻ العدل على أتمّ وجهه، فلا يحرم أيّ فرد من أفراد الدولة العالميّة المهدويّة ﷻ من الأمن والعدالة، كما سيقوم إمام العصر ﷻ بتوزيع الأموال العامّة والوظائف الحكوميّة على أساس الاستحقاق والكفاءة ووفق قانون الوحي السماوي من دون أيّ تأثير للعلاقات الحزبيّة، فيتساوى في ذلك المحسن والمسيء: «**إذا قام قائمنا فإنّه يقسّم بالسويّة، ويعدل في خلق الرحمن: البرّ منهم والفاجر**»[1].

كما يحيي إمام العصر ﷻ أحكام الإسلام المعطّلة ممّا لم تكن الأرضيّة مناسبةً لإجرائها، كالتوريث على أساس الإيمان: «**إنّ الله (تبارك وتعالى) آخى بين الأرواح في الأظلّة قبل أن يخلق الأجساد بألفي عام. فلو قد قام قائمنا أهل البيت، ورّث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلّة، ولم يورّث الأخ من الولادة**»[2].

كما أنّ بعض الحدود والقوانين التي لم يتمّ العمل بها على مرّ التاريخ لأسباب مختلفة ستدخل حيّز التنفيذ في زمن ظهوره. عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام: «**دمان في الإسلام حلالٌ من الله لا يقضي فيهما أحدٌ حتّى يبعث الله قائمنا أهل البيت. فإذا بعث الله (عزّ وجلّ) قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بيّنة: الزاني المحصن يرجمه، ومانع الزكاة يضرب عنقه**».[3] ويظهر أنّ هذا الأمر الجديد الّذي وردت الإشارة إليه في بعض الأخبار عبارةٌ عن جملة من الأحكام الواقعيّة في مقابل الأحكام الظاهريّة وإقامة الأحكام وإجراء القوانين المعطّلة، فيقوم القائم بتنفيذها، ما قد يتوهّم معه أنّه جاء بدينٍ جديد. عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمرٍ جديدٍ، كما دعا إليه**

---

١ . علل الشرائع ١: ١٩٢، الباب ١٢٩.

٢ . من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٢، كتاب الفرائض والمواريث، باب نوادر المواريث.

٣ . الكافي ٣: ٥٠٣، كتاب الزكاة، باب منع الزكاة.

رسول الله ﷺ. وإنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».[1]

والّذي يدلّ عليه ما أفاده مولانا الإمام الصّادق عليه السلام في جوابه عن سؤال عبد الله بن عطاء حول سيرة صاحب العصر عجّل الله فرجه، فأجابه بأنّه يعمل بسيرة رسول الله ويهدم السنن الجاهليّة الخرافيّة، ويعرض الإسلام في حلّة جديدة. سألته عن سيرة المهدي عجّل الله فرجه: كيف سيرته؟ فقال: «**يصنع كما صنع رسول الله ﷺ: يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله ﷺ أمر الجاهليّة، ويستأنف الإسلام جديداً**».[2]

ولا يخفى: أنّ الحجّة عجّل الله فرجه يحمل على عاتقه مسؤوليّة كبيرة ترتبط بإقامة العدل وإحقاق الحقّ، ولذا سيحكم بنحو مغاير لما كان عليه الأمر في زمن أجداده ممّن كان يحكم في النزاعات القضائيّة على أساس البيّنة والشهادة والقسم، أي: الحكم بالظاهر؛ إذ سيحكم هو بحسب الواقع. عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام: «**لا تذهب الدنيا حتّى يخرج رجلٌ منّي يحكم بحكومة آل داود، ولا يسأل بيّنةً، يعطي كلّ نفس حقّها**».[3]

فقد ظهر: أنّ عصر الظهور وزمان حاكميّة آخر حجج الله عجّل الله فرجه عصر العزّة والعظمة والنصر للمظلومين والمستضعفين وزمان هزيمة الظلم والظلمة؛ وذلك أنّ حاكميّة الجور والكفر الّتي سادت العصور السابقة ضيّقت الخناق على أئمّة الهداية عليهم السلام وسدّت الباب أمامهم وفرضت عليهم مبايعة حكّام الجور، فرأوا أنّ مصلحة الإسلام والمسلمين تقتضي المداراة. وأمّا الحجّة فإذ سيؤسّس

---

١ . الغيبة (النعماني): ٣٢٠، الباب ٢٢.

٢ . الغيبة (النعماني): ٢٣٠، الباب ١٣.

٣ . الكافي ١: ٣٩٨، باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم إذا ظهر أمرهم....



لظهور وحكومة الحقّ، فلن يكون في عنقه البيعة لأحد ولن يكون له عهدٌ مع الطواغيت، فلن تكون له مسامحةٌ أو مصالحةٌ معهم، ولن يعرض عليهم عدا الهداية أو التسليم. عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «**يقوم القائم وليس لأحد في عنقه عهدٌ ولا عقدٌ ولا بيعةٌ**».[١] وآنذاك يواجه الحجّة عجّل الله فرجه المعاندين المخالفين للحقّ وغيرهم ممّن لا يترقّب منهم غير الظلم والجهل والاستغلال، فينتقم منهم، ليظهر في مقام مظهر اسم الله المنتقم، ويشفي صدور قوم مؤمنين: «**وهو الحجّة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويشفي صدور قومٍ مؤمنين**».[٢]

التقدّم الصناعي والتكنولوجي في ظلّ الدولة المهدويّة عجّل الله فرجه

قد يتوهّم: أنّ تشكيل الحكومة المهدويّة عجّل الله فرجه مظهر لرجوع البشر إلى الوراء في شكل حياةٍ بدويّةٍ، مع أنّ الأمر على العكس من ذلك تماماً؛ إذ سيشهد ذلك العصر النيّر عهداً من التطوّر الصناعي والتكنولوجي والتقدّم الجوهري على جميع الأصعدة. ففي العمران والتنمية سيبلغ أعلى درجات الكمال، ما يشمل معه المساجد باعتبارها مصدر الفكر والتقدّم. لقد أشارت جملة من الروايات إلى مدى التطوّر الصناعي والعمراني المشهود في عصر الظهور. وإليك مثالاً منه: عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ قائمنا إذا قام يُبنى له في ظهر الكوفة مسجدٌ له ألف بابٍ، وتتّصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء، حتّى يخرج الرجل يوم الجمعة على بغلة سفواء يريد الجمعة، فلا يدركها**».[٣]

---

١ . الكافي ١: ٣٤٢، باب في الغيبة.

٢ . كفاية الأثر: ٦٩، بحار الأنوار ٣٦: ٣٠٣، الباب ٤١.

٣ . بحار الأنوار ٩٧: ٣٨٥، الباب ٦٠.



إشارات

الأُولىٰ: أنّ الإنسان الصالح لـمّـا كان خليفة الله كان مأموراً بتعمير الأرض: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فِيهَا**﴾.[1]

الثانية: أنّ نشر العدل وتوزيع الثروات بشكل عادلٍ وتقديم الخدمات علىٰ أساس المساواة بين الناس ينفي توهّم اختصاص التطوّر العمراني بالكوفة.

الثالثة: أنّ الارتباط بالحكومة المركزيّة العادلة مطلقاً يستلزم حصول التنمية والانسجام السياسي والاجتماعي، كما أنّ بسط هذا النحو من العهد والميثاق يفضي إلىٰ اتّساع رقعة العمران طرّاً.

كما سيرافق هذا العصر تطوّر صناعي وتكنولوجي خارق للعادة، فلا يحول حائل بين الحجّة وبين أصحابه، فيتمكّنون من سماعه ورؤيته في كلّ مكانٍ. عن مولانا أبي عبد الله عليه‌السلام قال: «**إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله (عزّ وجلّ) شيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتّى لا يكون بينهم وبين القائم بريدٌ، يكلّمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه**».[2]

نعم، لعلّ المراد من هذا الحديث حصول عناية خاصّة في حقّ أصحاب الحجّة عجل‌الله‌فرجه، فتزداد قدرتهم علىٰ السمع والبصر بشكل خارقٍ للعادة، ولو لم يكن الحديث بصدد بيان كرامة أو أمر خارق للعادة، إلاّ أنّه يظهر مدىٰ التقدّم الصناعي والتكنولوجي في عصر الظهور، كما يمكن الآن شهود قسم منه عمليّاً في الثورة التكنولوجيّة في مجال الاتّصالات والأقمار الاصطناعية وسائر وسائل

---

١ . سورة هود، الآية: ٦١.

٢ . الكافي ٨: ٢٤٠، حديث القباب.



الاتّصال الحديثة وشكبة الإنترنت ونحوها ممّا يمكن اعتبارها إرهاصاً وعلامة من علامات الظهور، إلاّ أنّ هذا التقدّم والتطوّر سيكتمل على أتمّ وجهٍ له في زمان الظهور، لتتحقّق حكمة القائم بالحقّ ﷺ آنذاك.

مظاهر التقوى والصلاح في الحكومة المهدويّة ﷺ

على الرغم من أنّ هناك مظاهر للتقوى والصلاح في عالمنا الحاضر وأنّ أغلب الناس في العالم يدينون بأحد الأديان الإبراهيميّة، إلاّ أنّ عصر حكومة الحجّة القائم بالحقّ ﷺ سيشهد توجّهاً عامّاً للبشر نحو الحقّ والعدل الذي هو جوهر الإسلام المحمّدي الأصيل، ليكون من أعظم مظاهر الصلاح والتقى، ما يندرج معه سائر البشر تحت راية الإسلام الحنيف على يد آخر حجج الله في الأرض.

وحينما يسنّ الحاكم والسلطة الحاكمة قوانين مدنيّة وحقوقيّة وجزائيّة عادلة وتكون جميع المؤسّسات التنفيذيّة والقضائيّة قائمةً على أساس الحقّ والقسط، يتبعه الناس، فيستقبلون الحقّ ويقبلون عليه. ومعه يكون ما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿**لَقَد أَرسَلنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنزَلنَا مَعَهُم الكِتَـبَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسطِ**﴾[1] على أتمّ وجهٍ وأوضح مصداق عملي له، فيكون المجتمع بأكمله تحت قيادة من هو مظهر تامّ لقوله تعالى: ﴿**قَائِماً بِالقِسطِ**﴾ فيقوم بالقسط.

ولعلّ من أبرز خصائص زمان حاكميّة إمام العصر ﷺ إقامة الأحكام الإسلاميّة والتعاليم الدينيّة واقتداء سكّان مدينة العدل والفضيلة بإمامهم، مايكون لهم دورٌ فاعلٌ في بناء هذه المدينة، كما أنّهم المصداق الكامل والحقيقي

---

١ . سورة الحديد، الآية: ٢٥.

لقوله تعالىٰ الكريمة: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُم فِي الأَرضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ وَنَهَوا عَنِ المُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1] حيث سيتحقّق ذلك في عصر الظهور خاصّةً. إنّ إقامة الصلاة التي هي عمود الدين وأداء الزّكاة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بكلّ أبعاده ممّا يوجب استحكام ارتباط المؤمنين بالله تحت عنوان إقامة الصّلاة، كما يساهم أداء الزكاة في رفع احتياجات المجتمع الإنساني والإسلامي. وأمّا الأمر بالمعروف فيساعد علىٰ تحلّي الأفراد بمحاسن الأعمال، فيما يضمن النهي عن المنكر إزالة الرذائل عن المجتمع المهدوي.

ومن جهة أُخرىٰ لن يكون مصير أعداء الدّين الذين يحولون دون أن يتمكّن دعاة الدين من نشر ثقافة الحقّ سوىٰ الخسران والوعيد بالعذاب والذلّ: ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ الله أَن يُذكَرَ فِيهَا اسمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُم أَن يَدخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُم فِي الدُّنيَا خِزيٌ وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[2]

ولعلّ من أبرز مظاهر التديّن في عصر الظهور العدالة الاجتماعيّة والاستفادة العامّة من الاحتياجات الضروريّة، إلىٰ جانب تعالي روح الاستغناء لدىٰ مواطني الحكومة المهدويّة ﷺ، ما يبعث ذوو القدرة والمال علىٰ الإقبال علىٰ أداء الزّكاة، كما يزول من قلوب المحتاجين الحرص والطمع إلىٰ حدٍّ لا يجد معه جامعوا الزكاة من يأخذها من مستحقّيها.

حتّى يوم القيامة

وعلىٰ الرغم من ظهور جملةٍ من الخصائص الّتي لانظير لها في حكومة المهدي الموجود الموعود ﷺ الحقّة وعلىٰ الرغم من التمسّك بدين الحقّ وانتشار العدل،

---

١ . سورة الحجّ، الآية: ٤١.

٢ . سورة البقرة، الآية: ١١٤.



إلاّ أنّ المجتمع البشري في ذلك الزمان سيشهد حالات من الاختلاف والانحراف؛ لوضوح أنّ الكفر والنفاق لن يزول بالمرّة من قلوب بعض الأفراد، مع وجود عدّةٍ لم يدخلوا في الإسلام وإن عاشوا في بلاده ودفعوا الجزية، فمع جحود هؤلاء وجمود أُولئك على عقيدتهم الباطلة تمتلئ قلوبهم بالحقد والعداء لحجّة الله، فلن يتوانوا في إيجاد الاختلاف وزرع الفتنة، ما يؤول في نهاية الأمر إلى استشهاد صاحب العصر عجّل الله فرجه على يد هؤلاء المعاندين الخونة.

إنّ رسالة الحجّة عجّل الله فرجه العالميّة هي رسالة نبي الإسلام الأعظم صلّى الله عليه وآله، الذي سلّم هذه الأمانة إلى خلفائه المعصومين عليهم السلام واحداً بعد آخر. ولم تكن رسالتهم إلاّ رسالة الإحياء التي ضحّوا بأرواحهم رجاء إبلاغها، كما أنّ شهادة سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء تمثّل أوج الإيثار والفداء في هذا الإطار. إنّ رسالة عاشوراء الحسين لم يكن هدفها إلاّ نفي حكومة غير الله وطرد أيّ لون من ألوان الظلم والجور، وهي إحياءٌ للإنسان على أساس الحقّ والعدل والحرّيّة التي سيبلّغها للبشر آخر حجّةٍ لله على المجتمع الإنساني بكلّ ما أُوتي من قدرة؛ لإيصال الناس إلى أكمل درجات سعادتهم. وحين يتقبّل المجتمع البشري هذه الرسالة ويصل أفراده إلى كمالهم تحت راية الإمام المعصوم ـ آخر حامل لرسالة السعادة البشريّة ـ وولايته وقيادته وحين يتمكّن من لم تكن له أهليّة الهداية من اغتيال آخر حاملٍ للواء السعادة البشريّة، يكون ذلك إيذاناً بظهور أشراط الساعة ونهاية عالم الدنيا.

ويظهر ارتباط القيامة باستشهاد إمام العصر عجّل الله فرجه بوضوحٍ في روايةٍ شريفةٍ عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام عن آبائه قال: «**الإسلام والسلطان العادل أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلاّ بصاحبه: الإسلام أُسٌّ، والسلطان العادل حارسٌ، وما لا أُسّ له فمنهدمٌ، وما لا حارس له فضائعٌ. فلذلك إذا رحل قائمنا**

لم يبق أثرٌ من الإسلام، وإذا لم يبق أثرٌ من الإسلام، لم يبق أثرٌ من الدنيا».[1]

والغرض: أنّ هناك تلازماً بين الدين والإمام وانسجاماً واضحاً بينهما، بنحو لا يتحقّق أحدهما من دون الآخر، فالإسلام أساس العالم، كما أنّ الإمام حارس الإسلام، فإن لم يكن هناك إسلامٌ، كان كلّ بنيان خرباً من أساسه، وإن كان هناك إسلامٌ دون وجود حامٍ له، ضاع أساسه وزال وانهدم. وعلى هذا الضوء فحين يستشهد آخر حجّةٍ لله وآخر حارسٍ للدين ـ أي: حين يستشهد قائم آل محمّد ﷺ ـ ويلتحق بجوار ربّه، فلن يبقى للإسلام أثرٌ، ما يعني نهاية العالم وطلوع شمس صبح القيامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

* * *

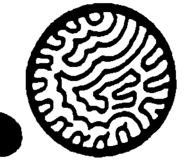
---

١ . منتخب الأثر: ٣٣٨، الباب ٢٩، ومعجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ١٩٣، الحديث ٦٧٥.



الفهارس





فهرس الآيات







فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
● **الأحاديث القدسيّة**	
لاَ إله إلاّ الله حصني	١٥٧
وهو الحجّة الذي يملأ الأرض	٢٨٦
● **النبيّ الأكرم ﷺ**	
من مات ولم يعرف إمام زمانه	٣٤، ٥١، ٥٢، ٧٣، ١٣١، ١٨٧
كما تعيشون تموتون وكما تموتون ...	٣٦
مات ميتة جاهليّة	٤٠
لا صلاة لجار المسجد إلاّ في مسجده	٤٠
لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب	٤٠
ألستُ أولى بكم من أنفسكم	٦٣
فمن كنت مولا فهذا علي مولاه	٦٣
منّا سبطا هذه الأمّة وهما ابناك	٦٦
منّا مهديّ هذه الأُمّة	٦٦، ٢٦٤
إنّ الله عزّ وجلّ ليغفر في هذه الليلة....	٦٩
أما تعلمين أيّ ليلة هذه؟	٧٠
إنّي تارك فيكم الثقلين....	٧٩
نحن أهل بيت لا يُقاس بنا أحدٌ ...	٨٢
بنا فتح الله وبنا يختم	٨٦



الحديث | الصفحة

● **الإمام السجّاد عليه السلام**

● **الإمام الباقر عليه السلام**





الحديث	الصفحة

● **الإمام الحسن العسكري عليه السلام**

● **إمام الزمان عجّل الله فرجه**



● **المعصومون** عليهم السلام

فهرس الأعلام

فهرس الكتب

● ع

● غ

● ف

● ق

● ك

● گ

● ل

فهرس المصادر

القرآن الكريم

إحقاق الحقّ؛ القاضي نور الله التستري (١٠١٩هـ)، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

الاختصاص؛ عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر غفّاري، الطبعة السادسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٨ هـ.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد؛ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (٤١٣هـ) الطبعة الأولى؛ بيروت، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٦هـ.

أعلام الدين؛ الحسين بن أبي الحسن الديلمي (٨٤١هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٨هـ.

إقبال الأعمال؛ رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني الحسيني (٦٦٤ هـ)، مقدّمة وتعليقة: حسين الأعلمي، الطبعة الأولى، قم، دار الحجّة للثقافة، ١٤١٨هـ

الأمالي؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، قم، دار الثقافة، ١٤١٤ هـ.

الأمالي؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد المفيد (٤١٣ هـ)، مشهد، مؤسّسة التحقيقات الإسلاميّة، ١٣٦٤ هـ ش.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار؛ محمّد باقر المجلسي (١١١٠ هـ) الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

البرهان في تفسير القرآن؛ السيّد هاشم البحراني (١١٨٦ هـ)، تحقيق: مجموعة من العلماء، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤١٧هـ.



بصائر الدّرجات الكبرى في فضائل آل محمّد؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فروخ «الصفّار» (٢٩٠هـ)، تصحيح وتحقيق: الحاج الميرزا محسن كوجه باغي، الطبعة الثانية، قم، دار نشر الأعلمي، ١٣٧٤هـ.ش.

البلد الأمين؛ إبراهيم الكفعمي.

تاريخ الطبري؛ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٣ هـ.

تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ شرف الدين الحسيني الاسترآبادي الغروي (القرن العاشر)، تحقيق: حسين استاذ ولي، الطبعة الثالثة، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّة، ١٤٢١ هـ.

ترجمة وشرح كشف الغمّة في معرفة الأئمّة؛ عليّ بن حسين الزوارئي، تصحيح: السيّد إبراهيم ميانجي، طهران، دار النشر الإسلاميّة، ٩٣٨ هـ.

تفسير البحر المحيط؛ محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمّد معوّض، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

تفسير الحقّي.

تفسير العياشي؛ أبو نضر محمّد بن مسعود بن عيّاش السّلمي السمرقندي، تصحيح وتحقيق: السيّد هاشم رسولي محلاّتي، طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة.

تفسير القمّي؛ أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمّي (القرن ٣ ـ ٤)، تصحيح: السيّد الطيّب الجزائري، الطبعة الثالثة، قم، مؤسّسة دار الكتب، ١٤٠٤ هـ.

التوحيد؛ الصّدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣٨١هـ)، تصحيح: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّة، ١٤١٦هـ.

تهذيب الأحكام في شرح المقنعة؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني، بيروت« دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١هـ.

جامع الأسرار ومنبع الأنوار؛ السيّد حيدر الآملي (٧٨٢ هـ) تصحيح هنري كوربان وعثمان اسماعيل يحيى، الطبعة الثالثة، طهران، دار النشر العلمية والثقافية، ١٣٨٣ هـ ش.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، تصحيح: مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الإعلام، الطبعة الأولى، الأردن، بيروت، دار الإعلام، دار بن حزم، ١٤٢٣هـ.



جمال الأسبوع؛ رضي الدّين أبو القاسم عليّ بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بـن طـاووس، (٦٦٤ هـ)، قم، دار نشر الرضي.

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام؛ محمّـد حـسن النجفـي (١٢٦٦ هـ) تحقيـق وتعليـق: عبّـاس القوجاني، الطبعة السابعة، دار إحياء التراث العربي.

الخرائج والجرائح؛ قطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ)، قم، مؤسّسة الإمام المهدي، ١٤٠٩ هـ.

دلائل الإمامة؛ محمّد بن جرير الطبري (القرن الرابع)، قم، دار الذخائر للمطبوعات.

ديوان أشعار بابا طاهر.

ديوان الحاج ملاّ هادي السبزواري؛ الأستاذ مرتضىٰ مدرّسي جهاردهي، مكتبة محمودي.

الديوان الكامل للكمباني؛ محمّد حسين الفقيه الغروي الأصفهاني، طبع بإشراف السيّد حق بين، قم.

ديوان غزليات حافظ الشيرازي؛ شمس الدّين محمّد حافظ الشيرازي، طبع بإشراف: جليل خطيب رهبر، الطبعة الثالثة، دار نشر صفي علي شاه، ١٣٦٥هـ ش.

رجال النجاشي؛ أبو العبّاس أحمد بن عليّ بن أحمد بـن العبّـاس النجـاشي (٤٥٠ هـ)، تحقيـق: الـسيّد موسىٰ الشبيري الزنجاني، الطبعة السادسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٨هـ.

رياض السّالكين في شرح صحيفة سيد السّاجدين؛ الـسيّد عـلي خـان الحـسيني المـدني الـشيرازي (١١٢٠ هـ)، تحقيق: السيّد محـسن الحـسيني الأمينـي، الطبعـة الرّابعـة، قـم، دار النـشر الإسـلاميّة، ١٤١٥هـ.

زندگى دانشمندان (قصص العلماء)؛ محمّد بن سليمان تنكابني (١٢٣٤ هـ) تحقيق محمّد رضـا الحـاج شريفي الخوانساري، الطبعة الأولىٰ، قم، دار نشر حضور، ١٣٨٠ هـ.

شاهنامه فردوسى (ديوان شعر).

شرح الإشارات والتنبيهات؛ محمّد بن محمّد نصير الدين الطّوسي (٦٧٢ هـ) تحقيق: حسن زاده آمـلي، الطبعة الأولىٰ، قم، دار النشر في مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ١٣٨٤هـ ش.

شرح غرر الحكم ودرر الكلم؛ جمال الدين محمّد الخوانساري (القرن الخامس) تصحيح: مـير جـلال الدين حسيني أرموي، مؤسّسة النشر في جامعة طهران، ١٣٧٣هـ. ش.

شرح تجريد العقائد؛ علاء الدين عليّ بن محمّد المعـروف بالفاضـل القوشـجي، أوفـست عـن طبعـة حجريّة، قم، منشورات الرضي، بيدار، العزيزي.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتـزلي (٦٥٦ هـ)، تحقيـق: محمّـد أبـو الفـضل إبـراهيم، الطبعـة الأولىٰ، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤١٥ هـ.



صحيح البخاري؛ أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦ هـ)، مع مقدمة أحمد محمّد شاكر، بيروت، دار الجيل، ١٣١٣هـ.

صحيح مسلم بشرح النووي؛ مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (٦٧٦ هـ) بيروت، دار الجيل.

الصحيفة الكاملة السجّاديّة؛ ترجمة: محيي الدين مهدي إلهي قمشه اي، قم، دار النشر الإسلاميّة.

الطرائف؛ السيّد ابن طاووس (٦٦٤ هـ)، قم، مكتبة الخيّام، ١٤٠٠هـ.

علل الشرايع؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣٨١هـ)، الطبعة الأولى، دار الحجّة للثقافة، ١٤١٦هـ.

العمدة؛ ابن البطريق يحيى بن الحسن الحلّي (٦٠٠ هـ)، قم، دار نشر جماعة المدرّسين، ١٤٠٧هـ.

عوارف المعارف؛ شهاب الدّين أبو حفص عمر بن محمّد بن عبد الله السهروردي البغدادي الشافعي (٦٣٢ هـ)، تصحيح: محمّد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلميّة.

عوالي اللآلي؛ ابن أبي جمهور الأحسائي (أوائل القرن العاشر)، قم، دار نشر سيّد الشهداء، ١٤٠٥هـ.

عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، تصحيح ومقدّمة: حسين الأعلمي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ.

الغدير في الكتاب والسنّة والأدب؛ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (١٣٩٠هـ)، الطبعة الخامسة، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٧١هـ. ش.

غرر الحكم ودرر الكلم؛ عبد الواحد بن محمّد التميمي الآمدي (٥١٠ هـ)، ترجمة: السيّد حسين شيخ الإسلامي، قم، دار نشر أنصاريان، الطبعة الرابعة، ١٣٧٨هـ.ش.

الغيبة؛ النعماني، محمّد بن إبراهيم النعماني (القرن الرابع)، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩٧هـ.

فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) تصحيح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز- محمّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب الإسلاميّة، ١٤١٠هـ.

الفتوحات المكّية؛ محيي الدين أبو عبد الله محمّد بن عليّ المعروف بابن عربي، بيروت، دار صادر.

فرهنگ فرق اسلامي (معجم الفرق الإسلاميّة)؛ محمّد جواد مشكور، مقدّمة: كاظم مدير شانه چي، مشهد، مؤسّسة البحوث الإسلاميّة، ١٣٦٨ هـ ش.

فضائل الأشهر الثلاثة؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه (٣٨١ هـ)، قم، مكتبة الداوري.

قرب الإسناد؛ عبد الله جعفر حميدي قمّي (القرن الثالث)، طهران، دار نشر المكتبة.

الكافي؛ أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٩ هـ)، تصحيح: علي أكبر غفاري، الطبعة الرابعة، بيروت، دار صعب ودار التعارف، ١٤٠١هـ.

كتاب الخصال؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣٨١ هـ) تحقيق: علي أكبر غفّاري، الطبعة الخامسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٦هـ.

كتاب الغيبة؛ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤١٠)، تحقيق عبد الله طهراني-علي أحمد ناصح، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١١هـ.

كتاب المكاسب؛ الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢٨١هـ) الطبعة الأولى، قم، دار نشر ومطبعة أنصاريان، ١٣٨١هـ ش.

كتاب مقتل الحسين؛ لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف، تعليق: حسن غفّاري، قم، المطبعة العلميّة، ١٣٦٤هـ.

الكشّاف؛ محمود بن عمر الزمخشري، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

كشف الغمّة؛ عليّ بن عيسى الأربلي (٦٩٣هـ)، تبريز، طباعة مكتبة بني هاشمي، ١٣٨١هـ.

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد؛ جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّي (٧٢٦هـ)، تعليقات: السيّد إبراهيم الموسوي الزنجاني، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسّسة الأعلمي.

كفاية الأثر؛ عليّ بن محمّد الخزّاز القمّي (القرن الرابع)، قم، دار نشر بيدار، ١٤٠١هـ.

كليات ديوان شمس التبريزي؛ جلال الدين محمّد البلخي المولوي، تصحيح: محمّد عبّاسي، دار نشر طلوع.

كليات سعدي؛ مصلح بن عبد الله السعدي (٦٩١هـ)، شرح: آية الله كمره اي، طهران، دار نشر إسلامي، ١٣٩١هـ. ش.

كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال؛ علاء الدّين عليّ المتّقي بن حسام الدّين الهندي البرهان فوري (٩٧٥ هـ)، تصحيح: صفوة السقا، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.



گوهر مراد؛ عبد الرزّاق فياض لاهيجي، (القرن الحادي عشر)، تحقيق وتصحيح: مؤسّسة تحقيقات الإمام الصّادق عليه السلام، الطبعة الأولى، قم، مؤسّسة الهادي، ١٣٨٣هـ. ش.

اللهوف على قتلى الطفوف؛ عليّ بن موسى بن طاووس (٦٦٤ هـ)، الطبعة الأولى، طهران، دار نشر أمير كبير، ١٣٧٩هـ.

المثنوي المعنوي؛ جلال الدّين محمّد البلخي، وفق نسخة زينولد نيكلسن، الطبعة الأولى، طباعة آفتاب، ١٣٧٥هـ.ش.

مجمع البيان في تفسير القرآن؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥م.

المحاسن؛ أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، الطبعة الثانية، قم، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤١٦هـ.

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل؛ الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (١٣٢٠ هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت، الطبعة الأولى، مشهد، مؤسّسة آل البيت، ١٤٠٧هـ.

المسلك في أصول الدين (مع الرسالة الماتعية)؛ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد المحقّق الحلّي (٦٧٦ هـ)، تحقيق: رضا أستادي، الطبعة الأولى، مشهد، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤١٤هـ.

مسند أحمد بن حنبل؛ أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).

مشكاة الأنوار؛ أبو الفضل عليّ بن الحسن الطبرسي (٦٠٠ هـ)، النجف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٥هـ.

المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات؛ تقي الدّين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العاملي الكفعمي (٩٠٠ هـ)، تصحيح: حسين الأعلمي، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٢٤هـ.

مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي (٤٦٠ هـ)، تصحيح: إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

المصباح المنير؛ أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيّومي (٧٧٠هـ)، الطبعة الأولى، قم، منشورات دار الهجرة، ١٤٠٥هـ.

معجم أحاديث الإمام المهدي؛ الشيخ علي الكوراني العاملي.



مفاتيح الجنان؛ الشيخ عبّاس القمّي (١٣٥٩ هـ).

مفاتيح الغيب؛ صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي (صدر المتألّهين)، تعليق: المولى عليّ النوري، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسّسة التاريخ العربي، ١٤١٩هـ.

مفردات ألفاظ القرآن؛ الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، الطبعة الخامسة، ذوي القربى، ١٤٢٦هـ.

من لا يحضره الفقيه؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣٨١هـ) تصحيح: علي أكبر غفاري، الطبعة الثانية، قم، منشورات جماعة المدرّسين.

مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب؛ زين الدين محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني (٥٥٨ هـ)، تحقيق: يوسف البقاي، الطبعة الثانية، انتشارات ذوي القربى، ١٤٢٨هـ/ ١٣٨٥هـ ش.

منتخب الأثر؛ لطف الله الصافي الكلبايكاني، الطبعة الثانية، قم، دار سبهر، ١٤٢١هـ.

منتخب الأنوار المضيئة؛ عليّ بن عبد الكريم النيلي النجفي (القرن الثامن)، قم، مطبعة الخيّام، ١٤٠١هـ.

منطق الطير؛ فريد الدين محمّد عطّار النيشابوري (٦٢٨ هـ)، تحت رعاية السيد: صادق كوهرين، الطبعة الثانية، طهران، مركز ترجمة ونشر الكتب، ١٣٤٨ هـ ش.

مهج الدعوات؛ السيّد ابن طاووس (٦٦٤ هـ)، قم، دار الذخائر، ١٤١١هـ.

الميزان في تفسير القرآن؛ السيّد محمّد حسين الطباطبائي، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

نهج البلاغة؛ محمّد بن الحسين بن موسى السيّد الرضي (٤٠٦هـ)، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت، دار الأسوة، ١٤١٥هـ.

نهج الحقّ وكشف الصّدق؛ الحسن بن يوسف المطهّر العلاّمة الحلّي (٧٢٦ هـ)، تعليق: عين الله الحسني الأرموي، الطبعة الرابعة، قم، دار الهجرة، ١٤١٤هـ.

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة؛ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الثانية، قم، دار نشر مهر، ١٤١٤هـ.

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر؛ عبد الوهاب بن أحمد بن عليّ بن أحمد الشعراني (٩٧٣ هـ)، تصحيح: عبد الوارث محمّد علي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٩ هـ.

* * *